الطبيعة في شعر بني تميم في العصر الجاهلي

إعداد
عياش بن قعيميل بن حمود البلوي

المشرف
الأستاذ الدكتور حمدي منصور

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

آذار، 2016

ب

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (الطبيعة في شعر بني تميم في العصر الجاهلي)
وأجيزت بتاريخ : 2016/3/23م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
- الأستاذ الدكتور حمدي منصور ، مشرفاً أستاذ الأدب الجاهلي والأندلسي ، الجامعة الأردنية	.....
- الأستاذ الدكتور جهاد شاهر المجالي، عضواً أستاذ النقد القديم، الجامعة الأردنية	.....
- الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد، عضواً أستاذ النحو العربي ، الجامعة الأردنية	.....
- الأستاذ الدكتور محمد خليل الخلايلة، عضواً أستاذ الأدب القديم ونقده، الجامعة الهاشمية	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ .....

الإهداء

إلى :

- والديّ أطال الله بقاءهما، اللذين قال فيهما الحق : "وأخفض لهما جناح الذّل من الرحمة" كفاء ما قدما.

إلى :
- إخواني الأعزاء الذين شجعوني لطلب العلم وعضدوني.

إلى :
- الأبناء الأحبة الذين هم امتداد لي، راجياً أن يكون مستقبلهم باسماً مشرقاً؛ طلال وفيصل وبندر.

إلى :
- الزوجة التي جعلها الله سكناً وطمأنينة.

إلى :
- ولدي الذي طالما رافقني في سفري الى الجامعة الأردنية، فكان نعم الابن ونعم الرفيق

الى بندر الغالي.

عياش بن قعيميل بن حمود البلوي
2016م

شكر وتقدير

وبعد...

فأحمد الله تعالى وأشكره على ما أسبغ عليّ من آلائه العِظام، مِن إتمام هذا البحث وإكماله، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأحق من تُزْجى إليه قوافل الشكر بعد شكر ذي الطول والإنعام، والدي الكريم، متّعه الله بالصحة والعافية، ورزقني برّه ورعايته، وأجزل الشكر والثناء أتوجه به إلى مَن طوّقني بحلمه، وعلمه، ورعايته، مَن لا يَملّ ولا يُمل، فلا ألقاه إلا متهلّلاً سمحاً، أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور حمدي منصور، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الأطروحة، ورعى البحث والباحث حقّ الرعاية، فأسأل الله تعالى أن يجازيه خير ما جزى معلماً ومربياً عن طلابه، ويمتعه بالصحة والعافية، ويجعله ذخراً لخدمة لغة القرآن.

ولا يفوتني كذلك أن أتقدم بوافر الشكر، وعظيم التقدير، وبالغ العرفان، لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور جهاد المجالي أستاذ النقد القديم الذي تشرفت بالتلمذة على يديه، فكان نعم الأستاذ ونعم العالم، الذي زرع فينا حبّ العلم، وأوقد فينا شعلة الطموح، فله الشكر الجزيل كفاء ذلك، والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد أستاذ النحو العربي الذي انتفعنا بعمله الغزير، وعطائه الخير لمّا كنّا نتحلق حوله في محاضراته القيمة.

أما الأستاذ الدكتور محمد الخلايلة أستاذ الأدب القديم في الجامعة الهاشمية فله من الشكر أجزله ومن العرفان أفضله كفاء ما أفدته من كتبه وجزاء ما تحمل من مشقة السفر وقراءة البحث.

شكري الموصول لأعضاء اللجنة جميعاً لتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة، وإغنائها بالملاحظات القيمة، والتوجيهات السديدة.

عياش بن قعيميل بن حمود البلوي

فهرست المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ ، و
الملخص باللغة العربية	ز
المقدمة	1

التمهيد

- بنو تميم 4
- الطبيعة 12
- الطبيعة في الشعر 13
- الطبيعة في الشعر الجاهلي 14

الفصل الأول : الطبيعة الصامتة

- وصف الصحراء 21
- وصف الكواكب والنجوم 24
- وصف السراب 29
- وصف السحب 31
- وصف الأمطار 35
- وصف الرعد والبرق 38
- وصف الرياح 40
- وصف المياه 46
- وصف الأشجار والنباتات 50
- وصف الجبال 62
- وصف الوديان 67
- وصف الكثبان الرملية 69
- وصف الرياض 71

الفصل الثاني : الطبيعة الصائتة

- وصف الإبل 74

- وصف الخيل 85
- وصف الثور والبقرة الوحشيان 96
- وصف الحمر الوحشية 100
- وصف الظباء 106
- وصف النعام 110
- وصف الذئاب 115
- وصف الكلاب 117
- وصف الأسد 119
- وصف الثعلب 121
- وصف الضبع 122
- وصف الزواحف 123
- وصف الحشرات 126
- وصف الطيور

..... 128

الفصل الثالث : الخصائص الفنية

- النسيج اللغوي.....137
- الألفاظ 137
- التكرار 141
- الصورة الفنية 156
- الخاتمة 182
- المصادر والمراجع 189
- الملخص باللغة الإنجليزية 196

الـطبيعة في شـعر بني تميم في العصر الجاهلي

إعداد

عياش بن قعيميل بن حمود البلوي

المشرف

الأستاذ الدكتور حمدي منصور

ملخص

تناولت هذه الدراسة شعر الطبيعة عند شعراء بني تميم في العصر الجاهلي، ووصف الطبيعة فن أصيل ارتبط بالشعر العربي منذ نشأته، وكانت عند شعراء بني تميم ميداناً رحباً، ومرعى خصباً، أظهر من خلالها الشعراء التميميون قدراتهم الإبداعية، فكانت مؤثرة في أنفسهم، معبرة عن بيئتهم، مجسدة لعواطفهم، وانفعالاتهم، مفصحة عن أسلوبهم، وأخيلتهم.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان المظاهر الطبيعية بشقّيها؛ الصامت، والصائت في شعر شعراء بني تميم في العصر الجاهلي، وبيان أهم الخصائص الفنية لشعرهم.

واشتملت هذه الدراسة على تمهيد خُص للحديث بإيجاز عن الطبيعة في الشعر الجاهلي بوجه عام، وتضمن تعريفاً موجزاً ببني تميم، وبيئتهم، وعلاقاتهم، وشعرائهم، وتلى التمهيد ثلاثة فصول، انعقد الفصل الأول منها لدراسة الطبيعة الصامتة، بمجاليها في وصف الأرض، ووصف السماء، وما يدخل ضمن هذين المجالين. وجاء الفصل الثاني لدراسة الطبيعة الصائتة، من إبل، وخيل، ونعام، وذئب، وطير، ...، وغير ذلك. وكان الفصل الثالث خاتم فصول الدراسة وتناول الخصائص الفنية لشعر الطبيعة عند شعراء بني تميم في العصر الجاهلي، من حيث النسيج اللغوي، والصور الفنية.

- **مـقـدمــة :**

الحمد لله الحليم المنان، خلق الإنسان علّمه البيان، والصلاة والسلام على خير بني الإنسان، وبعد،

إن موضوع الشعر يتصل بالطبيعة اتصالاً وثيق العُرى، متين الوشائج، إذ إن الطبيعة مصدر إلهام للشعراء، فهم يلوذون بجمالها، ويرتبطون بمغانيها، ويتغنّون بمظاهر سحرها، وهي قبلة لهم، يستروحون في أرجائها؛ لما في جزئياتها من المشاهد المتألقة، والصور الموحية.

ووصف الطبيعة وتصويرها من الأغراض التي عرفها الشعر العربي، فهي أشد الالتصاق بظروف البيئة وطبيعة الإنسان، لذلك؛ عبّر الشعراء من خلالها عن آلامهم ومطامحهم في آنٍ واحد، فجاءت على ذلك صورة حية ناطقة تعكس همومهم في صدق ووضوح.

وقد أحب الشاعر الجاهلي الطبيعة التي عاش في أحضانها، فوصف كل ما وقعت عليه عيناه من المظاهر الطبيعية، حتى جاء الإسلام، فلم يمنع الشعراء من وصف الطبيعة ومظاهرها، ومضى الأمر كذلك على امتداد العصور الإسلامية، وما يعنينا هنا اهتمام شعراء بني تميم بالطبيعة، فقد اتصلوا بها اتصالاً مباشراً، فتأثروا ببيئتهم الطبيعية وبالوجود من حولهم، فاستمدّوا جل صورهم الفنية من مناظر الطبيعة وموجوداتها من حولهم، فتحوّلت الطبيعة بعناصرها المتعددة، وظواهرها المتنوعة إلى كائن حي نابض بالحياة.

وقد قام الباحثون بدراسة موضوع الطبيعة في الشعر العربي، وكانت أغلب الدراسات قد تناولته بصورة عامة في عصور مختلفة، مثل؛ الطبيعة في الشعر الجاهلي، وفي صدر الإسلام، وفي العصر الأموي، والعباسي، والأندلسي، فضلاً عن الدراسات التي تناولت الطبيعة بشكل خاص عند شاعر معين.

وتأتي أهمية هذه الدراسة كونها بكراً لم يتطرق لدراسة شعر الطبيعة عن شعراء بني تميم في العصر الجاهلي من قبل، فما هناك من دراسة خصّتها صاحبها لموضوع شعر الطبيعة عند الشعراء التميميين وعقدها عليه، ولذا؛ فهي تتناول موضوعاً لم يطرق من قبل بالوجه الذي تقدمه من خلال استفاضتها البحث في مظاهر الطبيعة الصامتة والصائتة التي صورها شعراء بني تميم

في العصر الجاهلي، من خلال استقراء شعرهم، واستجلاء صورهم، وتبيان المظاهر الطبيعية التي وصفوها، لتقدم رسماً واضحاً جلياً لحضور الطبيعة في شعر شعراء بني تميم في العصر الجاهلي.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، بينت في المقدمة مسوغات إقامة هذه الدراسة، ووضحت أهميتها وأهدافها المرجوة منها، وعرضت لمكوناتها وتسلسلها، وقدمت المنهجية المتبعة في فصولها وموضوعاتها، وجاء التمهيد توطئة لمفهوم الطبيعة، وعناصرها، وظواهرها، وتضمن تعريفاً موجزاً ببني تميم في العصر الجاهلي، وبيئتهم، وعلاقاتهم، وشعرائهم، وغير ذلك.

أما الفصل الأول فخصّصته للحديث عن وصف الطبيعة الصامتة في شعر شعراء بني تميم في العصر الجاهلي، بمجاليها في وصف الأرض، ووصف السماء، وما يدخل ضمن هذين المجالين من صحراء، وسراب، وجبال، ووديان، ونجوم، وكواكب، وأنهار، وسحاب وأمطار، وأشجار ونبات، وغير ذلك.

ووسمت الفصل الثاني بعنوان " الطبيعة الصائتة " ، وعقدته لدراسة موجودات الطبيعة الصائتة، وما ضمّته من إبل، وخيل، وظباء، ونعام، وكلاب، وذئاب، وحيوانات وحشية، وزواحف، وطير، وغير ذلك.

وجاء الفصل الثالث ختاماً لفصول الدراسة تحت عنوان " الخصائص الفنية لشعر الطبيعة عند شعراء بني تميم في العصر الجاهلي "، تبينت فيه ما انماز به هذا الضرب من الشعر عن غيره، من حيث تشكيل اللغة والأسلوب، وتشكيل الصورة الشعرية، والتشكيل الموسيقي.

وأخيراً ختمت الدراسة بخاتمة أوجزت فيها خلاصتها، وأجملت أهم نتائجها.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها تتناول شعر الطبيعة لدى شعراء بني تميم في العصر الجاهلي تحديداً بالدرس والتحليل، مشتملة على دراسة للجانب الفني في هذا الضرب من الشعر يبحث في أدوات التشكيل الفنية لدى شعراء بني تميم في العصر الجاهلي.

كما أنها تعرض لمظاهر الطبيعة بشقّيها الصامت والصائت وتناقشها وتحللها من خلال الأشعار، متناولة النصوص التي تصور مظاهر الطبيعة وعناصرها، الأمر الذي قد لا نجده في بقية الدراسات التي جاء فيها الحديث عن العصر الجاهلي في ثنايا حديثها عن أغراض الشعر، مثل؛ المديح، والفخر، والرثاء،...، أو في حديثها عن الخصائص الفنية للشعر الجاهلي، وتختلف هذه الدراسة عن سابقاتها في اعتمادها على الشعر بوصفه مادة تشتشف منها جوانب الحياة الطبيعية وتفاصيلها في المجتمع الجاهلي.

وتتّبع هذه الدراسة منهجيات تتعدد حسب مقتضيات الموضوعات التي تعرض لها الفصول، فاستخدم فيها كل من المنهج التاريخي للتعريف بقبيلة بني تميم في العصر الجاهلي، ومنهج استقرائي وصفي تحليلي لجمع المادة الشعرية من مظانها المختلفة، سواء في ذلك دواوين شعراء بني تميم في العصر الجاهلي، أو المختارات الشعرية، ومن ثم تصنيفها وتبويبها، وتعمق ذلك بالتحليل، واستخدم المنهج الإحصائي بشكل مبسط في بعض المواضع التي تتطلب ذلك.

وختاماً فإنني أسجل الفضل لأهله وأشكره، وأتوجه بالامتنان العظيم، والعرفان الصادق إلى أستاذي الأستاذ الدكتور حمدي منصور، إذ منحني شرف التلمذة على يديه، وتفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ورعايته، وتقويم ما اعوج منه، فكان أن خرج على هذا الشكل.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة؛ لتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة، وإضفاء ملاحظاتهم القيمة وتوجيهاتهم السديدة، وإنني لأسأل الله بلوغ المنى وسداد الخطى.

التمهيد:

بنو تميم:

تميم لغة:

إذا ما رجع الباحث إلى معاجم اللغة ليستجلي المعنى المراد من كلمة (تميم) فإنه سيجد أن من معانيها الصلابة والشدة [1]، والتميم: التام الخلق، والتميم: الشادّ الشديد، والتميم: الصلب[2]، والتميمة: المعاذة تعلق على الإنسان[3]، وتمم الرجل: أي صار تميميا، وتمّم: انتسب إلى تميم.

نشأة تميم ومكانتها:

تعدّ قبيلة بني تميم من أهم القبائل العربية في التاريخ العربي القديم؛ لكثرة عددها، وسعة بلادها، وتعدد بطونها، وهي قبيلة مضرية عدنانية، وهي من كبرى قبائل العرب، وقد قيل لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تميم الناس؛ لقوتهم، وشدتهم، وبأسهم، وكثرتهم الغالبة، وعظمهم الصلب الذي لم يدخل في أي حلف، و تنتسب هذه القبيلة إلى جدها الأول، وهو تميم بن مرّ بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[4].

وكانت لتميم مكانةٌ مرموقةٌ بين مجموع القبائل المضرية، وقد قال فيها ناجية بن صعصعة، حين سئل عن مضر: "تميم هامتها، وكاهلها الشديد الذي تنوء به، وتُحمل عليه"[5]، وسئل دغفل النسابة عن تميم، فقال: "حجر أخشن إن دنوت منه آذاك، وإن تركته خلاك"[6].

---

[1] . ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (321هـ)، الاشتقاق، (تحقيق وشرح عبد السلام هارون)، مكتبة المثنى، بغداد، 1979، ص 201.

[2] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، 1954، مادة (تمم).

[3] . المصدر نفسه، مادة (تمم).

[4] . انظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت456هـ)، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، 1364، ص206

[5] . البغدادي، ابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت 245هـ)، المنمق في أخبار قريش، (صححه خورشيد أحمد فاروق)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص 25.

[6] . الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)، البيان والتبيين، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، 1990، 80:2.

نسب تميم:

لعل الدارس لكتب الأنساب يجد أنها جميعاً تجمع على أن لتميم بن مرّ من الأبناء ثلاثةً، هم؛ الحارث، وعمرو، وزيد مناة[1]، أمّا أقسام القبيلة وبطونها فهي متعددة فمنها؛ بنو سعد، وبنو يربوع، وبنو العَنْبَر، وبنو دَارم، والبَرَاجِم، وبنو مازن، وبنو الهُجَيْم، وبنو طُهْيَة، وبنو أُسَيْد، وغيرها[2].

منازل تميم:

ولعل ضخامة عدد القبيلة، وكثرة بطونها كان سبباً في أن الجغرافيين لم يتفقوا على تحديد الموقع الجغرافي لها على وجه التحديد، فقد امتدت ما بين سفوان قرب البصرة شمالا إلى يَبْرِين على تخوم الربع الخالي جنوبا، وما بين الخليج العربي والبحرين شرقا حتى الحجاز غربا، فأهم المنازل والديار في هذا الإطار هي: " نجد واليمامة، والدهناء والصَّمَّان، والحزن والبحرين قديما"[3]، ومن هنا تباينت آراء النسابين والجغرافيين في تحديد موقع القبيلة، فالبكري يرى أن القبيلة ظهرت في بلاد نجد، وخالطت أهل هجر، فنزلت بين هجر واليمامة، فخالطت عبد القيس في قطر، في حين أن قسما منهم سكنوا عُمان، وقسماً آخر نزل أطراف البحرين مما يلي البصرة[4]، ويذكر الأصفهاني معظم بلاد تميم فيذكر الوشم، والدهناء، والجواء، والصمّان، والدو، والسيدان، ويبرين، وفَلْج، والحزن[5].

حياة تميم الاجتماعية:

تكاد حياة تميم لا تختلف عن حياة تلك القبائل البدوية الأخرى، فقد كان التميميون مجتمعا قبليا بدويا، يتتبّع منابت الكلأ، ومساقط الغيث، غير أن بعض البطون من القبيلة ذاتها كانت حياتها لا

---

[1] . انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 208.
[2] . انظر: المصدر نفسه، ص 206.
[3] . المعيني، عبد الحميد، شعر بني تميم في العصر الجاهلي(1982)، القصيم: منشورات نادي القصيم الأدبي، ص 13.
[4] . انظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت487هـ)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، (تحقيق مصطفى السقا)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1346هـ، 88:1.
[5] . انظر: الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (ت 210هـ)، بلاد العرب، (تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي)، دار اليمامة، الرياض، 1968، ص 274.

تقوم على التنقل؛ فقد كانت تحيا حياة مستقرة في منازلَ معينة حيث النخل والزرع والآبار[1]، بل إن بعض المصادر تخبرنا بأن تميما كان لها دور ومياه لم يكن للعرب مثلها[2]

ويظهر للمتتبع لأخبار القبيلة أنها قبيلة تميزت بكثرة السادة، والأشراف، والفرسان، والشعراء، والحكماء، بل إن نجم هذه القبيلة كان قد لمع في ميادين ثلاثة؛ هي: الحرب، والشعر، والأمن، أما في الحرب فقد كان لقبيلة تميم شأن كبير في هذا الميدان؛ ففيها أمهر الفرسان، ومن هم متخصصون في فن القتال والدفاع عن القبيلة وأهلها، فسيفها من أقوى السيوف وأشدها بأسا على خصومها، ومن هؤلاء الفرسان تميم بن طريف العنبري، وكان يُعدُّ بألف فارس[3]، وعتيبة بن الحارث، وعمرو بن أسود الطهوي، والسليك بن السلكة، وقيس بن عاصم، وسلامة بن جندل، وغيرهم...

أمّا في ميدان الشعر؛ فقد نبغ فيها الكثير من الشعراء، كما ظهر فيها عدد من بيوت الشعر، مثل؛ بيت ضمرة النهشلي، وزرارة الدارمي، ونويرة اليربوعي وغيرهم[4]، وقد كان لشعرائها شأن في سوق عكاظ، فقد كانوا يرأسون السوق، فكانت لهم أيام الشعر آنذاك، وقد ذكر الشعراء أيامهم وخلّدوها، يقول المخبل السعدي[5]:

ليالي تميمٍ في عكاظ يسوقها ... له كلُّ شرق من عكاظ ومغربِ

ولم يقتصر أمر القبيلة في سوق الشعر على الشعراء، فقد كان منها من يتولى الحكم على الشعر؛ فيرأس السوق، ومنهم؛ سعد بن زيد مناة، ومازن بن مالك، وثعلبة بن يربوع، ومعاوية بن شريف وغيرهم الكثير[6]، بل إن من حكام العرب من كان تميميا راجح العقل، واضح الرأي، فاتخذتهم العرب حكاما تحتكم إليهم في منازعاتها، وخصوماتها، ومنهم؛ ربيعة بن مخاشن، وأكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة، وضمرة بن ضمرة، والأقرع بن حابس[7].

---

[1] . الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 334هـ)، صفة جزيرة العرب، (تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي)، ط3، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1983، ص 140.

[2] . ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، (تحقيق نصرت عبد الرحمن)، مكتبة الأقصى، عمان، (د.ت)، 415:1.

[3] . المصدر نفسه، 423:1.

[4] . انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 17.

[5] . المصدر نفسه، ص18.

[6] . انظر: ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت 245هـ)، المحبر، (تحقيق ايلزة شنيتر)، مطبعة المعارف العثمانية، حيد أباد، 1942، ص 156.

[7] . انظر: المصدر نفسه، ص 134.

وأما في ميدان الأمن، فقد كان لقبيلة تميم دور رئيس في موسم الحج، وفي الأسواق، فقد كانت تقوم على حماية أرواح الناس، وتحافظ على بضائعهم وسلعهم من الاعتداءات، وتمنع الظلم أن يقع على أحدهم، كما أنها كانت تجيز الحجاج من عرفات إلى المزدلفة.

وقد جاء وفد بني تميم لمفاخرة رسول الله والمسلمين بخطبائهم وشعرائهم وكثرة عددهم وأموالهم، فخطب خطيبهم وقال شاعرُهم قصيدة فدعا الرسول خطيبه ثابت بن شمّاس الأنصاري فأجاب خطيبهم، ثم دعا حسّان بن ثابت فأجاب شاعرهم، فلما سمع بنو تميم ما قاله خطيب الرسول وشاعره أقرّوا بتفوّق أصحاب رسول الله وأسلموا.

<u>علاقات تميم الخارجية:</u>

اتبعت تميم سياسة خارجية استطاعت من خلالها أن تحافظ على توازنها بين القبائل المجاورة، لتضمن تحقيق مصالحها، فسياستها لم تكن قائمة على الحروب والمنازعات مع من جاورها فحسب، وإنما كانت العلاقات السلمية رابطا قويا بينها وبين القبائل التي تجاورها.

أما علاقاتها مع الفرس، فيبدو أن القبيلة كانت تناوئهم، فقد كانت ترفض سيطرتهم وتغلغلهم داخل الجزيرة العربية، فهاجمت قوافلهم، وكانت على الدوام تتصدى لاعتداءاتهم، وهذا لم يكن ليمنع أن يسود هذه العلاقات نوع من السلمية من وقت لآخر تمثل في الهبات والمنح التي كانت تقدمها دولة الفرس لتميم لتبتعد عن نهب تجارتها، وتشكل الوفادات واحدا من المظاهر الهامة لهذه العلاقة السلمية التي كانت تجمع بين القبيلة وبين الفرس.

وأما علاقاتها مع المناذرة فكانت طيبة؛ إذ تمتع رجالها بمكانة مرموقة في بلاطهم، فقد حرص أمراء الحيرة على كسب ود زعماء تميم، وتقديم الهدايا والهبات لاسترضائهم، فمن ذلك أن ضمرة ابن ضمرة النهشلي كان يغير على مسالح النعمان، فطلبه، وهادنه، وجعل له ألف ناقة، وأعطاه أمانا[1]، كما كان المناذرة يدخلون في بطون تميم للإصلاح فيما بينهم عندما كان يشجر بينهم خلاف[2].

---

[1] . الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق النهاوندي (ت337هـ)، أمالي الزجاجي، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، 1987، ص 200.

[2] . الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد (ت518هـ)، مجمع الأمثال، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار الجيل، بيروت، 1987، 1: 229.

كما بلغت علاقة بني تميم بالمناذرة حدّ التحالف، وذلك يوم حليمة، حين غزا الحارث الأعرج ابن جبلة الغساني المنذر بن ماء السماء، فانضمت تميم إلى صف المناذرة، فحاربت إلى جانبهم، إلا أن الغساسنة انتصروا على المناذرة ومن والاهم آنذاك، بالإضافة إلى أنهم أسروا من تميم وحدها ما يقارب المئة من الفرسان.

إلا أن هذا لا ينفي أنّ صفو هذه العلاقات كانت تتكدر في بعض الأحيان، لاسيما حينما تتعارض المصالح بينهما، فقد حاول ملوك الحيرة إخضاع تميم إلى سلطتهم ونفوذهم، إذ فرض عليهم النعمان ضريبة الأتاوة، فامتنعوا عن ذلك، فما كان منه إلا أن يرسل كتيبة قوامها من بني بكر بن وائل الذين كانوا من أشد خصوم تميم، ومن ألد أعدائها[1].

ويبدو أن القبيلة في علاقاتها مع القبائل العربية الأخرى كان لها طموح في أن تأخذ السيادة والقيادة، فقد كانت بينها وبين القبائل العربية حروب وأيام، فهي لم تكن لتكتفي بأن تظفر وتأسرفحسب[2].

وقد حفلت كتب الأيام والتاريخ بتسجيل حروب تميم الكبرى وأيامها، إذ كانت تشارك في هذه الحروب بطون تميم جميعها، فكانت تختار من تلك البطون أشد الفرسان وأكثرهم فتكا.

أمّا العلاقة بين بطون تميم نفسها فلم تكن تخلو من الصراع، فقد كانت العصبية القبلية هي التي تؤجج صراعاتهم، ومن أعنف معاركهم تلك التي وقعت بين بني سعد بن مالك وبني نهشل، فقد روى البكري أن الخلاف بينهما قد تطور إلى حد بلغ معه درجة الحرب[3]، وأن الناس قد تحاموا يومها بين فلج والصمان.

<u>حياة تميم الدينية:</u>

سادت المجتمع الجاهلي معتقدات وأديان مختلفة، مثل؛ الوثنية، واليهودية، والمجوسية، والحنيفية، والنصرانية، وتذكر المصادر أن تميما قد انتشرت فيها معتقدات مختلفة، ولعل الوثنية هي أكثر

---

[1] . الألوسي، محمود شكري (1923)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 3: 42-43.

[2] . انظر: ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328هـ)، العقد الفريد، (تحقيق أحمد أمين وآخرون)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 5:224.

[3] . البكري، أبوعبيدة عبد الله بن عبد العزيزالبكري الأونبي (ت487هـ)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، (تحقيق عبد العزيز الميمني)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، 1: 1027 وما بعدها.

المعتقدات تفشّياً فيها، يفسره انتشار الوثنية في أسماء أبناء القبيلة، وشعر شعرائها، كما أن أكثر الروايات تجمع على وثنية القبيلة، فابن حبيب عدّها من القبائل التي كانت لها أصنام تتقرب إليها[1]، ومن الأصنام التي كانت تميم تعبدها:

- الصنم شُمْس: وكان له بيت، وقد عبدته أُد كلها؛ ضبة، وتميم، وعدي، وعكل، وثور، وكان سدنته من بني أوس بن مخاشن[2].
- رضا: وكان لربيعة بن سعد بن زيد مناة، وهدمه في الإسلام المستوغر[3].
- الدَبَران: وكان لطائفة من أبناء القبيلة[4].
- نَهَم: ويذكر أن تميما كلها قد عبدته[5].

ولعل شعر تميم خير ممثل لما كانوا يعتقدون؛ إذ يقدم شعرهم مجموعة من المعتقدات التي يغلب عليها طابع التوحيد، وهو أمر دفع الشهرستاني ليجعل تميما روادا في الحنيفية[6].

أما النصرانية فيبدو أن تأثيرها في التميميين كان ضعيفا، وقد ذكر الجاحظ صراحة أن النصرانية لم تنتشر في تميم إلا ما كان في قوم نزلوا الحيرة، يسمون العِباد، فإنهم كانوا نصارى[7].

وقد أسلمت تميم بعد فتح مكة، ويورد ابن هشام في سيرته قصة إسلامهم فيقول[8]: فقدم على الرسول- صلى الله عليه وسلم - في السنة التاسعة للهجرة وفد من بني تميم يرأسه عطارد بن حاجب بن زرارة ويصحبه الأقرع بن حابس وآخرون، في وفد عظيم من بني تميم، فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله من وراء الحجرات: اخرج إلينا يا محمد، فآذى صياحهم رسول الله، وفيهم نزلت سورة الحجرات ومنها الآية: "يا أيها الذين آمَنُوا لا تَرفَعُوا أصواتَكم فوق صوتِ النبيّ ولا تَجْهَروا له بالقَول كجَهْرِ بعضِكم لبعض، أن تَحْبَطَ أعمالُكم وأنتم لاتشْعُرون"[9].

---

[1] . انظر: ابن حبيب، المحبر، ص 316.
[2] . انظر: المصدر نفسه، ص 316.
[3] . انظر: الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت204هـ)، الأصنام، (تحقيق أحمد زكي باشا)، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914، ص 36.
[4] . الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 1: 316.
[5] . البكري، سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي، 1: 123.
[6] . الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ)، الملل والنحل، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1975م، 2: 233.
[7] . الحوفي، أحمد (1956)، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص 143.
[8] . ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت213هـ)، السيرة النبوية، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، 4: 223.
[9] . سورة الحجرات: الآية 2.

حياة تميم الأدبية:

تميزت تميم في مختلف الفنون الأدبية، فكان لخطبائها شأن في ذلك العصر، ومن خطبائها: أكثم بن صيفي الذي قال فيه كسرى حينما خطب بين يديه: "لو لم يكن للعرب غيرك لكفى"[1]، وكذلك عمرو بن الأهتم الذي لم يكن في بادية العرب في زمانه أخطب منه[2]، والأقرع بن حابس، والأحنف بن قيس، وربيعة بن مخاشن.

كما ازدهرت قبيلة تميم بالشعر؛ لأن الشعر يكثر بالحروب[3]، وقد كانت لها مكانة أدبية عالية في تاريخ الأدب العربي، وتعد هذه القبيلة من أكثر القبائل العربية إنجابا للشعراء، فقد زخرت كتب التراجم بالحديث عن هؤلاء الشعراء، مثل؛ أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية، وعلقمة الفحل، والأسود بن يعفر النهشلي، وعبدة بن الطبيب، وسلامة بن جندل، وعدي بن زيد العبادي، والمخبل السعدي، ومتمم بن نويرة اليربوعي، وسحيم بن وثيل الرياحي.

وقد تفاوت شعراؤها من حيث الفحولة، فمنهم أصحاب مطوّلات، ومنهم المقلون، ومنهم أصحاب المقطّعات، ولعل ما يجمع بينهم جميعا هو أن القبيلة كانت محوراً رئيساً في أشعارهم، فكان الشعر قلبا نابضا لما يدور في القبيلة، ومصورا للأحداث التي تجري فيها، فيسجل مفاخرها في حروبها، ويرثي قتلاها، كما أن قسما كبيرا من شعر بني تميم اهتم بموضوعات الطبيعة.فوصف السحاب والمطر، والرياض، والقيعان، والنجود والوهاد، كما تناول الطبيعة من جانب آخر؛ فوصف الحيوانات بأوصاف متعددة تميزت بالدقة العالية، فأظهر صفاتها وهيئاتها، غير أن قسما من هذا الشعر اهتم بالأخلاق التي كانت تسود القبيلة آنذاك، فعرض مكارمها وفضائلها، كما لم يخلُ شعر القبيلة من الهجاء، وهو هجاء متوزع بين الأشخاص والقبائل.

---

[1] . ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1: 279.

[2] . الجاحظ، البيان والتبيين، 1: 355.

[3] . الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله (ت232هـ)، طبقات فحول الشعراء، (شرحه محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، 1:295.

ويبرز في شعر تميم ما يسمى بـ (مدرسة الصنعة)، فأستاذها الأول هو من تميم، وهو أوس بن حجر[1]، وهو أمر يؤكده الأستاذ عبد الحميد المعيني الذي يذهب إلى أنّ هذه المدرسة هي تميمية بإخلاص من حيث السبق والريادة[2].

وقد زاد عدد شعراء هذه القبيلة على المئة مما يدل على قوتها الشعرية، وغزارة انتاجها الشعري، إلا أن شعر شعرائها جاء منتشرا في مصادر متعددة، فمنه ما صدر في دواوين مطبوعة ومحققة، ومنها؛ ديوان أوس بن حجر بتحقيق محمد يوسف نجم، وديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري وتحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، وديوان عدي بن زيد العبادي بتحقيق محمد جبار المعيبد، وديوان سلامة بن جندل بتحقيق فخر الدين قباوة، وقد قام نوري القيسي بجمع وتحقيق شعر الأسود بن يعفر النهشلي، وكذلك ديوان شعر عبدة بن الطبيب الذي حققه يحيى الجبوري، وشعر مالك ومتمم ابني نويرة الذي جمعته ابتسام الصفار، أما بقية الشعر فجاء متناثرا في كتب المختارات الشعرية، والحماسات، والمصادر الجغرافية، والتاريخية، وكذلك اللغوية، وفي كثير من كتب الأدب والتراجم، ولابدّ من الإشارة إلى أنّ الدراسة ستعتمد أشعار بني تميم تلك التي وردت فيما طبع وجمع وحقق من دواوين شعرية، أشارت الدراسة لها سابقا، وكذلك على مجموع الأشعار التي قام بجمعها وتحقيقها الدكتور عبد الحميد المعيني فيما وسمه بـ (شعر بني تميم في العصر الجاهلي).

وتُعد قبيلة بني تميم مصدرا مهما من المصادر التي جمع اللغويون مادتهم منها، فقد تحروا الينابيع الصافية، وفضلا عن فصاحة تميم، فإن للغتها خصائص ومميزات، فكانت أقوى قياسا من لغة الحجاز[3]، ولعل قول أبي عمرو بن العلاء شاهد على علو كعبها في اللغة، إذ يقول: أفصح الناس سافلة قريش، وعالية تميم[4]، وفي الحديث أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ورد عليه الوفود، فأقرأ الأخماس، كل خمس على لغته، فكان أعرب القوم تميم.

---

[1] . انظر: حسين، طه (1927)، في الأدب الجاهلي، القاهرة: دار المعارف، ص 275. وضيف، شوقي(1990)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط10، القاهرة: دار المعارف، ص 28.

[2] . انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 27-31.

[3] . الصالح، صبحي (1973)، دراسات في فقه اللغة، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، ص 57.

[4] . ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني(395هـ) ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، (تحقيق مصطفى الشويمي)، مؤسسة أ. بدران، بيروت، 1963، ص 57.

- **<u>الطبيعة:</u>**

يكاد علماء اللغة يتفقون على مفهوم لغوي للطبيعة، ويتضح هذا الأمر عند البحث عن معنى (طبع) في المعجمات اللغوية، إذ تشير في غالبيتها إلى أنّ "الطبع والطبيعة: الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان، والطبع: المثال، يقال: أضربه على طبع هذا، وعلى غراره وصيغته وهديته، أي على قدره، وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعا، فطره، وطبع الله الخلق... يطبعهم طبعا: خلقهم، والطبع ابتداء صنعة الشيء، تقول: طبعت اللبن طبعا، وطبعت الدرهم والسيف وغيرهما يطبعه طبعا: صاغه، وطبعت من الطين جرة: عملت، والطبع: الختم، وهو التأثير في الطين وطبع الشيء وعليه، يطبع طبعا: ختم، ويقال: طبع الله على قلوب الكافرين: أي ختم"[1].

والطبيعة بمنزلة الأم الحانية، وإن قست على إنسانها أحياناً فهي قسوة الوالدة المشفقة، في قسوتها الرحمة، وفيها الخصب، والعطاء، والحب.

ولقد هام الإنسان بجمالها وصفاء سمائها، وأعجب بأشجارها وأنهارها، وترنّم على نوح وُرقِها وتغريد أطيارها، فجادت قريخته بالخالد من القول والرائع من الفن في مجالي الطبيعة، الطبيعة الصائتة، والطبيعة الصامتة.

أما عند الفلاسفة، فيجد الدارس أن كثيرا من الباحثين كانوا يعولون على اشتقاق (مصطلح الطبيعة) من محيط الفلسفة؛ إذ إن لتفسيرات الفلاسفة شيئاً من الوضوح أو التخصيص لمعنى الطبيعة، غير أن لمصطلح الطبيعة عددا من التفسيرات والتعريفات التي تتفاوت فيما بينها من حيث الوضوح والغموض، فالطبيعة " هي النظام أو القوانين المحيطة بظواهر العالم المادي... على أننا إذا أطلقنا لفظ الطبيعة على كل ما هو موجود في العالم، وجب علينا لتوضيح هذا المعنى أن نفرّق بين القول بخلق العالم، والقول بقدمه، فإذا قلنا بالخلق لزم عن ذلك أن تكون الطبيعة مسخرة للخالق المتعالي، وإذا قلنا بالقدم أمكن أن تكون الطبيعة قائمة بنفسها، فالطبيعة إذن مجموع ما في الأرض وما في السماء من كائنات خاضعة لنظم مختلفة، وهي بذلك مرادفة للكون، ومقابلة للإنسان"[2].

---

[1] . ابن منظور، لسان العرب، مادة (طبع)، الزبيدي: محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار ليبيا، بنغازي، 1966، 5: 438-439، مادة (طبع).

[2] . صليبا، جميل (1982)، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 14:2.

وعليه، فثمة من يجعل من الطبيعة قائمة بنفسها، إذ يذهب الطبيعيون إلى القول بأن الطبيعة: "هي الوجود كله، وإنه لا وجود إلا للطبيعة، أي للظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض على النحو الذي نشاهده في عالم الحس والتجربة"[1].

وأمّا الديانات السماوية الثلاث، فقد اختلفت عن الفلسفة في أنها اعتقدت بوجود اله خالق للكون من العدم، إذ " إن الأديان جميعا جاءت لكي تشير إلى أن الإنسان عالما كان أم فنانا، وجب أن يسعى من أجل هذا المصير العظيم: الوحدة والتوافق بين الإنسان والعالم والطبيعة والكون ... الوحدة التي ترفض الذوبان السالب والفناء، كما ترفض – في الوقت نفسه – التمزق والتبعثر والازدواج والعصيان"[2].

أما في القرآن الكريم، فقد أورد الله الدليل العقلي للرد على الفلاسفة وأمثالهم، إذ يقول: "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون"[3]، فهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، وبذلك وجب أن يكون للكون والطبيعة خالق واحد هو الله تبارك وتعالى.

<u>الطبيعة في الشعر:</u>

هام الإنسان بجمال الطبيعة، وصفاء سمائها، وأعجب بأشجارها، وأزهارها، وأنهارها، وترنّم على نوح وُرقها وتغريد أطيارها، فألهمته الخالد من القول، والرائع من الفن في مجال الطبيعة.

وقد تعددت الاصطلاحات لمدلول الطبيعة في الأدب عموما، فبعضها يشير إلى أنها "قسم من العالم قادر على أن يحرك في الإنسان إحساسه الفني"[4]، أو هي " الوجود المادي الذي يحيط بنا، ودراسة كل شيء محسس نلمسه، أو نحس به، أو يؤثر على كياننا، أو على وجودنا بطريقة من الطرق، مثل؛ الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والبحار، والأشجار، والبرق، والرعد، ونحوها، وذلك هو محراب الطبيعة الذي طالما تغنى به الشعراء، ووصفه الكتاب في مختلف

[1] . صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، 17:2.
[2] . خليل، عماد الدين (1977)، الطبيعة في الفن المغربي والإسلامي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص 82.
[3] . سورة الطور، الآية: 35.
[4] . عبد النور، جبور(1979)، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، ص 163.

العصور والدهور"[1]، ومن هنا؛ فإن الشعر العربي نما وترعرع بين أحضان الطبيعة، فكان صدى عميقا لهذه الطبيعة العربية، ممثلا لها في جميع أوقاتها.

وشعر الطبيعة هو ذلك الشعر الذي يمثل الطبيعة بمظهريها الحي والصامت، بما كان لها من أثر على نفس الشاعر ووجدانه، ويقصد بالطبيعة الصائتة كل ما شتملت عليه الطبيعة وحوته من أحياء عدا الإنسان، ويقصد الصامتة مظاهر الطبيعة وظواهرها من سمائها وما فيها من نجوم وكواكب وأفلاك تزينها، وتسير في مداراتها، ومن شمس وقمر، وغير ذلك من الظواهر الكثيرة، مثل؛ الرعد، والبرق، والمطر، وفي أرضها وما اشتملت عليه من جبال ووديان، ووهاد، ونجاد، وبحار، وأنهار، ونبات، وثمار، وجبال ووديان، وسهول،... .

وقد اختلف الباحثون في تسمية أقسام الطبيعة وإنْ اتفقوا على تقسيمها إلى قسمين رئيسين، هما: الطبيعة الصامتة، والطبيعة الصائتة، وهم يذهبون إلى أنها كل ما يشتمل عليه الكون ما خلا الإنسان.

وشعر الطبيعة قديم في أدبنا العربي، عرفه الشعراء في الشكل الذي أوحت به بيئتهم البدوية، فتأملوا الطبيعة وافتتنوا بها، وبثوها آلامهم، وأشركوها في أحزانهم وهمومهم.

<u>الطبيعة في الشعر الجاهلي:</u>

عاش الشاعر الجاهلي حياته وسط الطبيعة، فاهتم بها اهتماماً عظيماً، وتفاعل معها تفاعلاً مباشراً، فتأثر بها، وانعكست عليه مظاهرها.

ويتصل موضوع الشعر الجاهلي بالطبيعة اتصالاً وثيق العرى، متين الوشائج، إذ إن الطبيعة مصدر إلهام الشعراء، فهم يلوذون بجمالها، ويرتبطون بمغانيها، ويتغنون بمظاهر سحرها، وهي قبلة لهم، واسترواح؛ فجزئياتها غنية بالمشاهد المتألقة والصور الموحية.

[1] . الزيدي، كاصد ياسر (1980)، الطبيعة في القرآن الكريم، بغداد: دار الرشيد، ص 8.

وقد تفنن شعراء العربية في وصف الطبيعة، فأكثروا منه وأجادوا فيه، ويشير إحسان عباس إلى أن وصف الطبيعة " يقصد به أحيانا إلى كشف جمال الكون"[1]، ولعل المتتبع لهذا الغرض في الشعر العربي عموما يجد أن الشعر العربي كان جديرا بهذه المهمة حقا، فالطبيعة لها سلطانها على الإنسان لاسيما الشاعر منه منذ القدم، فقد كان هذا السلطان يخضع الموهبة الشعرية له، فتنطلق قريحة الشاعر في وصف مظاهر الطبيعة المتنوعة وصفا شعريا، فيعبّر عن تأثره العظيم بها، فهي التي كانت دوما تحتضنه منذ كان شاعرا جاهليا مفتونا ببيئته الصحراوية هائما بها، "فإذا خرج البدوي إلى الحضر قال الشعر حسرة على الدهناء ورمالها وسهلها وجبلها، وأقسم أن رياح الصحراء تثير الغبار أحب إليه من رياح الحضر تهز الأشجار، وتمنى أن يبيت ليلة واحدة في الصحراء"[2].

فالشعر عند العرب مادة وفيرة ومجال واسع لظهورالإحساس، والمعرفة، والتصوير لمظاهرالطبيعة، وقد كانت الطبيعة من أهم مصادر الإبداع الفني، ويثبت أن الشعراء العرب استلهموا البيئة الجاهلية من المياه، والأمطار، والأنهار، والبحار، والبساتين، وغيرها، في قصائدهم، وعرضوها معارض شتى في أشعارهم، مع افتتانهم في الاستلهام والعرض، وصوّروا فيها مظاهرها الواسعة المتنوعة، وأشكال اصطناع العرب لها في حياتهم.

والبيئة من أعظم العوامل المؤثرة في الأدب، بل هي في واقع أمرها وقوة وقعها تعدّ مثيرة لبعض فنونه، مكونة أكثر عناصره، حيث تخلع عليه جميع ألوانها، وتهبه كل مظاهرها، وتحرمه ما حرمته، وتمنعه ما منعته [3]، وفي ذلك يقول أحمد الحوفي: " لو أن أديباً استطاع أن يحيا بنجوة من المؤثرات الاجتماعية والسياسية لجاء أدبه صورة مطابقة لبيئة الطبيعة"[4].

والبيئة في العصر الجاهلي كانت غنية بمظاهر الطبيعة، التي ألهمت كثيراً من الشعراء بسحرها، وبهائها، وجمالها، حتى صارت مصدراً أساسياً، استقى واستفاد منه الشاعر الجاهلي كثيرا في إبداعه وفنّه. والأشعار الجاهلية زخرت بصور الطبيعة التى أضفى عليها الشعراء من إبداعهم وفنهم، فأنتجوا صوراً فنية غاية فى الدقة والإبداع، فصارت الطبيعة بذلك ملهما للشاعر الجاهلي، ومادة حية وجاهزة يحصل من خلالها إبداعه وفنه، وعلى هذا؛ تُعدّ الطبيعة من أهم المصادر التي

---

[1] . عباس، إحسان (1976)، دراسات في الأدب الأندلسي، تونس: الدار العربية للكتاب، ص 48.
[2] . نوفل، سيد (1945) شعر الطبيعة في الأدب العربي، القاهرة: دار المعارف، ص 29.
[3] . انظر: قناوي، عبد العظيم علي (1949)، الوصف في الشعر العربي، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1 : 8.
[4] . الحوفي، أحمد (1958)، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، القاهرة: مكتبة نهضة مصر. ص15.

استقى الشعراء الجاهليون منها إبداعاتهم، وهى تمثل مصدر الإلهام الأهم، الذي اعترف معظم الشعراء بفضله عليهم، وقد تمثل إعجاب النقاد القدماء باستلهامات الجاهليين وإبداعاتهم فى مناح عدة؛ مثلت الطبيعة أهمها.

وقد شغلت الطبيعة حيزاً كبيراً من أغراض الشعر الجاهلي، فقد اهتم الشعراء الجاهليون بها اهتماما عظيماً، وتفاعلوا معها تفاعلاً مباشراً، فتأثروا بها، وانعكست عليهم مظاهرها، و" خَبر العربي ظواهرها، وتعبّد لها، وقد حاول إخضاع حياته لظروفها، وإخضاع ظروفها لحياته بشتى ضروب المعرفة البدائية وأساليبها"[1].

ووجد الشعراء في الطبيعة ومظاهرها مادة خصبة للحديث، وميداناً رحباً للتصوير، فقد عكس تفاعلهم معها مدى تعلقهم ببيئتهم التي ترعرعوا في ربوعها، فاستهوتهم صحراؤها، ورمالها، وكثبانها، فعشقوا كل مظاهرها، فتغنوا بسمائها، ومائها، وحيوانها، وعبروا عن هذه العلاقة الوطيدة التي تربطهم بها في أشعارهم، فعرضوا لمظاهرها الصامتة والصائتة، فجاء وصفهم لهذه المظاهر مجسّداً العلاقة الوجدانية التي تربطهم بها.

وكانت الطبيعة مصدر إلهام الشعراء، فراحوا يتأملونها ويعبرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه مظاهرها، فأخذوا يبثون آلامهم لها، ويشركونها في أحزانهم، وأوجاعهم، وهمومهم، وهذا ما يؤكده قول العلوي: " واعلم أن العرب أوعدت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم، ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرّت تجاربها وهم أهل وبر، وصحونهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها"[2].

وقد جاء حديث الشاعر الجاهلي عن الطبيعة متصلا بدقائق الأشياء، فقد جاء شعره مستوعبا جل مظاهر الطبيعة وما احتوت عليه، ليظهر من خلال أشعاره الألفة والانسجام الذي تتصف بهم هذه الدقائق سواء أكانت من مظاهر الطبيعة الصامتة، أم الصائتة، " وقد وُهب الشاعر حسا دقيقا بوحدات الصحراء المسموعة، وأصوات الفلوات، وأصوات أصدائها التي تتجاوب فيها إذا جَنَّ

---

[1] . البطل، علي (1980)، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، ص 229.

[2] . ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت322هـ)، عيار الشعر، (تحقيق طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956، ص 10.

الليل، وذهبوا مع الأوهام في تصور مصادرها فاعتقدوا أنها من الجن تارة، وأنها من غير الجن تارة أخرى"[1].

ويأتي وصف الطبيعة واحدا من الأغراض التي تناولها الشعر الجاهلي، فقد تعدد أغراضه مثل؛ المديح، والهجاء، والرثاء، والغزل، والوصف، وغيرها من الأغراض، " وظواهر الطبيعة من بين الأغراض الأخرى في الشعر تبدو أشدّ التصاقا بظروف البيئة وبطبيعة الإنسان، فلهذا أودعها الشعراء عصارة قلوبهم، وعبروا من خلالها عن الأمم ومطامحهم في آن واحد، فجاءت على ذلك صورة حية ناطقة تعكس همومهم في صدق ووضوح" [2].

ولمّا برع الشعراء الجاهليون في الوصف، وأظهروا براعتهم ومقدرتهم الفنية في هذا الغرض، كانت البيئة المعين الأول الذي راحوا يستقون منه ألفاظهم، وصورهم، فقد استمدوا منها معظم تشبيهاتهم وصورهم، فتتبعوا فيها جل عناصر الطبيعة المتعددة؛ الصامتة، والصائتة، فراحوا يصفون رحلاتهم عبر الصحاري، ووقفوا عند الديار التي هجرها أصحابها، فكانت الأطلال واحدة من أبرز اللوحات التي شكلت قصائدهم، كما وصفوا الجبال، والوديان، وتحدثوا عن الهضاب، والرمال، والسراب، والرياح، والسحاب، والرعد، والمطر، والبرق، وتوقفوا عند المياه ومواردها، وذكروا النباتات الصحراوية بأنواعها، وكذلك؛ أعشابها وأشجارها.

ولم يتوقف الشاعر الجاهلي عند مظاهر الطبيعة الصامتة فقط، بل ذهب يصف مظاهرها الصائتة، فكان للحيوانات نصيب من أشعارهم؛ "ويتميز الأدب العربي لاسيما الجاهلي منه بأنه عني بوصف الإبل والخيل عناية عجيبة... واهتم بدقائقهما وخصائصهما، واستقصى حركاتهما، ووصف أعضائهما"[3]، كما تحدث الشاعر الجاهلي عن حيوانات أخرى، فوصف الحمار الوحشي، والنعام، وكذلك الثور والبقرة الوحشيين، كما تناول رحلة الصيد والمعركة بين الكلب والثور، فصور الصراع بينهما، ولم تغب الكثير من الحيوانات الأخرى عن الشعر الجاهلي عموما، إذ كان للأسد، والثعلب، والضبع، والضب، حضوره في هذا الشعر، كما كان للطيور أيضا نصيب من أشعار الجاهليين، فقد راح الشاعر الجاهلي يصف حركات الطيور وسكناتها، فوصف النسر، والعقاب، والحمام والغراب، والقطا، وحتى الزواحف والهوام وصفوها في أشعارهم.

---

[1] . القيسي، نوري حمودي (1970)، الطبيعة في الشعر الجاهلي، بيروت: دار الإرشاد، ص 136.
[2] . عروات، أحمد فلاق (1991)، تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص31.
[3] . القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 96.

فالشعراء الجاهليون راحوا يصفون كل شيء تقع عليه أعينهم في هذه الصحراء الواسعة التي كان يحيون فيها، وفي تلك الفيافي المقفرة التي كانوا يجوبونها وينتقلون عبرها، واللافت أن هذا النوع من الوصف لم يكن غرضا تنفرد به قصائدهم؛ وإنما جرت العادة عندهم أن يذكروا الطبيعة بمظاهرها المتعددة بعد غزلهم وتشبيبهم، فكانوا يخرجون إلى رحلاتهم في الصحاري، فيتحدثون عن قطعهم المفاوز البعيدة، على إبلهم، فيأخذون في وصفها وصفا مسهبا، وهو أمر منتشر عند الشعراء الجاهليين.

ولعل وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي، على النحو الذي جاء عليه، يعد خير مؤشر على أن الشاعر الجاهلي كان ذا دراية فائقة في مظاهر هذه الطبيعة وتنوعها؛ فقد كانوا يعون أهمية كل مظهر يصفونه؛ فكانوا يوظفونه فيما يليق به، "فيذكرون الجبال في حديثهم عن البقاء، باعتبار أنّ كل شيء عندهم يزول وينتهي وله أمد، ولم تبق إلا هذه الجبال التي تلوح صباح مساء، والتي شاهدت فناء أجيال طويلة من أسلافهم"[1]، فكل مظهر من مظاهر الطبيعة التي كانوا يصفونها كان له ظلال نفسية عند الشاعر نفسه؛ فالسراب والآل في ارتفاع النهار، ورياح الصبا، في الحنين والكرم، كما كانت رياح الشمال للدلالة على الجدب والقحط والشؤم، كما عبروا عن الصلابة بأنواع من الشجر مثل؛ شجر النبع والشوحط، بينما كان شجر السدر كناية عندهم عن الضعف[2].

ولم يكن توظيفهم لصورة الحيوانات بعيداً عمّا سبق، إذ كان الغراب والبوم في سياق حديثهم عن الموت والفراق، وكان حديثهم عن الضباع في معرض القول عن القتل؛ لعلمهم ودرايتهم بأنها مولعة بجثث الموتى ونبش القبور، فجاءت صورتها مقرونة عندهم بالفزع والخوف.

فالشعر الجاهلي إذن هو خير مصور للحياة في ذلك العصر، فقد صور البيئة التي نشأ فيها أصحابه أصدق تصوير، في واقعية وبساطة ووضوح، لا غلو فيها ولا تعقيد، إلا بما يتفق ومهمة الشعر، معتمدا على الخيال والتصوير الحسي المستمد في الوقت نفسه من الطبيعة ومعطياتها، منتقلاً بين الحقيقة والمجاز، في نقل الصور والمشاهد، أو التعبير عن الأفكار والمشاعر، في إيجاز حيناً، وإطالة حيناً آخر بحسب المقام والغرض.

---

[1] . القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص310.
[2] . المرجع نفسه، ص310.

ويلاحظ في الشعر الجاهلي كثرة ذكر الأماكن، والمياه، والوديان، ولاسيما في مطالع القصائد، وصفاً أو مناجاة، لأنها تحفل بالذكريات الحية: فهي مواطن الأحبّة، ومسارح الصبا، وميادين الحروب والانتصارات.

وقد يتشابه الشعراء الجاهليون، في بعض المعاني، والصور حتى في الألفاظ أيضاً، وهذا ظاهر في أوصافهم للناقة والفرس، ولعل سبب ذلك ضيق الحياة في ذلك العصر، واقتصار البيئة على معطيات واحدة، وشدة تطبع العربي بتلك البيئة التي ترعرع فيها، ونشأ على أعرافها وتقاليدها، واقتفاء الشاعر خطى من سبقوه من الشعراء وتأثره بهم. ولكن هذه الظاهرة لم تحل دون بروز شخصية الشاعر الفنية، وأدواته الخاصة في التعبير والتصوير، والابتكار والتوليد، والنفوذ إلى دقائق كثيرة، يجلوها أتم جلاء، ويكشف عنها ببراعة ومهارة.

وقد أظهر الشعراء الجاهليون قدراتهم الفنية العالية، وبراعتهم في الوصف، فانتزعوا جلّ تشبيهاتهم من تلك البيئة التي كانت تحيط بهم، بما فيها من مظاهر متعددة للطبيعة، فجاءت صورهم وتشبيهاتهم في غاية من الدقة لتتبعهم تلك المظاهر الطبيعية أينما وردت، وأينما كانت، فعكس ذلك طبيعة العلاقة التي كانت تربط العربي عموما والشاعر على وجه الخصوص ببيئته وطبيعتها، فيظهر أن العربي قديما كان قد عشق هذه المظاهر التي كان يصفها، فعبّر عن هذه الحالة الوجدانية التي كانت تجتاح نفسه بوقوفه على أدق التفصيلات في بيئته، فوصف كل ما كانت تقع عليه عينه من الظواهر الطبيعة التي كانت تحيط به.

الفصـــــــل الأول
الطبيعة الصامتة

- **الصحراء:**

تشغل الصحارى قسمًا كبيرًا من جزيرة العرب، وكانت بالنسبة للجاهلي، بيئته الطبيعية، فيها يتجوّل طالباً رزقه، يتكيّف معها ليصبح حبها طبيعةً مركّبةً في نفسه، " فجرى حبها مجرى دمائه في جسده فصورها متأملاً أغلب دقائقها بصحرائها الممتدّة ذات الكثبان، والهضاب، والنجود الموحشة المخوفة "[1].

إنّ معظم الشعراء في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، كانوا من عشّاق الصحراء، فذهبوا يصفون مفاوزها وأماكنها الموحشة في رحلاتهم، وصفوا طرق الصحراء ودروبها الطويلة الخاوية، وميّزوا فيها كلّ التلال، والهضاب، والصخور، ووصفوا الجبال، وذكروا الآل، والرمال والكثبان، ووصفوا حيوان الصحراء الوحشي.

وقد بات ارتياد الصحراء " وجهاً من وجوه البطولة والفروسية، ولقد تكرّس وصفها في سنّة الشعر المدحي، حيث جعل الشعراء يستعظمون صعوبة ولوجها ووحشة ارتيادها، مُظهرين بذلك شدّة العقبات التي يتجشّمونها في سبيل المدح"[2].

وقد غدا وصف الصحراء يستحوذ على جُلّ قصائدهم، ويتجلّى في معظم أشعارهم، فهذا أوس بن حجر يصف الصحراء في كثير من شعره، ومن ذلك قوله [3]:

خُذِلْتُ على ليلة ساهرُهْ بصحراءَ شَرْجٍ إلى ناظِرَهْ [4]

تُزادُ لياليَّ في طولها فليْسَتْ بطلْقٍ ولا ساكِرَه

ويصف سلامة بن جندل الصحراء في أثناء فخره بقومه، فيقول [5]:

---

[1]. حسين، عبد القادر (2004)، الطبيعة في شعر الحطيئة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، العراق، ص18.

[2]. حاوي، إيليا (د.ت)، **فن** الوصف وتطوره في الشعر العربي،(ط2)، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ص24.

[3]. أوس بن حجر، أوس بن حجر بن مالك، ديوان أوس بن حجر، (تحقيق محمد يوسف نجم)، ط2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1960م، ص34.

[4]. الطلق: اليوم الطيب الذي لا حر فيه ولا برد.

[5]. سلامة بن جندل، سلامة بن جندل بن عبد عمرو (ت 23 ق.هـ)، ديوان سلامة بن جندل، (تحقيق فخر الدين قباوة)، المكتبة العربية، حلب، 1968م، ص180. الحرة: الأرض ذات الحجارة النخرة السود كأنها أحرقت بالنار فلا يثبت فيها الماء كثيراً. والشِّعب: الطريق في الجبل. وفيهق: واسعة.

فعِزَّتنا ليست بشعْبٍ بحرَّةٍ ولكنها بحرٌ بصحراءَ فيْهَقُ

ونجد علقمة الفحل يصف رحلته في الصحراء الموحشة البعيدة الأطراف التي يسمع فيها دويّ الصوت لاتساعها، فيقول[1]:

ودَوِيَّةٍ لا يُهْتدى لِفلاتِها بعِرْفانِ أعلامٍ ولا ضوء كوكبِ [2]

وتوصف الصحراء بأنّها موماة وصرماء، ومن ذلك قول مالك بن نويرة اليربوعي[3]:

على صرْماءَ فيها أصرماها وخرّيتُ الفلاةِ به مليلُ [4]

وتوصف _أيضاً_ بأنها بلقع مقفرة، ومن ذلك قول علقمة الفحل[5]:

وهلْ أسْوَى براقِشُ حين أسوى ببَلْقعةٍ ومُنْبَسِطٍ أنيْــق[6]

وحَلّوا من مَعيْنٍ يومَ حَلّـــــوا لِعِزِّهِمُ لدى الفَجِّ العَميق[7]

وتسمى الصحراء دويّة أيضاً لدويّ الصوت الذي يسمع فيها، أو لأنها تدوّي بمن صار فيها، وتذهب به، وبها يصفها سلامة بن جندل قائلاً[8]:

ودَوِيَّةٍ لا يُهْتَدى لِفَلاتِها بعِرْفانِ أعلامٍ ولا ضوءِ كَوْكَبِ[9]

---

[1]. علقمة الفحل، علقمة بن عبدة بن ناشرة (ت 20 ق.هـ)، ديوان علقمة الفحل، (تحقيق لطفي الصقال، ودرية الخطيب)، دار الكتاب العربي، حلب، 1969م، ص120.

[2]. الدويَّة: المفازة البعيدة الأطراف، وقيل: الدوّ: الفلاة الواسعة، والدوية المنسوبة إلى الدوّ؛ وإنما سميت دويّة، لدويّ الصوت الذي يُسمع فيها، أو لأنها تدوّي بمن صار فيها. والأعلام: جمع علم، وهو شيء يُنصب في الفلوات، تهتدي به الضالة.

[3]. الصفار، ابتسام مرهون (1968)، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، بغداد: مطبعة الإرشاد، ص 77.

[4]. الصرماء: المفازة. والأصرمان: الذئب والغراب. والخريت: الدليل الحاذق. والمليل: الذي أحرقته الشمس، ومنه خبزة مليل.

[5]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص129.

[6]. أسوى: أقام واستقرّ. براقش: حصن باليمن. البلقعة: الأرض المقفرة التي لا شيء فيها. المنبسط: المكان الواسع المستوي. الأنيق: الحسن المعجب.

[7]. معين: حصن باليمن. الفج العميق: الطريق الواسع في الجبل، البعيد.

[8]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص120.

[9]. الدوية: المفازة البعيدة الأطراف، وقيل: الدوّ: الفلاة الواسعة، الأعلام: جمع علم، وهو شيء ينصب في الفلوات، تهتدي به الضالة.

وذكر شعراء بني تميم الصحراء في معرض وصفهم لرواحلهم السريعة، التي تشقّ الصحراء وتواصل السير معهم في مفاوزها الموحشة، ومن هؤلاء الأسود بن يعفر النهشلي الذي يذكرها في وصفه لخيله السريعة والجسورة، التي تقطع الأرض الواسعة المتوقدة من حرّ الشمس قائلاً[1]:

ثم تولي خفيفات قوائمه بالسهل يطفو وبالصحراء يمّلسُ

ويتحدّث السُّليك بن عَمرو[2] عن حبه للحرب، وولعه بالمغامرة، وقتاله لأعدائه الذين أفزعتهم شدة ضرباته، واصفاً الصحراء بقوله[3]:

بكى صُرَدٌ، لمّا رأى الحَيَّ أعْرَضَتْ مَهَامِهِ رَمْلٍ، دونهم، وسَهوبُ[4]

وخَوَّفه ريــبُ الزمــانِ وفُــقْــرُهُ بلادَ عدو حاضـــــر وجُدُوبُ

وفي معرض هجاء أوس بن مَغراء[5] للنابغة الجعدي يصف الديار المجدبة والصحراء القاحلة التي خلت من الحياة وكأنْ لم تطأها قدما حي، فيقول[6]:

عَفَتْ روضةُ السُّقيا من الحيِّ بعدَنا فأوْقتها فكتلةٌ فخـــــدورُها

فروضُ القطا بعد التساكن حِقــبة قفاراً كأن لم تلقَ حيّاً يرودها

---

[1]. النهشلي، الأسود بن يعفر الدارمي (ت 22 ق.هـ)، ديوان الأسود بن يعفر، (تحقيق نوري حمودي القيسي)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1968م، ص41.

[2]. هو السليك بن عمرو بن يثربي، أحد بني مقاعس بن عمرو بن زيد مناة بن تميم، أسود اللون، ومن أغربة العرب، وكان أدلّ الناس بالأرض، ومن أكثرهم خبرة بمعالمها، وأشدهم عدواً على رجليه في دروبها، ولذا قيل في الأمثال: أعدى من السليك، وهو أحد الصعاليك العرب. انظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ)، الأغاني، (تحقيق إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس)، دار صادر، بيروت،2002م، 30 : 375. وابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ)، الشعر والشعراء، (تحقيق عمر الطباع)، دار الأرقم، بيروت، 1997م، ص214. والميداني، مجمع الأمثال، ص431. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص51.

[3]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص53.

[4]. المهامة: البيد والقفار. صرد: رجل من بني حَرام بن سعد بن زيد مناة.

[5]. هو أوس بن مغراء القريعي، أحد بني جعفر بن قريع بن تميم، شاعر جاهلي، وقيل: أدرك الإسلام، وكان يهاجم النابغة الجعدي. انظر: الأصفهاني، الأغاني، 16 : 338. وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص687. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص97.

[6]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص99.

ويأتي الشاعر التميمي قيس بن عاصم[1] على ذكر الصحراء الممتدة التي تفرق بينه وبين عدوه وذلك في معرض هجائه لبني يربوع لتقصيرهم في نجدة قومه ومساعدهم، فيقول[2]:

أتاني وعيدُ الحَوْفـــــزانِ ودونه من الأرضِ صحراواتُ فلْجٍ وَقورُها[3]

وهَرَّتْ بنو يربوع إذْ هَشَّها الوَغى هريرَ كِلابٍ أوْجَعَتْها أيـــــورُها

وخلاصة القول إن للصحراء حضورها الواضح في شعر شعراء بني تميم، الذين امتزجوا بها وانسجموا معها، واستمدوا منها تجارب حياتهم، ونمط معيشتهم، وكوّنوا من مناظرها وتفاعلهم معها رؤيتهم للحياة.

- **الكواكب والنجوم:**

إنّ من ضمن مشاهد الليل الجميلة التي تدعو إلى النظر والتأمّل، تاركة في النفس أثراً عميقاً مصحوباً بالعاطفة والوجدان، منظر النجوم اللامعة في كبد السماء. وكان للعرب قبل الإسلام معارف ومعلومات فلكية متفرقة اكتسبها الإنسان الجاهلي من خبرته الطويلة في الصحراء، ومن ليله الصحراوي المظلم الذي وفّر له سماءً صافيةً نقيّة واضحة المعالم.

لقد عرف أبناء العصر الجاهلي أسماء عدد من النجوم السماوية ومواقعها، وحركاتها وسكناتها معرفةً فطريةً طبيعيةً، لا معرفة الدارس الباحث في تفاصيل السماء وما تحتوي من أجرام. وسبب معرفتهم هذه لا شكّ جاءت من احتياجهم إلى علامات وإشارات يسترشدون بها في طرقهم الطويلة، الخالية من الصوى والأمارات باعتبارها صحارى، لذلك؛ اتخذ العرب النجوم وحركاتها ومواقعها أدلةً قويةً يسترشدون بها على مناطق البادية الشاسعة.

---

[1]. هو قيس بن عاصم بن سنان بن منقر بن زيد مناة بن تميم بن مر، يكنى بأبي علي، كان في الجاهلية سيداً بارزاً، وشاعراً فارساً، يرأس قومه في حروبهم، ويقود بني سعد في أيامهم، وبينه وبين البكريين عداء غليظ، وفي الإسلام بقي قيس سيد قومه، وجاء في وفد تميم إلى المدينة فرحّب به الرسول _ عليه الصلاة والسلام_ قائلاً: " هذا سيد أهل الوبر ". انظر: الأصفهاني، الأغاني، 14 : 87. والمرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384هـ)، معجم الشعراء، (تحقيق عباس هاني الجراخ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص199. وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى، بيروت، 1919م، 5 : 258. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص143.

[2]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 148.

[3]. الحوفزان: الحارث بن شريك الشيباني رئيس بني بكر في يوم جدود. القور: الأرض ذات الحجارة الصلبة.

ولقد أقرّ الإسلام ظاهرة الاهتداء بالنجوم في معرفة الطريق، قال سبحانه وتعالى: «وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر»[1] وجاء في القرآن المجيد أيضاً وفي المعنى ذاته، قوله سبحانه وتعالى: «وبالنجم هم يهتدون»[2].

وقد ذكر الجاحظ هذا المعنى بقوله: «عرفوا الآثار في الأرض والرمل، وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء، لأنّ كلّ من كان بالصحاصح ـ حيث لا أمارة ولا هادي، مع حاجته إلى بعد الشقة ـ مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤدّيه. ولحاجته إلى الغيث وفراره من الجدب، وضنّه بالحياة اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث. لأنه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كواكب، ويرى التعاقب بينها والنجوم الثوابت فيها، وما يسير منها مجتمعاً وما يسير منها فارداً، وما يكون منها راجعاً ومستقيماً»[3]. وقد ذكر علقمة الفحل ظاهرة الاهتداء بالكواكب والنجوم في شعره، فقد اهتدى بها في طريقه لممدوحه الذي يرجو معروفه وفضله، فقال [4]:

هداني إليكَ الفَرقدانِ ولاحِبٌ له فوق أصواءِ المِتانِ عُلوبُ [5]

ويستعجب لَقيط بن زُرارة[6] معرفة ابن عمه قراد للطريق دون نجم أو علم، دلالة على اعتمادهم على النجوم في هداية الطريق ومعرفته، يقول لقيط [7]:

كيف اهتَدَيْتَ ولا نجمٌ ولا علَمٌ وكنتَ عندي نؤومَ الليلِ وسْنانا

وأشار شعراء بني تميم في قصائدهم إلى بعض الكواكب وبروج السماء التي كانوا يهتدون بها، والنجوم التي كانوا يستمطرون بنوئها، ووظفوها في صورهم وتشبيهاتهم، ومن ذلك علقمة الفحل الذي

---

1. سورة الأنعام، الآية: 97.
2. سورة النحل، الآية: 16.
3. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)، الحيوان، ط2، (تحقيق عبد السلام هارون)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965، 6 : 30.
4. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص40.
5. قوله هداني إليك الفرقدان: يعني أنه سرى بالليل في سيره إليه فاهتدى بالنجم. اللاحب: الطريق الواضح. المتان: جمع متن، وهو المكان الصلب المستوي. الأصواء: جمع صُوىً، والصوى جمع صوّة، وهي المكان المرتفع. والعلوب: جمع عَلَب، وهو الأثر.
6. هو لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، أبوه زرارة بن عدس سيد شريف في دارم، وابنته دختنوس شاعرة بارزة، كان صاحب شهرة وصيت، رحل إلى ملوك الحيرة ونادمهم، وهو سيد فارس، ترأس تميماً في كثير من أيامها انظر: الأصفهاني، الأغاني، 11 : 146. وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص710. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص311.
7. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص315.

جاء على ذكر النجوم في رحلته التي تكبد فيها شدة الحر، وحرارة الشمس التي غيّرت لونه وأحرقت بشرته فاسودّ لونه، فقال[1]:

وقد عَلَوْتُ قُتودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنْي يوم تجيء به الجوزاءُ مســـمومُ [2]

حامٍ كأنَّ أوارَ النار شـــــامِلُهُ دون الثيابِ ورأسُ المرءِ مَعموم [3]

ومن ذلك أيضاً قول سلامة بن جندل الذي يصور فيه الصحراء الواسعة الممتدة التي لا يهتدي السائر فيها بالأعلام أو الكواكب لاتساعها وامتدادها، يقول ابن جندل[4]:

ودَوِيَّةٍ لا يُهْتَدى لِفَلاتِها بعِرْفانِ أعلامٍ ولا ضوءِ كَوْكَبِ[5]

وذكر الأسود بن يعفر النهشلي عدداً من النجوم التي عرفوها، فقال[6]:

جاد السما كان بقُريانِهِ بالنَّجْمِ والنَّثْرةِ والعَقْرَبِ[7]

وكان العرب قديماً يعتقدون بالنجوم جملة اعتقادات من حيث تأثيرها في الكون، وتصرفها به، فهذا عدي بن زيد العبادي يذكر نجم (العوّا) الذي يطلع في ذنَب البرد فكأنه يعوي في أثره ويطرده، ولذلك تسميه العرب طارد البرد، يقول عدي [8]:

هَنّأناهُم حتى أعانَ عليهمُ نجومٌ من العَوَّا يَنوبُ غُيومُها

---

[1]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص73. ولمزيد من الشواهد: انظر: ص44، ص113.

[2]. يسفعني: أي يحرقني، ويغير لوني، والسفعة: سواد يضرب إلى الحمرة. تجيء به الجوزاء: أي تطلع عليه الجوزاء بمجيئه. المسموم: الشديد الحر.

[3]. حام: أي مستحرّ كالنار الحامية. أورار النار: شدة حرها. شاملة: أي شامل اليوم. دون الثياب: أي يصل حرها من شدته دون الثياب والعمامة، أي يتجاوز ذلك في البدن.

[4]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص120.

[5]. الدوية: المفازة البعيدة الأطراف، وقيل: الدوّ: الفلاة الواسعة، الأعلام: جمع علم، وهو شيء ينصب في الفلوات، تهتدي به الضالة.

[6]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص23.

[7]. النثرة: نجم من نجوم السماء. العقرب: برج من بروج السماء.

[8]. عدي بن زيد، عدي بن زيد بن حماد العبادي (ت35 ق.هـ)، ديوان عدي بن زيد العبادي، (تحقيق محمد جبار المعيبد)، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965، ص167.

ولطالما وصف الشاعر الجاهلي ممدوحه بالنجوم والكواكب لعلوه وسمو منزلته ورفعته، ومن ذلك قول لقيط بن زرارة مفاخراً برفعة قومه بني دارم الذين كانوا سادة كرام النسب، أسود الحرب، وقادة الكتائب إلى حومة الوغى، فهم كالنجوم والكواكب المضيئة في حلكة الليل [1]:

وإنّي من القوم الذين عَرَفْتَهم إذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحِبُهْ
نجومُ سماءٍ كلّما غار كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليهِ كَواكِبُهْ
أضاءتْ لهم أحسابُهُم ووُجوهُهُم دُجى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعُ ثاقِبُهْ [2]

ولا يبتعد أوس بن حجر كثيراً عن المعنى ذاته حين يمدح أسيداً بن عمرو بن تميم وأبناءه فيشبههم بنجوم السماء لرفعتهم وسمو منزلتهم بين قومهم، وشهرتهم بين الناس، يقول أوس [3]:

أسَيّدُ أبناءٌ له قد تتابعوا نجومُ سماءٍ من تميمٍ بمَعْلَمِ

ويمدح الأسود بن يعفر النهشلي كرم قومه لا سيما في الشتاء والقحط، فيقول[4]:

بيضٌ مساميح في الشتاة وإنْ أخْلَفَ نجمٌ عن نوئِهِ وكَلوُا

ومن ذلك أيضاً قول قيس بن عاصم واصفاً شجاعة بني سعد بن زيد مناة في يوم الكلاب الثاني، ومنعتهم، وشدة بأسهم [5]:

عمَّا قليلٍ تلْتَحِقُ أربابُـهْ مثل النجومِ حُسَّراً سحابـه [6]
لِيَمْنَعَنَّ النَّعَمَ اغتِصابُـهْ سعدٌ وفرسانُ الوغى أربابُهْ [7]
صُلَبُ القَناةِ حازماً شبابهْ على جيادٍ ضُمَّرٍ عَيَّابُـهْ

---

[1]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص318.
[2]. الجزع: الخرز اليماني.
[3]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص122.
[4]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص68.
[5]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص156.
[6]. حسّر: لا دروع ولا بيض عليهم لشجاعتهم.
[7]. النعم: الماشية من الإبل وغيرها

وفي السياق ذاته يذكر عمرو بن الأهتم[1] النجم في قوله [2]:

لمّا دَعَتْـــــني للســـيادةِ منقر لدى موطِنٍ أضحى له النَّجمُ باديا [3]

شدَدْتُ لها أزري وقد كنتُ قبْلَها أشدُّ لاحناءِ الأمورِ إزاريـــــــــا [4]

ويفخر زيد بن عمرو[5] بقومه بني يربوع بعد نصرهم الكبير على المناذرة يوم طخفة، قائلاً[6]:

عَلا جدّهم جدّ الملوكِ فأطلقوا بطخفة أبناء الملوكِ على الحـــكمِ [7]

وأيهات من أنقاض قاع بقفرةٍ بدورٍ أنافتْ في السماء على النجمِ [8]

ويشبّه أوس بن حجر الصياد بالكوكب المنقض، فيقول [9]:

وانْقضَّ كالدِّرِّيءِ يتبَعُهُ نَقْعٌ يثورُ تخَالُهُ طُنُبا [10]

يخْفى وأحياناً يلوحُ كما رَفَعَ المنيرُ بكفِّهِ لَهَبا

ويأتي أيضاً على ذكر القمر والكواكب في رثائه لأحدهم، حيث يرى أن الكواكب كسفت لموته، فيقول [11]:

ألمْ تُكْسَفِ الشمسُ والبدرُ والـــ ـكواكبُ للجبلِ الواجِبِ

لفقدِ فُضالَةَ لا تستوي الـــــــــ ـفقودُ ولا خُلَّةُ الذّاهِبِ

---

[1]. هو عمرو بن الأهتم " سنان " بن سمي ين سنان بن خالد بن منقر بن كعب بن زيد متاة بن تميم بن مر. نشأ في أسرة لها الشرف والسيادة، وفيها الشعر والخطابة، وجدّه سمّي من الرؤساء، وأخوه عبد الله جد خالد بن صفوان الخطيب المشهور، عاش عمرو في الجاهلية سيدا شريفاً، وكان شارعراً مجيداً، يلتقي بشعراء تميم: المخبل السعدي، وعبدة بن الطبيب، والزبرقان بن بدر، فيتنادمون ويتفاخرون، وقدم ابن الأهتم إلى المدينة في وفد بني تميم فاسلم وحسن إسلامه، وسأله الرسول عليه السلام عن الزبرقان فمدحه وهجاه. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 2 : 636. والآمدي، الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ)، المؤتلف والمختلف، (تحقيق عبد الستار أحمد فراج)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1961م، ص21. والأصفهاني، الأغاني، 18 : 163. وابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 4 : 285. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 165 – 166.

[2]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص181.

[3]. منقر: قوم الشاعر من بني سعد في تميم.

[4]. أزري: قوتي واستعدادي. احناء الأمور: متاعبها ومصائبها.

[5]. هو زيد بن عمرو بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، شاعر فارس، وله في كتاب بني يربوع أشعار جياد. انظر: الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص60. وابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 3 : 46. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص254.

[6]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص255.

[7]. طخفة: موضع بعد النباج، في طريق البصرة إلى مكة، وقيل: هو جبل أحمر طويل. ويوم طخفة لبني يربوع على المنذر بن ماء السماء الذي أرغم على إعادة الردافة لبني يربوع. انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص255.

[8]. غيهات: هيهات. (من لغة تميم).

[9]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص3.

[10]. النقع: الغبار الساطع. الدريء: الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان. تخاله طنباً: يريد تخاله فسطاطاً مضروباً.

[11]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص10.

ويقترن ذكر النجوم بالحديث عن الهموم والأحزان أحياناً، ومن ذلك قول ذي الخِرَق الطهوي[1]، الذي بات مهموماً مؤرّقاً يراقب النجوم[2]:

إنّي تَذكَّرْتُ مِن ليلى وَجارَتِهـــا ذِكرى فطالَ عليَّ الهَمُّ والأرَقُ

أرْعَى النّجومَ إلى أنْ غابَ آخِرُها أحْيانَ أقْعُدُ تاراتٍ وأرْتَفِـــقُ[3]

وقد ورد في الشعر الجاهليّ بعض أسماء النجوم والكواكب التي كانوا يتابعونها ويهتدون بها في تنقّلاتهم الليلية، مثل الفرقدين و"الدبران"[4] و"العيّوق"[5] والثريّا، والسماكين، والشِعرَيين. ولم يكن شعراء بني تميم بمعزل عن أصحابهم الجاهليين، ولهذا كثر ذكر النجوم في أشعارهم وقصائدهم.

- **السراب:**

تعددت رحلات الشعراء في الصحراء، فوصفوا كلّ ما شاهدوه فيها، وقد كان السراب من أبرز المشاهد التي حظيت باهتمامهم في تلك الرحلات الضاربة في كل وجه وصوب، فكانوا لا بُدّ أن يتطرّقوا في حديثهم عن الصحراء إلى حديثهم عنه، فكانوا " يتناولون في حديثهم عن ارتفاعه الذي يكنّون به عن ارتفاع النهار وشدّة الحرّ، ثمّ يتطرّقون إلى وصف رواحلهم... وهي ترتفع وتنخفض وسط هذا السراب كما تتراءى لهم"[6].

وقد أشار عبدة بن الطبيب إلى السراب وهو يصف ناقته السريعة القوية التي تنجو براكبها، ولا تأبه لحرارة الشمس وكثبان الصحراء، فقال [7]:

---

[1]. هو خليفة بن حمل بن عامر بن حميري بن زيد مناة بن تميم، شاعر جاهلي، له في كتاب بني طهية أشعار جياد، وهو فارس بارز في قومه، ولقب بذي الخرق لبيت من الشعر، انظر: البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج1، ص43. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص156. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ج2، ص746. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص413 – 414.

[2]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص415.

[3]. أرتفق: أتكئ.

[4]. الدبران: نجم أحمر، يعد من أحد منازل القمر. انظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ)، الأنواء في مواسم العرب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1956م، ص37-41.

[5]. العيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن، يتلو الثريا ولا يتقدمه. انظر: ابن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، ص34.

[6]. القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص29.

[7]. عبدة بن الطبيب، عبدة بن يزيد بن عمرو (ت 25هـ)، شعر عبدة بن الطبيب، (تحقيق يحيى الجبوري)، دار التربية، بغداد، 1971، ص84.

عَيْرانةٌ كأتانِ الضَّحْلِ ناجِيَـــــةٌ إذا ترقص بالقوْرِ العَساقيــلُ [1]

من دونِها لِعتاق العِيْسِ إن طَلَبَتْ خَبْتٌ بعيدٌ نياطِ الماءِ مجهولُ [2]

ويذكره مالك بن نويره اليربوعي في قوله [3]:

لَعَمْري إنّي وابن جارودَ كالذي أرَاقَ شعيب الماءِ والآلُ يبْرُقُ[4]

ويصف ضابئ بن الحارث[5] المفازة العظيمة والصحراء المقفرة وشدة حرارتها وكثرة سرابها، فيقول[6]:

تَقَطَّعَ جُونيٌّ القطا دونَ مائِهـــا إذا الآلُ بالبيدِ البَسابس هَرْوَلا[7]

إذا حانَ فيها وَقْعَةُ الرَّكْبِ لمْ تَجِدْ بها العَيْسُ إلا جِلْدَها مُتَعَلَّـلا[8]

ويشبّه ذو الخِرَق الطهوي تيه المرتحلين بالصحراء بعوم الملاحين وسط الأمواج العاتية، فيقول[9]:

شَبَهْتُ قُلَّتَهمْ في الآلِ إذْ عَسَفُـوا حَزْمَ الشُّرَيْفِ تَبارَى فُوْقَهُ زُمَرا[10]

عَوْمَ الصَّراري في غَبْراءَ مُظْلِمَةٍ تَعْلوهُ طوْراً ويَعلوا فوقها تِيَـرا[11]

---

[1]. عيرانة: ناقة قوية تشبه العير في سرعتها ونشاطها. الضحل: الماء القليل، ومنه أتان الضحل لأنه لا يغمرها لقلته، وقيل أتان الضحل: الصخرة بعضها غمره الماء وبعضها ظاهر. ناجية: سريعة تنجو بمن ركبها. القوز (بالفتح): الكثيب الصغير، والجمع أقواز وقيزان. العساقيل : السراب.

[2]. عتاق العيس: جياد الغبل. الخبت: ما اطمأن واتسع من الأرض. نياط الماء: حده ومكانه البعيد.

[3]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص76.

[4]. الشعيب: الزادة والرواية. الآل: السراب.

[5]. هو ضابئ بن الحارث بن أرطأة بن شراحيل بن زيد مناة بن تميم، أمه تدعى الحذاقية، وكان شاعراً هجاء خبيث اللسان، بذيء القول، كثير الشر، وكان عثمان بن عفان _ رضي الله عنه _ يحبس على الهجاء فحبس ضابئاً ثم أطلق سراحه، وهو شاعر فحل وضعه ابن سلام في الطبقة التاسعة من فحول الشعراء في الجاهلية، واعترف الحطيئة بشاعرية ضابئ. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص350. والجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص171. والأصفهاني، الأغاني، ج2، ص182. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص362 – 363.

[6]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص365.

[7]. جوني القطا: ضرب من القطا سود البطون والأجنحة. الآل: السراب. البسابس: القفار.

[8]. الوقعة: النومة في آخر الليل. العيس: الإبل البيض، واحدها أعيس، والأنثى عيساء.

[9]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص420.

[10]. القلة: العدد القليل. والقلة: المفرقون. الآل: السراب. عسفوا: رحلوا وساروا. الشريف: واد لنجد، وقيل: هو كبير نجد وموضع به. انظر: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (تحقيق مصطفى السقا)، ص796. زمر: جماعات.

[11]. الصراري: الملاحون. تير: الموج (فارسي معرب).

- **السحب والأمطار والبرق والرعد:**
  - **السحب[1]:**

يعدّ السحاب عنصراً مهماً من عناصر الطبيعة المتعلقة بالسماء، ومظهراً رائعاً من مظاهرها الخلّابة، وربط شعراء بني تميم بين السحاب والمطر والرياح، فالرياح تسوق السحاب فتلقّحه فينزل الغيث، وجاء ذكره مرتبطاً بالخصب والخير والإمراع، كما اقترن ذكر السحاب بذكر الريح التي تسفي الآثار والرمال، فإذا ساقت الريح سحاباً فنزل المطر، كان المطر مسبباً انمحاء تلك الآثار[2]. قال المخبّل السعدي[3] يصف ما سبّبته الرياح والأمطار التي ساقتها السحب من اندثار ومحو لآثار الديار[4]:

وأرى لها داراً بأَعْدِرَةِ الـــ ـسيْدانِ لم يَدْرُسْ لها رَسْـــمُ[5]
إلا رماداً هامِداً دَفَعَـــــتْ عنهُ الرِّياحُ خَوالِدٌ سُحْـــــمُ[6]
وبقيَّةُ النُّؤي الذي رُفِعَــتْ أعْضَادُهُ فُثَوَى لهُ جِـــــدْمُ[7]
فكَأنَّ ما أبقى البَـــــوارحُ والأمطارُ من عَرَصاتِها الوَشْمُ[8]

ويصف علقمة الفحل ما أصاب أعداء ممدوحه وما نزل بهم من القتل الذريع والاستئصال كأن سحابة جاءت بصواعق فقتلت ما أصاب من الطير، وبقي ما أفلت منها يدب ولا يقدر على الطيران من الفزع، فدبّت تطلب النجاة والتخلص[9]:

كأنَّهُم صابتْ عليهم سحابة صواعِقُها لِطيْرِهِنَّ دبيْبُ

ويدعو متمم بن نويرة السحاب المحملة بالمطر الغزيز أن تصيب الأرض التي حلّ فيها قبر أخيه فتخصب وتزهر، يقول [10]:

---

[1]. السحاب هو الغيم، وسمّي بذلك لانسحابه في الهواء، والجمع سحائب وسحاب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سحب).
[2]. انظر: حسين، عبد القادر، الطبيعة في شعر الحطيئة، ص38.
[3]. هو ربيع بن ربيعة بن عوف بن قتّال بن جعفر... بن زيد بن مناة بن تميم بن مر، لقبه المخبل، وقبيلته بنو سعد، وكنيته أبو زيد، وهو شاعر فحل جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول شعراء الجاهلية، عاش في الجاهلية زمناً طويلاً، وأدرك الإسلام شيخاً كبيراً، ومات في خلافة عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _. انظر: الأصفهاني، الأغاني: 13: 189. والجمحي، طبقات فحول الشعراء، 1 : 149. وابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 2 : 194.
[4]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص110.
[5]. أغدرة السيدان: مكان في ديار بني تميم. الرسم: الأثر.
[6]. هامد: خامد. خوالد: بواقي. سحم: ضاربة إلى السواد.
[7]. النؤي: الحاجز حول البيت. أعضاد: جوانب. ثوى: أقام. الجذم: البقية تبقى من الشيء.
[8]. الوشم: الخضرة تكون في اليد. البوارح: الرياح الشديدة. العرصات: الأماكن والساحات.
[9]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص46.
[10]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص112 -113.

أقولُ وقد طار السّنا في ربابهِ وجونٌ يَسُحُّ الماءَ حينَ تريّعـــا [1]
سقى الله أرضاً حلّها قبرُ مالكٍ ذهابَ الغوادي المدجناتِ فأمْرَعا [2]
وآثر سيلَ الواديين بديمـــــةٍ تُرْشِحُ وسْمِيَّاً من النَّبْتِ خِروَعــا

كما ذكر شعراء بني تميم أنواعاً عديدة للسحب في قصائدهم[3]، فمنها السحب الليلية، ومنها ما يأتي في الغداة، أمّا سحابة الأسود بن يعفر النهشلي، فهي سوارية تمطر ليلاً، فينبت بمطرها العشب والزرع، يقول[4]:

جادة سواريه وآزرَ نبْتُهُ نفّاً من الصفراءِ والزُّبَّادِ [5]

وهي كذلك عند سلامة بن جندل، حيث يقول [6]:

وَمَجَرٌّ ساريةٍ تَجُرُّ ذُيولَها نَوْسَ النَّعامِ، تُناطُ بالأعناق[7]

ويصفها عُميرة بن طارق[8] بالمَنَانة، لأنها سحابة كثيرة المطر، يقول[9]:

ولم يبقَ من نَجدٍ هوىً غيرَ أنَّني تُذكِّرُني ريحُ الجنوبِ ذُرى الهَضَـــبِ[10]
وإنّي أحِبُّ الرَّمْثَ من أرض عاقِلٍ وصوتُ القطا في الطَّلِّ والمَطر الضربِ[11]
فإنْ أكُ من نجْدٍ سقى اللهُ أهْلَـــهُ بمَنَانَةٍ منهُ فقلبـــــي علـــى قُـرْبِ

ويذكر الشاعر التميمي ضابئ بن الحارث السحابة الوطفاء، وهي السحابة التي فيها استرخاء في جوانبها لكثرة الماء، فيقول[12]:

---

[1]. السنا: الضوء. الرباب: السحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه. يسح: يصب. تريع: أي كثر حتى جاء وذهب.
[2]. الذهاب: جمع ذهبة، وهي المطر الغزيرة. الغوادي: التي تأتي بالمطر. المدجنات: السحاب التي تغطي السماء وتملأها. أمرع: أخصب.
[3]. انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص60، ص64، ص107، ص309، ص332. والنهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص38. وأوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص7، ص15، ص57، ص85، ص104. وعدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص37، ص38، ص46، ص51، ص71، ص79، ص85، ص86، ص154.
[4]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص30.
[5]. السواري: جمع سارية، وهي السحابة تمطر ليلاً. النفأ: القطع من النبات المتعرج. الصفراء والزباد: ضربان من العشب.
[6]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص136.
[7]. سارية: سحابة تأتي ليلاً، والجمع: سوار. غادية: تأتي بالنداة. رائحة: تأتي عشياً. ذيولها: مآخيرها. النوط: التعليق. وتناط: تعلّق. يريد أن السحابة تُشبّه بالنعام. والمنوط: المعلّق في استرخاء.
[8]. هو عميرة بن طارق بن حصبة بن أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، شاعر جاهلي، وفارس من فرسان بني يربوع الأشداء. انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص219.
[9]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص227.
[10]. ذرى الهضب: المرتفعات.
[11]. الرمث: نبات من الفلوات.
[12]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص366.

فباتَ إلى أرْطأةِ حِقْفٍ تَلُفُّـهُ شآمِيَّةٌ تُذْري الجُمانَ المُفضَّلا[1]

يُوائِلُ مِن وَطْفاءَ لمْ يَرَ ليلةً أشَدُّ أذىً منها عليهِ وأطْـوَلا[2]

وتعرّض شعراء بني تميم لبعض أنواع السحب خلال أحاديثهم عن هبوب ريح الشمال الباردة، التي كانت تحمل إليهم القحط والجدب، وفي ذلك الوقت كانوا يتفاخرون بالكرم والضيافة، كقول عمرو بن الأهتم [3]:

ومُسْتَنْبِحٍ بعدَ الهُدوءِ دعوتُهُ وقد حانَ من نجمِ الشتاءِ خُفُوقُ[4]

يُعالِجُ عِرنيْناً من الليلِ بـارداً تلُفُّ رياحٌ ثـوبُهُ وبُـــــرُوقُ[5]

تألَّقَ في عيْنٍ من المُزْنِ وادِقٍ لهُ هيْدَبٌ داني السَّحابِ دَفُـوقُ[6]

ويفخر في ذلك أيضاً الشاعر التميمي الزّبرقان بن بدر[7]، بقوله [8]:

نحنُ الكِرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنـــــا مِنّا المُلوكُ وفيْنا تُنْصَبُ البيَـعُ[9]

ونحنُ نُطْعِمُ عند القَحْطِ مَطْعَمَنا مِن الشِّواءِ إذا لم يُؤْنَس القزَعُ[10]

ويذكر علقمة الفحل خلال عتابه لمحبوبته سحاب المزن الذي يأتي قبل الصيف، وهو أحسن السحاب، ويدعو لها بسقيا السحاب الذي يهب من الجنوب وقت الغروب، فهو أكثر وأغزر مطراً، ولأن رياح الجنوب ألقح الرياح، وأجلبها للغيث، فيقول [11]:

فلا تعْدِلي بيني وبينَ مُغَمَّـرٍ سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حيثُ تَصوبُ[1]

---

[1]. الأرطأة: واحدها الأرطي، وهو شجر ينبت بالرمل، وله نور ورائحة طيبة. الحقف: ما اعوجّ من الرمل. شآمية: ريح.

[2]. يوائل: يحاذر ويلتمس الملجأ ويطلب النجاء. الوطفاء: السحابة التي فيها استرخاء في جوانبها لكثرة الماء.

[3]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص167.

[4]. المستنبح: الرجل يضل الطريق فينبح لتجيبه الكلاب. بعد الهدوء: ليلاً.

[5]. العرنين: أول الليل، والعرنين الأنف.

[6]. عين: مطر أيام. وادق: دان من الأرض.

[7]. هو حصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن زيد مناة بن تميم بن مر، من رهط عريق في الشرف والسيادة، عاش في الجاهلية سيداً فارساً، نزّاعاً طموحاً لمراتب الشرف والسؤدد في قومه، وكان كاتباً مشهوراً، وشاعراً محسناً، يلتقي بشعراء تميم فيتناشدون الأشعار، ويتبادرون المفاخر، ونال حصين هجاء مراً من المخبل السعدي والحطيئة، وذكر ابن سلام أنه شاعر مفلق، وجاء الزبرقان شاعراً في وفد بني تميم، وأنشد فخراً برهطه وقبيلته أمام الرسول _ عليه السلام _ فولّاه صدقات قومه بني عوف، وأصبح صحابياً جليلاً عظيم القدر في الإسلام. انظر: الأصفهاني، الأغاني، 1 : 117. والبغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، (تحقيق وشرح عبد السلام هارون)، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، 3 : 207. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص187. والجمحي، طبقات فحول الشعراء، 1 : 117. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص185 – 186.

[8]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص187.

[9]. البيع: مواطن الصلوات والعبادات، واحدتها: بيعة.

[10]. القزع: السحاب الرقيق، يريد إذا خلفهم المطر فأجدبت أرضهم.

[11]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص34.

سقاكِ يمانٍ ذو حَبيٍّ وعارضٍ تروحُ بهِ جُنْحَ العَشِيِّ جَنـــوبُ[2]

ويؤكد أوس بن حجر المعنى ذاته في وصفه لسحاب المزن التي تأتي من الجنوب بقوله [3]:

هَبَّتْ جَنوبٌ بأعلاهُ ومالَ بهِ أعْجازُ مُزْنٍ يَسُحُّ المـــــاءَ دَلَّاح[4]

فالْتَجَّ أعلاهُ ثمَّ ارْتَجَّ أسْفَلُهُ وضاقَ دَرْعَاً بحمْلِ الماءِ مُنْصاح[5]

ويشبّه عدي بن زيد العبادي أسنان محبوبته التي يفترّ عنها ثغرها الباسم بأنها كزهر الأقحوان الذي أصابه ماء السحاب النقي؛ فزاده لمعاناً وبريقاً، يقول عدي [6]:

راعَني منها بَنانٌ ناعِمٌ كَسِيورِ القِدِّ في مِثْلِ البَـــرَدْ [7]

وشَنِيْبٌ كالأقاحِي شابَهُ نُضْحُ ماء الزَنْ في غير صَرَدْ [8]

كما يشبّه سلامة بن جندل الجيش بالسحاب الممتد، يقول [9]:

وَمَوْقِفْنا في غير دار تَنِيَّةٍ ومُلْحَقْنا بالعارض المُتَأَلّق [10]

- **الأمطار:**

المطر ينبوع حياة العرب، إذ كانوا يجوبون بطون الأودية ارتياداً للكلأ، وطلباً للعشب، وسعياً وراء الماء، لأنهم أحوج الناس إليه؛ إذ به حصول معيشهم من السقي والرعي، فلمّا كانت السماء تمطر مطراً كافياً، كانت الفرحة والبشر يعمّان بلاد العرب، إذ تُغاث الأرض وتُكسى حُلّة سندسيةً جميلة، وتُزال الغبرة عن وجهها، وتغدو فرحة مستبشرة بعد عبوس وكآبة؛ فتهيج الأرض وتنبت

---

[1]. لا تعدلي: لا تساوي. المغمّر: الجاهل الذي لم يجرّب الأمور، كأن الجهل غمره واستولى عليه. روايا المزن: ما حمل الماء منه. الراوية: البعير يستسقى عليه. يصوب: يقصد وينزل.

[2]. عارض: سحاب معترض في الأفق متراكب. المزن: سحاب أبيض يأتي قبل الصيف، واحدته: مزنة. الحَبيّ: السحاب المتصل بعضه ببعض والقريب من الأرض. سقاك يمان: أي سحاب نشأن من ناحية اليمن، من مهب الجنوب. جنح العشي: يريد حين جنحت الشمس للغروب، وإنما خصّ العشي؛ لأن شأبيبه أكثر وأغزر، وخصّ الجنوب لأنها ألقح الرياح، وأجلبها للغيث.

[3]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص16.

[4]. الجنوب: ريح تأتي بمطر غزير. الأعجاز: جمع عجز، وهو مؤخر الشيء. المزن: السحب الأبيض. دلاح: مثقل بالماء.

[5]. التجّ: صوّت، وهو من اللجة. منصاح: منشق الماء.

[6]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص42.

[7]. البنان: الإصبع. القد: الجلد غير المدبوغ.

[8]. شنب فلان: كان أبض الاسنان حسنها، فهو أشنب وشنيب. الأقاحي: جمع أقحوانة، وهي نبتة أوراق زهرها مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان. شابه: خالطه. النضح: رشاش الماء. المزن: السحاب. الصرد: البحت الخالص من كل شيء، والمراد ماء السحاب غير المخلوط بشيء.

[9]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص163.

[10]. تنية: مكث وتلبّث. متألق: يبرق ويضيء. العارض: الجيش، شُبّه بالعارض من السحاب.

نبتاً أخضر، يكون بهجة للناظرين وطعاماً شهياً للإبل ولبقيّة حيواناتهم، تقبل عليه إقبالاً شديداً، فتشبع وتصحّ أجسامها، ويكثر نسلها.

وبهطول المطر ترتسم علامات الفرحة على وجه البدوي، ويشعر بنشوة عظيمة، وتمثلت هذه الفرحة والنشوة في وقفات الشعراء الطويلة وهم ينظرون إلى السماء، والمطر، والبرق، والرعد، فتعلوهم الغبطة بالمنظر الرائع.[1]

وقد وصف شعراء بني تميم المطر الهادي والمطر اللين، والوابل والهطّال، والمطر المنقطع والمتصل، ومطر كل ساعة من ساعات النهار والليل. فهذا عدي بن زيد العبادي يصف ما يجود به السحاب من مطر غزير تتفجر به منابع الماء، فيقول[2]:

فرَوَّى قُلَّة الأدْحالِ وَبْلٌ فَفَلْجاً فالنَّبيِّ فذا كَـــــريْبِ[3]

فمِنْهُ دِيمَة وَطْفاءُ سَكْبٌ وذو نَزَلٍ تَفرَّعُ في السُّيوبِ[4]

ومن أهمّ أنواع المطرالذي يحبّه العرب المطر الوسميّ، وهو المطر الربيعيّ الذي ينبت العشب الذي تتغذّى عليه دوابهم وسائمتهم، ويتجلّى ذلك في قول عبدة بن الطبيب يصف مطر الوسمي في شهر صفر، وما تفيد منه الأرض من خصب ونبت[5]:

وعازبٍ جادَهُ الوَسْمِيُّ في صَفَرٍ تَسْري الذِّهابُ عليهِ فهو موْبولُ [6]

ويذكره أيضاً متمم بن نويرة اليربوعي بقوله [7]:

وآثر سيلَ الواديين بديمـــــةٍ تُرْشِحُ وسْمِيَّاً من النَّبْتِ خِروَعــا

وللمطر أسماء دالّة على مقدار مائه، فمن أنواعه: الوابل والغيداق، وهما يعبّران عن المطر الغزير[1]، وما أروع وصف عدي بن زيد العبادي للمطر الغزير الذي جادت به سحابة ليلية مثقلة

---

1. انظر: أبو سويلم، أنور عليان (1987)، المطر في الشعر الجاهلي، عمان: دار عمار، ص11. والحوفي، أحمد محمد، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص33-51. والقيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص58-64.
2. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص38.
3. قلة الشيء: أعلاه. الأدحال: جمع دحل، وهو حفرة غامضة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل. الوبل: المطر. فلج: اسم واد بطريق البصرة إلى مكة. ذو كريب: موضع بالجزيرة.
4. الديمة: المطر. وطفاء: صفة للسحاب الممطرة. النزل: جمع أنزال، وهو المطر. السيوب: جمع سيب، وهو مجرى الماء.
5. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص75.
6. العازب: المتنحي، يريد كالأعزب عن الناس فلم يرعه أحد. جاده: أصابه بجود. الوسمي: المطر الذي يسم الأرض بشيء من النبت. تسري: تسير بالليل. الذّهاب: جمع ذهبة، وهي دفعات من المطر، وأراد أنها تصيبه ليلاً، ومطر الليل أحمد عندهم من مطر النهار. الموبول: الذي أصابه الوبل، وهو مطر عظام القطر شديد الوقع.
7. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص113.

بالماء فهي تسير كالكسير بكل أناة وهدوء، وقد استفرغتها ريح الشمال، فأسبلت مطرها الغزير، وذلك في قوله[2]:

وحَبيٍّ بعدَ الهُدُوِّ تُزَجِّيـــ ـــهِ شَمَالٌ كما يُزَجَّى الكَسيرُ[3]

مَرِحٌ وَبْلُهُ يَسُحُّ سُيولَ الـ ـسماءِ سَحّاً كأنّهُ مَنْحـــورُ[4]

ومرة ثانية يعود عدي لوصف المطر الوابل وذلك في قوله[5]:

يُغْرِقُ المَطرودَ منهُ وابلٌ ضابطُ الوَعْثِ ضَبوعٌ في الجَدَدْ[6]

وذكّر المطر الوابل علقمة الفحل بمحبوبته، بعدما أصاب ديارها فأبانها وأظهر معالمها، فقال[7]:

وَذَكَّرنيْها بعدَما قد نَسِيْتُها ديارٌ علاها وابلٌ مُتَبَعِّقُ[8]

وأطلق عليه أوس بن حجر لفظ المستكف، وهو المطر الهاطل الغزير، فقال[9]:

إنّي أرقْتُ ولمْ تَأرَقْ معي صاح لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْدَ الَّنومْ لَوَّاح

وأسماه تارة أخرى "مسبل"، حين قال [10]:

وَقَتْلى كَمِثْلِ جُذوعِ النَّخيلِ تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ

ومن أسماء المطر _أيضاً_ الرذاذ، وهو الخفيف الهيّن، ويذكره علقمة الفحل بقوله [11]:

حتّى تَذَكَّرَ بَيْضاتٍ وَهَيَّجَهُ يومُ رذاذٍ عليهِ الريحُ مغيومُ[12]

---

[1]. انظر: قناوي، عبد العظيم علي، الوصف في الشعر العربي، ص50.
[2]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص86.
[3]. الحبي: السحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض. تزجيه: تسوقه.
[4]. مرح السحاب: إذا أسبل المطر. والمرح : خروج الدمع إذا كثر. سح المطر: إذا تتابع غزيراً.
[5]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص44.
[6]. الوعث: المكان السهل الكثير الدهس، الذي تغيب فيه الأقدام. ضبع البعير ضبوعاً: أسرع في سيره فمدّ ضبعيه. الجدد: طرق تخالف لون الجبل.
[7]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص128.
[8]. علاها: نزل عليها. الوابل: المطر الغزير. متبعق: مندفع بالماء فجأة.
[9]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص15.
[10]. المصدر نفسه، ص30.
[11]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص59.
[12]. الرذاذ: القطر الصغار. عليه الريح: أي اشتملت عليه الريح في شدة. المغيوم: الذي ألبسه الغيم.

وفي جانب آخر نجد سلامة بن جندل يصف خوف الاعداء منهم وتفرقهم كأنهم أصابتهم دفعة من مطر ففرقت شملهم وشتت جمعهم، يقول[1] :

كأنهمُ كانوا ظِباءً بصَفْصَفٍ أفاءَت عليهمْ غَبْيَةٌ ذاتُ مَصْدَق[2]

كما ذكر متمم بن نويرة اليربوعي أمطار أوّل الصيف وأول الربيع مشبهاً أخاه مالكاً بهما، مدللاً بهما على نائله وجوده الذي يغمر به الناس حوله، ممن يطلبون جوده وفضله، ولا سيما ضيوفه، فلطالما تغنّى شعراء بني تميم بالكرم عند هطول المطر، واشتداد البرد، وقلّة الطعام، وذكروا إطعامهم الناس في وقت الشدّة، يقول[3]:

فتىً لم يَعِشْ يوماً بذمٍّ ولم يَزَلْ حوالَيْهِ ممن يَجْتَديهِ رُبوعُ[4]

لهُ تَبَعٌ قد يَعلَمُ الناسُ أنَّهُ على مَن يُداني صَيِّفٌ وربيعُ[5]

وراحتْ لِقاحُ الحيِّ جُدْباً تسوقُها شآميَّةٌ تزوي الوجوهَ سفوعُ[6]

وكان إذا ما الضيفُ حلَّ بمالكٍ تَضَمَّنَهُ جارٌ أشَمُّ منيعُ

وصفوة القول، لقد شكّل المطر للعربي علامة للخصب، وكان المطر يعني لهم الحياة، ولذلك أفاضوا في ذكره، وتعددت أسماؤه لديهم، وتناولوه في جل أشعارهم، ولشدّة اهتمامهم به اعتنوا بنجوم السماء وأبراجها، وربطوها بمواسم المطر والجفاف.

---

[1]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص169.

[2]. الصفصف: ما استوى من الأرض ولا رمل فيه. أفاءت: رجعت. غبية: دفعة من مطر. مَصدَق: شدّة.

[3]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص103 – 104.

[4]. يجتديه: يطلب ما عنده. الربوع: جمع ربع، والربع المنزل.

[5]. الصيّف: المطر الذي يجيء في الصيف. والربيع: المطر الذي يجيء في الربيع.

[6]. اللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب. راحت: أي راحت اللقاح إلى أهلها من شدة الريح والبرد، وذلك أيام الجدب. شآمية: أي ريح شآمية. تزوي: تقبض من شدتها. السفوع: التي تسفع الوجه.

- **الرعد والبرق:**

مثلما اهتمّ العربي بالمطر، عُني كذلك بما يصاحبه من برق، ورعد، وصواعق، فالبرق مبشر بالمطر، وشدّة صوت الرعد كانت ترعب العرب، وفي هذا المقام قال عدي بن زيد العبادي مشبهاً البرق في سرعة وميضه بالنار في الأشنان، ومشبهاً صوت الرعد بقرع الدفوف في الأعراس[1]:

مِثْلُ نارِ الحَرَّاضِ يَجْلو ذُرَى المُزْ ... نِ لِمَنْ شامَهُ إذا يَسْتَطيرْ[2]

زَجِلٌ عَجْزُهُ يَجـــــــلو بُهُ دُفٌّ ... لخُونٍ مَأدوبَةٍ وَزَمـــيرْ[3]

وشبّه أوس بن حجر صوت قوسه إذا أرسلت بصوت الرعد لقوتها ومتانتها، فقال[4]:

وَصَفْراءَ مِن نَبْعٍ كأنّ نَذيْرَها ... إذا لمْ تُخَفِّضْهُ عن الوَحشِ أفْكَلُ [5]

وفي صورةٍ أخرى، يمدح أوس بن حجر سيفه، فيصف بأنه أبيض هندي، ذو حد لامع متلألئ مثل البرق في السحب الليلية ([6]):

وأبْيَضَ هنْدِيًّا كأنّ غِرارَهُ ... تَلَألُؤُ بَرْقٍ في حَبيٍّ تَكَلَّلا [7]

وقد تعرّض شعراء بني تميم للبرق من خلال أحاديثهم عن الشوق والبعاد، فارتبط ذكره بذكر أحبتهم، فها هو أوس بن حجر يشبّه البرق بضوء المصباح الذي يرقبه طوال ليله، فيسهره ويقضّ مضجعه، وهو في الوقت ذاته مبشر بالمطر الغزير، فيقول [8]:

قدْ نِمْتَ عنّي وباتَ البَرْقُ يُسْهِرُني ... كما اسْتضاءَ يهوديٌّ بمِصْبـــــاح

يا مَن لِبَرْقٍ أبيتُ الليلَ أرْقُبُـــــهُ ... في عارضٍ كَمُضيْءِ الصُّبْحِ لَمَّاح[9]

دانٍ مُسِفٍّ فوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُـــهُ ... يكادُ يَدْفَعُهُ مَن قامَ بالـــــــرَّاح[10]

كأنَّ رَيِّقَهُ لمّا علا شَطِبـــــــاً ... أقرابُ أبْلَقَ يَنْفي الخَيْلَ رَمَّـــــاح[1]

---

[1]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص85.

[2]. الحراض: الذي يحرق الجص ويوقد النار. المزن: السحاب. شام البرق: نظر إليه إلى أين يتّجه وأين يمطر.

[3]. زجل: طرب وغنى، والزجل: سحاب ذو زجل، أي ذو رعد. الخون: جمع خوان، وهو الذي يؤكل عليه (أعجمي معرب). المأدوبة: المأدبة التي يدعى إليها الناس.

[4]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص96.

[5]. النبع: شجر مرن تؤخذ منه القسي. نذيرها: صوتها. الأفكل: الرعدة. إذا لم تخفضه: من خفض الصوت، وهو كناية عن الضرب بها وإرسالها، فإنها إذا أرسلت صوتت.

[6]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص84.

[7]. الغِرار: حد السيف. الحبي: ما حبا من السحاب، أي ارتفع وأشرف. وتكلل السحاب: صار بعضه فوق بعض، وهو أشد لإضاءة البرق.

[8]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص15.

[9]. العارض: هو السحاب الذي يتعرض على وجه السماء، أو الذي يسبقه برق شديد الوميض.

[10]. هيدب السحاب: هو ما تهدّب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط.

كما وظّف المخبّل السعدي صوت الرعد في صور وتشبيهاتٍ عديدة، فنجده يشبّه صوت الخيل حول حياضها بوقع المطر ودويّ الرعد، فيقول[2]:

لها لَجَبٌ حول الحِياض كأنَّهُ تجاوبُ أغْياثٍ لَهُنَّ هَزِيْمُ[3]

ومن ذلك أيضاً وصف أوس بن حجر الدقيق الرائع لحالة جويّة هبّت فيها ريح الجنوب المحملة بالمطر الغزير الذي يسوق أمامه كل ما يعترضه، وما يسبقه من وميض البرق ودويّ الرعد، يقول[4]:

هَبَّتْ جَنوبٌ بأعلاهُ ومالَ بـــهِ أعْجازُ مُزْنٍ يَسُحُّ المـــــاءَ دَلَّاح[5]
فالْتَجَّ أعلاهُ ثمَّ ارْتَجَّ أسْفَلُـــــهُ وضاقَ دَرْعَاً بحمْلِ الماءِ مُنْصاح[6]
كأنَّما بينَ أعلاهُ وأسْفَلِـــــــهِ رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضوءُ مصبـــــاح[7]

يَنْزِعُ جلدَ الحَصى أحجَشَّ مُبْترِكٌ كأنَّهُ فاحِصٌ أو لاعِبٌ دَاحـــــي[8]
فَمَنْ بنَجْوَتِهِ كَمَنْ بمَحْفَلِـــــــهِ والمُسْتَكِنُّ كمن يمشي بـــقِرْواح[9]

- **الرّياح:**

فرّقت العرب قديماً بين الرياح، ووضعت لكل منها اسماً يختلف باختلاف مناطق هبوبها، وأهمّها:

---

[1]. شطب: اسم جبل في بلاد بني تميم. أقراب أبلق: يعني أن البرق إذا برق رأيت الذي يضيئه لم من السحاب أبيض والباقي أسود. ينفي الخيل: يطردها.

[2]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص124.

[3]. أغياث: جمع غيث. هزيم: صوت الرعد.

[4]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص16.

[5]. الجنوب: ريح تأتي بمطر غزير. الأعجاز: جمع عجز، وهو مؤخر الشيء. المزن: السحب الأبيض. دلاح: مثقل بالماء.

[6]. التجّ: صوّت، وهو من اللجة. منصاح: منشق الماء.

[7]. الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة إا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين. منشرة: منشورة.

[8]. أجش: غليظ الصوت، وهو صفة للرعد الذي يصحب هذا السحاب. المبترك: من ابترك، أي أسرع في العد وجدّ فيه. الفاحص: هو الذي يقلّب وجه التراب كما تفعل القطاة حين تشق أفحوصتها. الداخي: هو الذي يلعب بالمدحاة، وهي خشبة يدحي بها الصبي فتمر على وجه الأرض لا تأتي على شيء إلا اجتحفته

[9]. النجوة: ما ارتفع من الأرض. المحفل: مستقر الماء. القرواح: الأرض المستوية الظاهرة. المستكن: الذي في بيته. والمعنى المراد اطباق الأرض فمن كان في الارتفاع كمن كان في الاستواء، ومن كان في ظهر الصحراء كمن هو في بطنها.

- **ريح الصَّبا**

الصَّبا ريح تأتي من الشرق الى الغرب، وتهبّ من المشرق، وتأتي في آخر الليل حيث يكون الجوّ بارداً، وتستمرّ حتى طلوع الشمس فتبدأ حرارتها بالارتفاع بشكل نسبيّ، وهي ريح لطيفة خفيفة تريح المزاج. وقد أحبّها العرب لأنها تسوق السحب، وتجلب المطر والري والخصب.[1]

وعُرفت رياح الصبا في الجاهلية والإسلام برياح أبي عقيل، وذلك نسبة إلى الشاعر العربيّ المخضرم لبيد بن ربيعة العامريّ، الذي كان شريفاً قبل الإسلام وبعده ، وكان قد نذر أن يُطعم ما هبّت الصبا، ويبقى كذلك إلى أن تنقضي. ويذكرها لبيد مفتخراً بنفسه قائلاً[2]:

وصَبَاً غَداةَ إقامَةٍ وزَّعْتُها بجِفَـــــانِ شِيزَى فَوْقَهُنَّ سَنَامُ

ويذكرها عدي بن زيد العبادي في حديثه عن حتمية الموت مشبّهاً الأموات بالورق الجاف الذي تحرّكه الرياح وتنقله من مكان لآخر، فيقول[3]:

ثمَّ بعدَ الفلاح والمُلْكِ والـ ـإمَّةِ وارَتْهُمُ هناكَ القُبُـــــورُ[4]

ثمَّ أصبَحوا كأنَّهُمْ ورَقٌ جَـ ـفَّ فألْوَتْ بهِ الصَّبا والدَّبور[5]

---

[1]. انظر: القيسي، نوري، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص41. والحوفي، أحمد محمد،أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 53-58.

[2]. لبيد العامري، لبيد بن ربيعة بن مالك (ت41هـ)، ديوان لبيد بن ربيعة، (قدم له ووضع فهارسه وهوامشه حنا نصر الحمي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م، ص198. الشيزى: خشب أسود تتخذ منه الجفان.

[3]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص89 – 90.

[4]. الفلاح: البقاء. الإمة: النعمة.

[5]. ألوت: ذهبت به. الصبا: ريح، ومثلها: الدبور.

- **الرياح الشماليّة**

هي الريح التي تهوي من مطلع الشام، مهبّها من بلاد العرب في ما يلي الشام، وكان العرب يكرهونها لبردها، وذهابها بالغيم، والمطر، والخصب، ويسمّونها الشاميّة[1]. ووصف ضابئ بن الحارث شدّة هبوب رياح الشمال وبردها قائلاً[2]:

فباتَ إلى أرْطَأةِ حِقْفٍ تَلُفُّـهُ شآمِيَّةٌ تُذْري الجُمانَ المُفَضَّلا[3]
يُوائِلُ مِن وَطْفاءَ لمْ يَرَ ليلةً أشَدُّ أذىً منها عليهِ وأطْـوَلا[4]

وكان شعراء بني تميم يشيرون إلى الأوقات التي تهبّ فيها رياح الشمال الباردة، وما يعقبها من قحط ومحل وجدب بالسنين، لأنّ هذه الأوقات تجلب الشدائد، وفيها يقلّ الطعام، ومن أجل ذلك تمادحوا بالقِرى فيها، ومن هؤلاء الشعراء متمم بن نويرة الذي يذكر الرياح الشآمية في معرض رثائه لأخيه مالك وهو يصف كرمه وجوده في أيام القحط والجدب حين تسفع رياح الشمال الوجوه لشدة بردها، فهو حين تهبّ الرياح القويّة ويشتدّ البرد، يكفّه بإطعام الطعام وإيقاد النيران، قال متمم[5]:

فتىً لم يَعِشْ يوماً بذمٍّ ولـم يَزَلْ حوالَيْهِ ممن يَجْتَديهِ رُبـوعُ[6]
لهُ تَبَعٌ قد يَعلَمُ الناسُ أنَّـــــهُ على مَن يُداني صَيِّفٌ وربيعُ[7]

وراحتْ لِقاحُ الحيِّ جُدْباً تسوقُها شآميَّةٌ تزوي الوجوهَ سفوعُ[8]
وكان إذا ما الضيفُ حلَّ بمـــالكٍ تَضَمَّنَهُ جارٌ أشَمُّ مـــــنيعُ

ومرّة ثانية، تضطرّ رياح الشمال حيوان الصحراء إلى الكنيف، وهي الحظيرة من الشجر التي تجعل للإبل لتقيها البرد، علّها تجد تحتها شيئاً من الحماية، وشدة الرياح ترفع وتقلع ذلك الكنيف، قال متمم بن نويرة اليربوعي[1]:

---

1. انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص53. والحوفي، أحمد محمد، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 32.
2. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص366.
3. الأرطأة: واحدها الأرطي، وهو شجر ينبت بالرمل، وله نور ورائحة طيبة. الحقف: ما اعوجّ من الرمل. شآمية: ريح.
4. يوائل: يحاذر ويلتمس الملجأ ويطلب النجاء. الوطفاء: السحابة التي فيها استرخاء في جوانبها لكثرة الماء.
5. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص104.
6. يجتديه: يطلب ما عنده. الربوع: جمع ربع، والربع المنزل.
7. الصيّف: المطر الذي يجيء في الصيف. والربيع: المطر الذي يجيء في الربيع.
8. اللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب. راحت: أي راحت اللقاح إلى أهلها من شدة الريح والبرد، وذلك أيام الجدب. شآمية: أي ريح شآمية. تزوي: تقبض من شدتها. السفوع: التي تسفع الوجه.

فعَيْنَيَّ هَلَّا تبكيانِ لمالـــــكٍ إذا أذْرَتْ الريحُ الكَنيْفَ المُرَفَّعا[2]

وَهَبَّتْ شمالاً مِن تجاهِ أظايفٍ إذا صَادَفَتْ كَفَّ المفيضِ تَقَفَّعا[3]

كما ذكرها عبدة بن الطبيب في قوله [4]:

إذا الديكُ يدعو بعضَ أسرَتِهِ لدى الصَّباح وهمْ قومٌ معازيْـــــلُ[5]

إلى التِّجار فأعدانِي بلَذَّتِـــهِ رخْوُ الإزار كَصَدْر السيْفِ مَشْمولُ[6]

وقد حفِل ديوان أوس بن حجر بأبياتٍ وصف فيها عظم الكرم وأهمية العطاء عند هبوب الرياح، وشدة برد الشتاء وانعدام النبات، يقول[7]:

إنَّ الذي جَمّعَ السَّماحَةَ والنَّـــ ـــجْدَةَ والحَزْمَ والقُوى جُمَـــعَا

الألْمَعِيَّ الذي يَظُنُّ لكَ الظَّـــــ ـــنَّ كأنْ قدْ رأى وقدْ سَمِعـــا[8]

والحافِظَ النّاسَ في تحوطٍ إذا لم يُرسلوا تحْتَ عائذٍ رُبَعَـــا[9]

وازْدَحَمَتْ حَلْقَتَا البطانِ بأقْـــ وَامٍ وطَارتْ نفوسُهُمْ جَزَعَـا[10]

وَعَزَّتْ الشَّمْألُ الرياحَ وقـــــدْ أمْسى كَمِيْعُ الفَتاةِ مُلْتَفِعـــا[11]

- **الريح الجنوبيّة**

---

[1]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص109.

[2]. أذرت: ألقت. الكنيف: الحظيرة من شجر تجعل للإبل لتقيها البرد. المرفع: المرفوع، وشدة الريح تذري وتقلع الكنيف المرفوع.

[3]. أظايف: جبل لطيء طويل.

[4]. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص79.

[5]. أسرته: قومه، يعني الديوك. بعض أسرته: أي بعض حيه، أي يدعو من لا يجيبه بسلاح من الدجاج، وهم القوم المعازيل. والمعازيل: الذين لا سلاح لهم.

[6]. التجار: الخمارون. أعداني: أعانني. رخو الإزار: يجر إزاره من الخيلاء. كصدر السيف: أي كمضائه، ويقال في حسنه. مشمول: أي تصيبه أريحية للسخاء وكأنها ريح الشمال، أي تهب له ريح كأنها الشمال من ارتياحه للمعروف وبذل الخير، وقيل: رجل مشمول: إذا كان حلو الشمائل.

[7]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص53 – 54.

[8]. الألمعي: الحديد اللسان والقلب.

[9]. تحوط: للسنة الجدبة. لم يرسلوا خلف عائذ ربعا: ةفالعائذ الحديثة النتاج، والربع الذي ينتج في الربيع، ومن ةشأنهم في سنة الجدب أن ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر الأمهات.

[10]. ازدحمت حلقتا البطان: مثل يقوال إذا بلغ الأمر في المكروه حدّه.

[11]. وعزّت الشمأل الرياح: غلبتها، وتلك علامة الجدب وذهاب الأمطار. وقوله: وقد أمسى كميع الفتاة: فالكميع: الضجيع، وهو الكمع. ملتفعاً: يقال: تلفّع في مطرفه وفي كسائه إذا تلفف وتزمل فيه، فيقول: من شدة الصر يلتفع به دون ضجيعه. واللفاع: اللحاف. يقول: أمسى كميع الفتاة مجانباً لها لا يريدها من الجهد والبرد وشدة الزمان.

هي ريح تأتي من الجنوب إلى الشمال، ومهبّها من اليمن، وتسمى الأزيب، وهي الريح اليمانيّة. وكان العرب يحبّونها لأنها مقترنة بالمطر الغزير. ويصف الأسود بن يعفر الخير الذي تأتي به الرياح، فيقول[1]:

جَرَتْ الرِّياحُ على مكان دِيارهِم فكأنَّما كانوا على ميعــادِ
ولَقَدْ غَنَوا فيها بأنْعَمَ عيْشَـــــةٍ في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتادِ

ويذكر علقمة الفحل خلال عتابه لمحبوبته الرياح الجنوبية التي تأتي من جهة اليمن، وهي أحسن الرياح، ويدعو لها بسقيا السحاب الذي يهب من الجنوب وقت الغروب، فهو أكثر وأغزر مطراً، ولأن رياح الجنوب ألقح الرياح، وأجلبها للغيث، فيقول [2]:

فلا تعْدِلي بيني وبينَ مُغَمَّــرٍ سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حيثُ تَصوبُ[3]
سقاكِ يمانٍ ذو حَبيٍّ وعارضٍ تروحُ بهِ جُنْحَ العَشِيِّ جَنـــوبُ[4]

ويؤكد أوس بن حجر المعنى ذاته في وصفه للرياح الجنوبية التي تأتي تحمل السحاب المثقل بالمطر بقوله [5]:

هَبَّتْ جَنوبٌ بأعلاهُ ومالَ بهِ أعْجازُ مُزْنٍ يَسُحُّ المـــــاءَ دَلَّاح[6]
فالتَجَّ أعلاهُ ثمَّ ارْتَجَّ أسْفَلُهُ وضاقَ ذَرْعَاً بحمْلِ الماءِ مُنْصاح[7]

ويصف عدي بن زيد العبادي السقيا التي تأتي بها ريح الجنوب بقوله[8]:

فسَقَى البَطْنَ فالبَسيطةَ فالحِرْ نَيْنِ يَهْدي لوَجْهِهِ وَيَحورُ[9]

---

[1]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص27.
[2]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص34.
[3]. لا تعدلي: لا تساوي. المغمّر: الجاهل الذي لم يجرّب الأمور، كأن الجهل غمره واستولى عليه. روايا المزن: ما حمل الماء منه. الراوية: البعير يستسقى عليه. يصوب: يقصد وينزل.
[4]. عارض: سحاب معترض في الأفق متراكب. المزن: سحاب أبيض يأتي قبل الصيف، واحدته: مزنة. الحَبيّ: السحاب المتصل بعضه ببعض والقريب من الأرض. سقاك يمان: أي سحاب نشأن من ناحية اليمن، من مهب الجنوب. جنح العشي: يريد حين جنحت الشمس للغروب، وإنما خصّ العشي؛ لأن شأبيبه أكثر وأغزر، وخصّ الجنوب لأنها ألقح الرياح، وأجلبها للغيث.
[5]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص16.
[6]. الجنوب: ريح تأتي بمطر غزير. الأعجاز: جمع عجز، وهو مؤخر الشيء. المزن: السحب الأبيض. دلاح: مثقل بالماء.
[7]. التجّ: صوّت، وهو من اللجة. منصاح: منشق الماء.
[8]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص86.
[9]. البطن والبسيطة والحرنين: أسماء أماكن.

فاسْتَدَرَّتْ بهِ الجَنوبُ على الحِرِ ثَّةِ فالحنْوِ سَيْلُهُ مَقْصورُ[1]

لقد جاء حديث شعراء بني تميم عن الرياح وقد اقترنت بالسحاب والأمطار في بعض الأحيان، وأحياناً أخرى يذكرونها وقد سفّت الرمال ومحت الآثار. يقول عدي بن زيد العبادي واصفاً اقتران الرياح الباردة بالسحاب والأمطار مسمياً أياها بـ " الشفان "[2] :

في كِناسٍ ظاهِرٍ يَسْتُرُهُ مِن عَلِ الشَّفَّانِ هُدَّابُ الدِّثَنْ[3]

أمّا في طمس الرياح للآثار، ومحوها لمعالم الديار ومنازل الأحباب، فنلحظه في قول المخبّل السّعدي[4]:

وأرَى لها داراً بأغْدِرَةِ الـ ـسِيْدلنِ لمْ يَدْرُسْ لها رَسْمُ[5]
إلا رماداً هامِداً دَفَعَتْ عنهُ الرياحَ خَوَالدٌ سُحْمُ[6]
فكَأنَّ ما أبقى البَوارحَ والأمْطارُ في عَرَصاتِها الوَشْمُ[7]

وفي المعنى ذاته يقول الأسود بن يعفرالنهشلي [8]:

أبينت رسم الدار أم لم تُبين لسلمى عَفَتْ بينَ الكُلابِ وتيْمن
كأنَّ بقايا رسمِها بعدما حلّت لكالريح منها عن محلٍّ مُدَمن

ويصف عَبدة بن الطبيب تعاقب الرياح الشآمية والجنوبية على الديار وسفّها للتراب بقوله[9]:

شآميّةٌ تُجْزي الجَنوبَ يَقْرضُها مِراراً فوافٍ كيْلُها وَمُحَلَّقُ[10]

---

[1]. استدرت الريح السحاب: استحلبته. الجنوب: الريح التي تهب منها. الحرنة: بحاء وكسرتين، قرية باليمامة وفي وسط العارض لبني عدي ابن حنيفة.
[2]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص177.
[3]. الكناس: بيت الظبي. جئت من عل: أي من أعلى كذا. الشفان: الريح الباردة مع المطر.
[4]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص110.
[5]. أغدرة السيدان: مكان في ديار بني تميم. الرسم: الأثر.
[6]. هامد: خامد. خوالد: بواقي. سحم: ضاربة إلى السواد.
[7]. الوشم: الخضرة تكون في اليد. البوارح: الرياح الشديدة. العرصات: الأماكن والساحات.
[8]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص63.
[9]. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص55.
[10]. محلق: ممتلئ. يقول: إن ريح الجنوب والشمال تختلفان على الدار وتتقارضان سفى التراب عليها. فإذا جاءت نوبة الشمال ملأتها تارة ونقصت من الملء أخرى.

وأسماها سلامة بن جندل الرياح "الروامس"؛ لأنها تأتي بالتراب فترمُسُ به كل شيء، وتدفنه، وتغطّيه[1]:

هاجَ المنازلُ رحْلَةَ المُشتـــاق دِمَنٌ وآياتٌ لَبثْنَ بَواقـــــي[2]

لَبسَ الرّوامسُ والجديدُ بلاهما فَتُرِكْنَ مِثْلَ المُهْرَق الأخْلاق[3]

- **ريح الدَّبور**

هي الرياح التي تهبّ من الغرب إلى الشرق، وتعاكس الصبا في اتجاهها، وتسمّى الريح العقيم، وقد ذُكرت في كتاب الله -عزّ وجلّ- في قوله تعالى: "وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريحَ العقيم"[2]. والعرب تكره الدبور لأنها تجفل السحاب، ويقل فيها المطر، ويكون فيها الرهج، ولا تهبّ إلّا بشدة، فتكاد تقتلع البيوت، وتأتي على الزروع.[4] وقد ورد ذكر هذه الريح في شعر عدي بن زيد في حديثه عن حتمية الفناء، فيقول[5]:

ثمَّ بعدَ الفَلاح والمُلْكِ والـــ إمَّةِ وارَتْهُمُ هناكَ القُبُـــــورُ[6]

ثمَّ أصبَحوا كأنَّهُمْ ورَقٌ جَـ ـفَّ فألْوَتْ بهِ الصَّبا والدَّبور[7]

- **ريح السَّموم**

هي رياح عنيفة حارّة جافّة، تتحرك هذه الرياح في قالب دوائر رملية حاملة معها حبّات الرمل وسمّيت بالسّموم بسبب حرارتها، وجفافها، والأضرار التي تسبّبها. وقد تناول بعض شعراء بني تميم ريح السموم في أشعارهم، وأطلق بعضهم عليها اسم " الحَرُور "؛ لشدة حرارتها وجفافها، ويتضح ذلك في قول عمرو بن الأهتم[8]:

---

[1]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص135.
[2]. الدمنة: آثار الناس وما سوّدوا. آيات: علامات وآثار.
[3]. الروامس: الرياح التي تأتي بالتراب فترمس به كل شيء. الجديد: الدهر. المهرق: الصحيفة.
[4]. الرهج:الغبار. انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص57.
[5]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص89 – 90.
[6]. الفلاح: البقاء. الإمة: النعمة.
[7]. ألوت: ذهبت به. الصبا: ريح، ومثلها: الدبور.
[8]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص172.

وكائِنْ من مصيفٍ لا تراني أعَرِّسُ فيهِ تَسْعَفُني الحَرُورُ[1]

- **النَّكباء**

هي كلُّ ريحٍ وقَعَتْ بين ريحين، والعرب تسميها نكباء؛ لأنها نكبت عن مهابّ الريح، أي عدلت، وهبوبها في أيام الشتاء. وقلّ ورودها في شعر شعراء بني تميم، والظاهر أنّها كانت غير متميّزة لديهم كغيرها من الرياح التي تعرّضوا لها. وقد ذكرها سلامة بن جندل في معرض وصفه للديار والأطلال، حيث قال [2]:

وَمَجَرٌّ سارِيةٍ تَجُرُّ ذُيولَهـــــا نَوْسَ النَّعامِ، تُناطُ بالأعناق[3]
مِصْرِيَّةٍ، نَكْباءَ أعْرَضَ شيْمُها بأشابَةٍ، فزَرودَ، فالأفْلاق[4]
هَتَكَتْ على عُوذِ النِّعاج بيوتَها فَيَقَعْنَ للرُّكبـاتِ والأرواق[5]

- **المياه:**

" أجمع المؤرخون والباحثون على أن جزيرة العرب كانت تختلف اختلافاً كليّاً من حيث وفرة المياه، والخصب، وكثرة الأمطار، والشعر الجاهلي يحفل بإشارات كثيرة إلى الغدران، والجداول، والعيون، والسيول، والوديان، وكثيراً ما كان يأتي ذكر بعض هذه المظاهر في حديث الشعراء عن قدراتهم على اجتياز المسالك الصعبة، وقطع مجاهل الأرض في جرأة، غير محتاجين إلى وصف الواصف، أو هداية الدليل."[6]

وكان العرب في فجر تاريخهم البعيد ينظرون إلى المياه نظرة تقديس؛ لأنها مورد الخصب والنماء، وواهبة الخير والبركة، فكانوا ينشدون الأراجيز في أثناء حفر الآبار، وينظمون بعضها لمدح مائهم، أو لذمّ ماء غيرهم من الآبار.[7]

---

[1]. المصيف: حيث يقيم في الصيف. التعريس: النزول من آخر الليل. تسعفني: تغير لوني. الحرور: الريح الحارة بالليل، وقد تكون في النهار.
[2]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص136.
[3]. سارية: سحابة تأتي ليلاً، والجمع: سوار. غادية: تأتي بالنداة. رائحة: تأتي عشياً. ذيولها: مآخيرها. النوط: التعليق. وتناط: تعلّق. يريد أن السحابة تُشبّه بالنعام. والمنوط: المعلّق في استرخاء.
[4]. مصرية: أي جاءت من نحو مصر. شَيْمُها: مطرها.
[5]. هتكت: دخلت عليهن. العوذ: جمع عائذ، وهي الحديثة النتاج. الأرواق: القرون. الواحد: رَوْقٌ.
[6]. القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص41.
[7]. المصدر نفسه ص43.

وقد ورد ذكر بعض الآبار وعيون الماء في معرض حديث شعراء بني تميم عن انتصاراتهم وأيّامهم، ومنهم عُميْرة بن طارق، الذي مدح قومه بني يربوع الذين انتصروا على بني بكر بن وائل في يوم ذي طلوح[1]:

وَمَرَّت على وَحْشِيِّها وَتَذَكَّرَتْ نَصِيًّا وماءً مِن عَبيَّةَ أسْحَمَـــا[2]

فقامَتْ عليهِ واسْتَقَرَّ قرورُها مِن الأيْنِ والنَّكْراءِ في آلِ أزْنَما[3]

وأشار ضَمْرة بن ضَمرة [4] إلى انتصارات قومه بني نهشل في قوله ذاكراً مواطن الماء ومواضعه[5]:

الآنَ ساغَ لي الشَّرابُ ولم أكُـــنْ آتِي التِّجارَ ولا أشُدُّ تَكَلُّمـــي[6]

حتى صَبَحْتُ على الشُّقوق بغارَةٍ كالتَّمْرِ يَنْثُرُ في حَرير الحُرَّمِ[7]

وورد ذكرالأنهار في شعر مالك بن نويرة اليربوعي، حين وصف يوم الغبيط بين بني شيبان وتميم، عندما أغار بنو شيبان على بني يربوع، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ووصف عطش القوم في الفلاة وشدة ظمئهم حتى بلغ بهم الأمر أن استبالوا الخيل وشربوا بولها، فقال[8]:

إذا ما اسْتَبالوا الخيلَ كانتْ أكُفُّهم وقائِعَ للأبوالِ والماءُ أبـــــرَدُ

كأنّهم إذ يَعْصِرونَ فُظوظَهـــــا بدِجلةَ أو فيضِ الخريبةِ موردُ[9]

كما أشار شعراء بني تميم إلى مواضع عيون الماء في حديثهم عن محبوباتهم، وأماكن إقامتهن، وشوقهم إليهن، ومن هؤلاء علقمة الفحل الذي يذكر النواعير في حديثه عن محبوبته قائلاً[10]:

---

[1]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص221.

[2]. النص: نبات رطب. أسحم: أسود. الوحشي: الجانب الأيمن. عبية وعبائب: ماءان لبني قيس ببطن فلج، وفلج ماء لبني العنبر.

[3]. قرور وقرار معنى واحد. الأين: التعب. أزنم: هو أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع قوم الشاعر، والناقة وصلت منازل بني أزنم.

[4]. هو ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن زيد مناة بن تميم بن مر، شاعر جاهلي اسمه في الأصل شِق، سمّاه النعمان بن المنذر ضمرة فغلبت عليه هذه التسمية، عاش سيداً فارساً، وخطيباً شاعراً، وكان أحد حكام بني تميم. انظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 2 : 583. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص276.

[5]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص284.

[6]. التجار: الذين يبيعون الخمر. لا أشد تكلمي: لم يسكر، ولم يسترخ لسانه.

[7]. الشقوق: من مياه ضبة بأرض اليمامة. والشقيق ماء لبني أسيد بن عمرو من تميم. انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، 5 : 283. حرير الحرم: كانت غارة نثرت فيها الرؤوس كما ينثر التمر في ثياب النساء.

[8]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص64.

[9]. الفظوظ: جمع فظ، وهو الماء يخرج من الكرش لغلظ مشربه، الحزيبة: موضع بالبصرة.

[10]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص123.

للماءِ والنّار في قلبي وفي كَبدي من قِسْمَةِ الشَّوق ساعورُ وناعورُ[1]

وأشار عدي بن زيد العبادي إلى ماء دجلة والخابور في حديثه عن حتمية الفناء والموت، يقول[2]:

وبنو الأصْفر الملوكِ ملوكُ الـــ ـــرُّومِ لم يبقَ منهمُ مَذكـــورُ
وأخو الحَضْرِ إذ بناهُ وإذ دِجْـــ ـــلَةُ تُجْبَى إليهِ والخابـــورُ[3]
وتأمّلْ ربَّ الخَوَرْنَق إذ أشْـــ ـــرَفَ يوماً وللهُدى تفكـــيرُ[4]
سَرَّهُ مالُهُ وكَثرةُ ما يمـــ ـــلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً والسَّديرُ[5]
ثمَّ بعدَ الفلاح والمُلْكِ والـــ إمَّةِ وارَتْهُمُ هناكَ القُبـــورُ[6]

وذكر عدي بن زيد العبادي مجاري الماء في قوله[7]:

فُمِنْهُ دِيْمَةٌ وَطْفاءُ سَكْبٌ وَذو نَزَلٍ تَفَرَّعُ في السِّيوبِ[8]

ووظف الأسود بن يعفر النهشلي البحر في تقريعه لأبناء سلمى بن جندل الذين يتهددونه ويتوعدونه في مجالسهم، فيقول[9]:

هُمُ أوردوكُم ضَفَّةِ البَحْرِ طامياً وهم تركوكُم بين خازٍ وناكِسِ[10]

وقد وظّف شعراء بني تميم وفرة مياه الأنهار وعذوبة الغدران وعيون الماء في صورهم المتنوّعة وتشبيهاتهم، فهذا أوس بن حجر يهجو بني تميم ويقرّعهم رافضاً أن يسقي ناقته من مياه آبارهم وغدرانهم، يقول أوس[11]:

يالَ تميمٍ وَذو قارٍ لهُ حضدَبٌ منَ الرّبيع وفي شعبانَ مَسْجـورُ[12]
قدْ حَلَّأتْ ناقتي بُرْدٌ وَرَاكِبَها عن ماءِ بَصْوَةَ يوماً وهو مَهْجورُ[1]

---

[1]. الساعور: التنور. الناعور: واحد النواعير، وهي التي يسقى بها، يديرها الماء، ولها صوت.
[2]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص87 -88.، ولمزيد من الشواهد: انظر: ص120.
[3]. الحضر: تقع بقايا مدينة الحضر في منخفض من بادية ما بين نهري دجلة والفرات. الخابور: نهران بهذا الاسم. والمقصود هنا: الخابور الأكبر، وهو من روافد نهر الفرات، يتصل بالفرات برأس العين وماردين ونصيبين.
[4]. الخورنق: قصر للنعمان بظهر الحيرة.
[5]. أراد بالبحر هنا: الفرات. البحر معرضاً: أي متسعاً. السدير: أحد قصور النعمان في الحيرة.
[6]. الفاح: البقاء. الإمة: النعمة.
[7]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص38.
[8]. الديمة: المطر. وطفاء: صفة للسحاب الممطرة. النزل: جمع أنزال، وهو المطر. السيوب: جمع سيب، وهو مجرى الماء.
[9]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص43.
[10]. خازٍ: من الخزي، إذا ذل وهان. الناكس: المطأطئ رأسه.
[11]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص44.
[12]. ذو قار: واد على ثلاث من منى. الحدب: ارتفاع الماء في النهر أو الوادي. مسجور: مملوء.

قومٌ لِئامٌ وفي أعناقِهِم عُنُفٌ وسَعيُهُم دونَ سعي الناسِ مَبهورُ[2]

وكثيراً ما كان شعراء بني تميم يشبّهون الدروع الرقيقة النسج لصفائها بالغدران، قال سلامة بن جندل[3]:

لَبسوا منَ الماذِيِّ كُلَّ مفاضَةٍ كالنَّهْي يومَ رياحِهِ الرَّقراق[4]
مِنْ نَسْجِ داودَ وآلِ مُحَـــرَّقٍ غالٍ غرائبُهُنَّ في الآفـــاق[5]

والتشبيه ذاته كان لدى أوس بن حجر، حيث شبّه بريق الدرع ببريق الماء حين تحرّكه الريح على وجه الغدير، فقال [6]:

وأمْلَسَ صُولِيَّاً كَنَهْي قرارَةٍ أحَسَ بقاعِ نَفْحَ ريْحٍ فأجْفَلا[7]

كما شبه علقمة الفحل الظعائن بالنخل الطوال، وتلك النخل يطيلها النهر ويحسّنها[8]:

تسقِي مَذانِبَ قد زالتْ عَصيْفَتُها حُدُورُها من أتِيِّ الماءِ مَطمومُ[9]

ومن جانب آخر فقد شبّه شعراء بني تميم العطايا الجزلة بالنهر الهائج، أو الوادي المتراكب الموج، أو بالغدير وبالخليج الدافق. ويتجلّى ذلك في شعر عدي بن زيد، إذ يصف عطاء أحدهم وجوده، فهو يفيض كرماً كما يفيض البحر، وتتلاحق أفضاله وأعطياته كتلاحق أمواج البحر[10]:

عَفُّ المَكاسِبِ ما تَكْدِي خُساسَتُهُ كالبَحْرِ يُلْحِقُ بالتَّيَّار تَيَّار

---

[1]. حلأت الناقة: منعتها من الورود. بصوة: ماء بذي قار كان لحي من إياد يقال لهم بنو برد. مجهور: قد كسح أو أخرجت حمأته فهو أغزر لمائه وأعذب.
[2]. عنف: غلظ وصلابة. مبهور: مغلوب لا يرتجى خيره. السعي: العمل.
[3]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص149.
[4]. الماذي: دروع بيض. مفاضة: سابغة طويلة. النهي: الغدير. رقراق: يترقرق فيه الماء.
[5]. آل محرق: هاهنا ملوك الحيرة، والدروع النفيسة كثيراً ما تنسب إلى داود _ عليه السلام _ ومحرّق اللخمي. غرائب: مفردها غريبة، وهي صفة للدروع التي تكون بعيدة عن موطن صناعتها أو التي يكثر تداولها.
[6]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص84.
[7]. الأملس: الدرع الناعم المشدود. صولياً: نسبة إلى صول. النهي: غدير الماء.
[8]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص55.
[9]. قد زالت عصيفتها: أي تفرّق ورقها، وانفتحت وتباينت من الرّي. والعصيفة: الورق، وقيل: العصيفة: رؤوس الزرع. المذانب: مسايل الماء. حدورها: ما انحدر منها واطمأن. الأتي: الجدول، وأراد به هنا ما يسيل من الماء في الجدول. المطموم: المملوء بالماء.
[10]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص54. ولمزيد من الشواهد: انظر: ص60.

- **الأشجار والنباتات**

كانت الأشجار في شعر الجاهلية وصدر الإسلام أكثر وروداً موازنة مع النباتات والأزهار؛ لما لها من أهمية بالغة في كثير من مجالات الحياة المختلفة.[1] أمّا النباتات الصحراوية، فتسعى للحصول على شيء من الماء القليل المتوافر في أماكن وجوده، ثم لا تعيش منها سوى بعض النباتات التي أخذت كفايتها من الماء، ولذلك؛ تكون الثغرات واسعة بين نبتة وأخرى، وتذبل النباتات التي لم تحصل على الماء الكافي.

- **النخيل:**

النخل شجر من الفصيلة النخيلية [2]، وقيل: شجر التمر، والجمع نخلٌ، ونخيل، ونخلات. ومفرده: نخلة. [3] وتعدّ النخلة من أشهر الأشجار المنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية، فقد وجد النخيل في كثير من أماكنها، وخاصة الأماكن التي يتوفّر فيها الماء، حتى وإن كانت كميّته قليلة، لأنّه يقاوم
العطش، ويكتفي بالماء القليل، وقد أصبحت النخلة رمزاً شامخاً من رموز الصحراء.[4] وشجرة النخيل شجرة مباركة، خصها الله بفضائل كثيرة، حيث ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في أكثر من عشرين آيةً[5].

وقد استمدّ شعراء بني تميم من النخيل بأشكاله، وألوانه، وثمره، وأوصافه صوراً وتشبيهاتٍ عديدة، فنجد عبدة بن الطبيب يصف طريق سير الناقة كأنه منسوج من سعف النخل، فيقول[6]:

وما يَزالُ لها شأوٌ يُوَقِّـــــرُهُ مُحَرَّفٌ من سيور الغَرْفِ مَجْدولُ[7]

إذا تَجاهَدَ سيْرُ القومِ في شَرَكٍ كأنّهُ شَطَبٌ بالسَّرْوِ مَرْمـــــولُ[1]

---

[1]. انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص67.

[2]. عيسى، أحمد (1981)، معجم أسماء النبات، (ط2)، بيروت: دار الرائد العربي، ص138. ومصطفى، إبراهيم أنيس وآخرون (1981)، المعجم الوسيط، (ط2)، القاهرة: مطابع دار المعارف. والجوهري، إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحضارة العربية، بيروت، 1974م. مادة (نخل).

[3]. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نخل).

[4]. انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص70.

[5]. (والنخل باسقات لها طلعٌ نضيد) سورة ق، الآية: (10). وسورة مريم: الآية (23). وسورة يس، الآية: (34).

[6]. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص60-61.

[7]. الشأو: الطلق، يقال جرى الفرس شأواً أو شأوين أي طلقاً أو طلقين، يوقره: يكف عنه. المحرف: الزمام والجديل له حرف من الضفر، والمحرف: له حروف. الغرف: ما دبغ بالتمر ودقيق الشعير، وهي جلود يقال لها الغرفية، وهو يريد أن الزمام والجديل من ذلك.

وتفيض دموع متمم وتستهل عبراته حتى كأنها ماء يفيض من الدلاء التي تسقى بها أصول النخل وجذوعه، يقول متمم بن نويرة اليربوعي [2]:

إذا عبرَةٌ ورَّعْتها بعد عبـــرةٍ أبَتْ واستَهَلَّتْ عَبْرَةٌ ودموعُ[3]

كما فاضَ غَرْبٌ بينَ أقْرُنِ قامَةٍ يُرَوِّي دِياراً مــاؤهُ وزُروعُ[4]

أمّا عدي بن زيد العبادي، فيشبّه الرؤوس الدقيقة من النعام أو الناس بسعف النخل، فيقول[5]:

كُلُّ صَعْلٍ كأنَّما شَقَّ فيهِ سَعَفَ الشَّرْيِ شَفْرَتا مِقْراضِ[6]

وشبّه متمم بن نويرة اليربوعي بعض الرجال بالنخلة التي لا فائدة ترتجى منها، فلا هي مثمرة ولا مظللة، لكنك تعدها من النخل عدداً واسماً وحسب، يقول متمم[7]:

وبعضُ الرّجالِ نخلةٌ لا جنى لها ولا ظِلٌّ إلا أن تُعَدَّ من النَّخْـــلِ

وجعل شعراء بني تميم الخيل طرفاً في تشبيهاتهم، فالخيل الطويلة، التامّة الخلق، المرتفعة، هي أيضاً كالنخيل في ارتفاعه، قال سلامة بن جندل في وصفه للفرس[8]:

والعادِياتُ أسابيُّ الدِّماءِ بها كأنَّ أعناقها أنْصابُ ترْجِيْبِ[9]

ومن ذلك أيضاً قول عدي بن زيد العبادي مشبّها عنق الخيل بالنخل لطولها واشتدادها[10]:

لهُ عُنُقٌ مثلَ جِذْعِ السَّحو ق وأُذْنٌ مُصَنَّعَةٌ كالقَلَمْ[1]

---

[1]. تجاهد: اشتد. الشرك: الطريق المنقاد، الواحدة: شركة. الشطب: سعف النخل تتخذ من ليطه الحصر تعملها النساء. السرو: سرو اليمن وهو أعلاه. وأصل السرو الارتفاع. مرمول: منسوج.

[2]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص102.

[3]. ورّعتها: كففتها. استهلت: انصبّت ولها وقع. العبرة: الدمعة.

[4]. الغرب: الدلو العظيمة. القامة: بكرة البئر. وأقرن: جمع قرن، يريد قرن البكرة. الديار: سواق تكون في أصول النخل.

[5]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص137.

[6]. الصعل: الدقيق الرأس من النعام أو النخل أو الناس. الشري: النخل ينبت من النواة، والواحدة: شرية.

[7]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص133.

[8]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص98.

[9]. العاديات: الخيل. الأسابي: واحدتها إسباءة، وهو الدم المراق، ويقال ألوان الدم، ويقال طرائق الدم. الأنصاب: جمع نَصب، وهي حجارة تنصب ليذبح عليها. الترجيب: أن تميل النخلة في أحد شقيها، فيؤتى بحجارة فتدعم بها من الشق المائل.

[10]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص169.

وشبّه شعراء بني تميم الهوادج الظاعنة في علوّها واهتزازها، بالنخيل تعلو في الفضاء، ومنهم الأسود بن يعفر الذي شبّه الظعائن بالنخل المرتفع السامق الذي تراه العين عن بعد، يقول[2]:

تبَصَّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ غَدَوْن لِبيْنٍ من نوى الـــــحيِّ أبَيّن

فأضْحَت تراءها العيونُ كأنـــها على الشرف الأعلى نخيل ابن يامِنِ

كما شبّه بعض شعراء الدراسة منظر النخلة وقد تدلّت عذوقها بظعون الأحبّة، وفي ذلك يقول أوس ابن حجر في صورة مشابهة للتي عند الأسود بن يعفر النهشلي [3]:

وكأنَّ ظُعْنَ الحيِّ مُدْبِرَةٌ نَخْلٌ بزَارَةَ حَمْلُهُ السُّعُدُ[4]

وفي صورة أخرى، نجد أوس بن حجر يعكس التشبيه المألوف، فيشبّه القتلى بجذوع النخيل قائلاً[5]:

وقتْلى كَمِثْلِ جُذوعِ النّخيلِ تَغْشَاهُمُ مُسْبَلٌ مُنْهَمِرْ[6]

- **شجر الجبال: النبع، والسرّاء، والضالة، وغيرها.**

أمّا النبع[7]، والسرّاء[8]، والضالة[9] فأشجار اتّخذ العرب منها القسيّ والسهام، حتى أصبح مجرّد ذكرها يحدد السلاح المقصود منه.

ومن ذلك ذكر المخبّل السعدي للشوحط، وهو يصف سهام الرامي من خزاعة، فقال[10]:

وكأنَّ خِلْفَتَهَا قطيْفَةُ شَوْحَطٍ عَطِفٌ بَراهَا من خُزاعَةَ باري[11]

---

[1]. السحوق من النخل: الطويلة. ويقال للأذن اللطيفة الدقيقة: مصنّعة.

[2]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص63.

[3]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص22.

[4]. زارة: حي من أزد السراة، أو هي الأجمة عامة. السعد: ضرب من رديء التمر.

[5]. المصدر نفسه، ص30.

[6]. الجذوع: جمع جذع، وهو ساق النخلة. المسبل: المطر.

[7]. "النبع شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي" انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادّة (نبع). وقيل: "شجر أصفرالعود رزينه، إذا تقادم أحمر، والنبع، والشوحط، والشريان، شجرة واحدة، ولكنها تختلف أسماؤها لاختلاف منابتها، فما كان في قلّة الجبل فهو النبع، وما كان في سفحه فهو الشوحط، وما كان في الحضيض فهو الشريان، وهو شجر لا نار فيه".

[8]. السراء: شجر من شجر القسي، والواحدة سراءة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرأ). والزبيدي، تاج العروس، مادة (سرأ).

[9]. الضال هو "السدر ما كان عذبا" . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضيل). "والضال من شجر الشوك إذا نبت على شط النهر قيل له العبري، والضال هو السدر الجبلي. والجبلي أرقّ عوداً من النهري". ومن أسمائه الضال (ذو الشوك)، الأشكل هو السدر البري الراضب، وسلم (نوع من السدر الشائك لا يثمر)". انظر: عيسى، أحمد، معجم أسماء النبات، ص142.

[10]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص108.

[11]. شوحط: شجر تتخذ منه القسي، وهي الطويلة من الأشياء. الباري: صانع سهام في خزاعة.

وذكر عدي بن زيد العبادي شجر الشوحط الذي يُتّخذ منه القسيّ في قوله [1]:

دَعَا صُرَدٌ يَوماً على عودِ شَوْحَطِ وصاحَ بذاتِ البَيْنِ منها غُرابُها[2]

فقلتُ: أتَصْرِيْدٌ وَشَحْطٌ وغُرْبَـــةٌ فهذا لعمري نأيُها واغْتِرابُهـــا[3]

وقال علقمة الفحل يفخر بنفسه، مشبّها إياها بالسهم النفيس المعلوم بالفوز المتّخذ من شجر النبع، فهو لا يخفى على أحد لكرمه وجوده[4]:

وقد يَسَرْتُ إذا ما الجوعُ كُلْفهُ مُعَقَّبٌ من قِداح النَّبْع مقرُومُ[5]

وتارة أخرى يذكر علقمة شجر الشريان الذي تتخذ منه القسي المجوّدة الصنع، فترزق لذلك الصيد الوفير وتأتي بالخير لصاحبها، يقول علقمة الفحل[6]:

وفي الشِّمالِ مِن الشَّرْيان مُطعَمَةٌ كَبْدَاءُ في عَجْسِها عَطْفٌ وَتَقويْمُ[7]

كما ورد ذكر شجر الضال في حديث عبدة بن الطبيب عن الظباء، يقول[8]:

كأنّ ابنة الزَّيْدِيِّ يومَ لَقِيْتُهـــــا هُنَيْدَةَ مكحولُ المدامعِ مُرْشِـــقُ[9]

تُراعِي خَذولاً يَنْفُضُ المُرْدَ شادِناً تَنوشُ من الضَّالِ القِذافَ وتَعْلَقُ [10]

واستمدّ شعراء بني تميم من صلابة هذه الأشجار صوراً وتشبيهاتٍ استعملوها في مواضع الصلابة والشدّة [11]، ومن ذلك وصف أوس بن حجر الدقيق لرمحه المصنوع من شجر النبع، فهو

---

[1]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص195.

[2]. الصرد: طائر ضخم الرأس أبيض البطن أخضر الظهر يصطاد صغار الطير.

[3]. التصريد: قطع الشرب.

[4]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص77.

[5]. يسرت: فهو ميسر يطعم ضعاف الحي إذا اشتد الزمان، وكان لا ييسر في ذلك الوقت إلا المعروف بالجود والكرم. معقب: أي قدحاً مشدوداً بالعقب. والعقب: عصب تعمل منه الأوتار، ومعقب: أي يفوز اليوم ويعقب غداً فيفوز، أي يفوز فوزاً بعد فوز. النبع: من أكرم شجر القسي والقداح. المقروم: الذي حُزَّ عليه بالأسنان، ليكون ذلك أبلغ علامة يُعرف بها.

[6]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص136.

[7]. وفي الشمال مطعمة: أي قوس تطعِم صاحبها، فهو مرزوق. الشريان: شجر من عضاه الجبال يعمل منه القسي، واحدتها شريانة. كبداء: عظيمة الوسط. العجس: مقبض القوس.

[8]. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص52.

[9]. هنيدة: تصغير هند، وهي ابنة الزيدي. مكحول المدامع: ظبية شديدة سواد العين. مرشق: أي تمد عنقها وتشرئب لتنظر، والمرشق التي معها ولدها.

[10]. الخذول: ولد الظبية الذي تخلف عنها. المرد: ثمر الأراك. شادن: شدن الظبي إذا قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه. الضال: السدر الكبرى. القذاف: ما أطاقت تناوله ورميه.

[11]. وفي المثل قيل: "أصلب من عود النبع". انظر: الميداني، مجمع الأمثال، 1 : 575.

رمح مستوٍ ليس فيه تفاوت ولا اختلاف، إذا هززته هزّ كله، يختار له القضيب الصغير الذي ينبت في أصل الشجر، ويتركه ليشرب ماء لحائه ليكون أصلب وأقوى، ويدعه في الظل ليجف برهة من الزمن، ولا يتركه تحت قيظ الشمس فيتكسر، ويشبّهه بسراج يعلو منارة صنعها النجار، وهو رمح لدن إذا أرسل به صوّت وأرعد، وهو في وصفه هذا يذكر عدداً من نبات الجبل، مثل؛ البان، والظيان، والزنف، والشوحط، والحثيل، والسراء[1]:

مَعِي مارنٌ لَدْنٌ يُخَلّي طَرِيْقَـــهُ سِنانٌ كَنِبْراسِ النَّهامِيِّ مِنْجَـــــلُ[2]
تَقَاكَ بكَعْبٍ واحـــــــدٍ وَتَئِـدُّهُ يَدَاكَ إذا ما هُزَّ بالكَفِّ يَعْسِـــــلُ[3]
وَصَفراءَ من نَبْعٍ كأنَّ نَدِيْرَهـا إذا لم تُخَفِّضْهُ عن الوَحْشِ أفْكَـــلُ[4]

تَعَلَّمَها في غِيْلِها وهْيَ حَظْوَةٌ بوادٍ بهِ نَبْعٌ طِوالٌ وَحِثْيَـــــــــلُ[5]
وبانٌ وَظَيَّانٌ وَرَنْفٌ وَشوحَـطٌ ألفُّ أثيثٌ ناعِمٌ مُتَغَيِّـــــــــــلُ[6]
فَمَظَّعَهَا حَوْلَيْنِ ماءَ لِحائِهـــا تُعالى على ظَهْرِ العريشِ وتُنْـــزَلُ[7]
فَمَلَّكَ باللَّيْطِ الذي تَحْتَ قِشْرِها كَغِرْقِيءِ بيْضٍ كَنَّهُ القَيْضُ من علُ[8]
وأزْعَجَهُ أنْ قيلَ شَنَّانَ ما ترى إليكَ وَعُودٌ مِن سَرَاءٍ مُعَطَّـــــلُ[9]

ويذكر أوس بن حجر أيضاً شجر الضال في وصفه لمنطق أحدهم الذي كان من السوء والفساد حتى أنه ليفسد أطيب الروائح التي تأتي من شجر الأرطى والضال، فيقول[10]:

تَلَقَّيْتَنِي يومَ النُّجَيْرِ بمَنْطِـــقٍ تَرَوَّحُ أرْطى سُعْدَ منهُ وَضالَها[11]

ويشبّه سلامة بن جندل ضمور جماعة من حمر الوحش ونحولهن بالقسي التي تتخذ من نبات السَّراء، فيقول[1]:

---

[1]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص96 -97.
[2]. مارن: يعني رمحاً ليناً. يخلي طريقه: أي أن السنان يقدمه فلا يقدر أحد أن يدنو منه. النبراس: السراج. النهامي: النجار. فكأن السراج على منارة عملها النجار. منجل: واسع الجراح.
[3]. تقاك: اتقاك. تلذه يداك: أي لا يثقلهما حمله. يعسل: يضطرب ويهتز.
[4]. نذيرها: صوتها. الأفكل: الرعدة. إذا لم تخفضه: من خفض الصوت، وهو كناية عن الضرب بها وإرسالها، فإنها إذا أرسلت صوتت.
[5]. يعني أنه أبصر عود هذا الرمح وهو صغير مثل السهم، فلم يزل يتعهده ويختلف إليه حتى صلح أن يتخذ منه رمحاً. الحظوة: القضيب الصغير ينبت في أصل الشجر. الغيل: الشجر الملتف. والنبع والحثيل: من أشجار الجبال.
[6]. البان، والظيان، والرنف، والشوحط: من أشجار الجبال. الألف: الملتف. الأثيث: الكثيف المتشابك، وكذلك المتغيل.
[7]. مظعت القوس: إذا سقيتها ماء لحائها، وهو أن تقطعها وهي رطبة وتترك في الظل حتى تجف برهة من الدهر. العريش: البيت ترفع عليه بالليل وتنزل بالنهار لئلا تصيبها الشمس فتتفطر. التمظع: شرب القضيب ماء اللحاء تتركه عليه حتى يتشربه فيكون أصلب له.
[8]. ملك: شدد، أي ترك من القشر شيئاً يتمالك به لئلا يبدو قلب القوس وإلا انشقت، وملك: من قولهم ملكوا العجين، أي شددوا عجنه. الليط: القشر. القيض: قشر البيضة الغليظ. الغرقيء: القشر الرقيق.
[9]. السراء: النبع. معطل: غير صالح.
[10]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص101.
[11]. النجير: موضع في ديار بني عبس، وقيل: هو حصن باليمن. سعد: موضع بنجد. تروّح: بمعنى تغيرت رائحته وفسدت.

في عانةٍ شُسُبٍ أشَدَّ جِحاشَهَـــا شُزُبٍ كأقواسِ السَّراءِ دِقاق[2]

- **أشجار الأرطى [3]**

يعدّ الأرطى من أهمّ ركائز الغطاء النباتي في صحراء الجزيرة العربية، ويقوم على توفير الغذاء اللازم للثروة الحيوانية، وحفظ التوازن بين عناصر البيئة، ومقاومة التصحر وزحف الرمال. وهي أشجار ذات ظل وارف، ولها ثمر يشبه العناب. وقد ورد ذكر أشجار الأرطى في شعر شعراء

بني تميم، خلال وصف شعرائهم للثور والبقرة الوحشيّين، والتجاء الثور الوحشيّ لهذا النوع من الشجر؛ علّه يجد تحته شيئاً من الأمن و الحماية. قال علقمة الفحل يصف البقر الوحشيّ، وقد اتخذت من أغصان شجرة الأرطى مخبأً لها[4]:

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرى وكأنّها مُوَلَّعَةٌ تخشى القنيْصَ شَبوبُ[5]

تَعَفَّقُ بالأرْطِيِّ لها وأرادَهـــــا رجالٌ فَبَدَّتْ نَبْلَهُم وَكَلِيْـــــبُ[6]

وقال ضابئ بن الحارث في وصف بقرة وحشيّة فزعة تخاف سحابة فيها ماء غزير، ولذا؛ تلجأ لشجر الأرطى فتحتمي به[7]:

فباتَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ تَلُفُّـهُ شآميّةٌ تُذري الجُمانَ المُفضَّلا[8]

يُوائِلُ من وَطْفاءَ لم يَرَ ليلةً أشدُّ أذىً منها عليهِ وأطْـــوَلا[9]

---

[1]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص144.

[2]. العانة: الجماعة من حُمر الوحش. الشاسب، والشازب، والشاسف: الضامر. أشد: طرد ونحّى.

[3]. الأرطي: نبات شجيري ينبت في الرمل، ثمره جاف صغير، وعروقه مرة، تأكلها الإبل غضة، وواحدته أرطأة، والجمع: أراطٍ وأراطي. انظر: عيسى، أحمد، معجم أسماء النبات، ص36.

[4]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص38.

[5]. مولعة: أي بقرة فيها خطوط سود. القنيص: الصائد. الشبوب: المسنّة. ويقصد أنها حذرة لتجربتها وخبرتها.

[6]. التعفق: اللواذ والتعطف. بدّت: سبقت وغلبت. الكليب: جماعة الكلاب، وهو اسم للجمع، ويكون الكليب أيضاً صيّاداً معهم كلاب.

[7]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص366.

[8]. الحقف: ما اعوج من الرمل. شآمية: ريح.

[9]. يوائل: يحاذر ويلتمس الملجأ ويطلب النجاء. الوطفاء: السحابة التي فيها استرخاء في جوانبها لكثرة الماء.

- **شجر الأراك [1]**

شجر الأراك معروف ومشهور لدى أهل الجزيرة، وهو شجر السِّواك، يُستاك بفُروعه لتنظيف الأسنان[2]. وقد ذكره عبدة بن الطبيب في وصف محبوبته، فقال[3]:

كأنّ ابنة الزَّيْدِيِّ يومَ لَقِيْتُهـــــا هُنَيْدَةَ مكحولُ المدامعِ مُرْشِـــقُ[4]

تُراعِي خَذولاً يَنْفُضُ المُرْدَ شادِناً تَنوشُ من الضَّالِ القِذافَ وتَعْلَقُ [5]

وورد في شعر شعراء بني تميم ذكر لبعض أنواع الشجر، مثل؛ شجر العنب[6]، والرمان والتفاح[7]، والتين[8]، والتوت (الفرصاد)[9]، وغيرها.

- **النباتات الصحراوية**

- **العرفج [10]:**

العرفج من النباتات المعروفة بشدة اشتعالها، وهو يمتاز بسرعة اشتعاله، وسرعة انطفائه، وناره مضيئة. قال عبدة بن الطبيب في وصف حركة القنافذ في العرفج[11]:

تَدِبُّونَ حولَ ركيَّاتِكُم دَبيبَ القَنافِذِ في العَرْفَجِ[12]

---

[1]. الأراك شجر السواك واحدته أراكة، وقد تجمع على أركٍ وأرائك. وقيل: شجرة طويلة ناعمة خوارة العود كثيرة الورق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرك). ومن أسمائه أراك، وشجر السواك، والبرير، والكباث، والمرد (هو الغض)، وخمط. انظر: عيسى، أحمد، معجم أسماء النبات، ص161.

[2]. "قال أبو حنيفة الدينوري- وهو من علماء اللغة-: هو أفضل ما استِيك بفرعه من الشجر، وأطيب ما رَعَتْه الماشية رائحة لبَن. وقال أبو زياد: منه تُتخذ هذه المَساويك من الفروع والعروق، وأجوده عند الناس العُروق، وواحدته أراكة." انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرك).

[3]. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص52.

[4]. هنيدة: تصغير هند، وهي ابنة الزيدي. مكحول المدامع: ظبية شديدة سواد العين. مرشق: أي تمد عنقها وتشرئب لتنظر، والمرشق التي معها ولدها.

[5]. الخذول: ولد الظبية الذي تخلف عنها. المرد: ثمر الأراك. شادن: شدن الظبي إذا قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه. الضال: السدر الكبرى. القذاف: ما أطاقت تناوله ورميه.

[6]. انظر: علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص68. وانظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص111.

[7]. انظر: أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص14. وانظر: عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص157.

[8]. انظر: عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص159.

[9]. انظر: النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص29

[10]. العرفج "ضرب من النباتات التي تنبت في الأرض السهلية، واحدته عرفجة، وقيل: من شجر الصيف لين، وقيل: طيب الريح أغبر الى الخضرة، وأصل العرفجة واسع لها قضبان كثيرة بقدر الأصل، وليس لها ورق، وله ثمرة صفراء وناره شديدة تسمّى نار الزحفتين." انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرفج). وفي المثل قيل: أسرع من النار في يبس العرفج. انظر: الميداني، مجمع الأمثال،1 : 407.

[11]. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص37.

[12]. الركيات: جمع ركية، وهي البئر.

- **الحنظل:**

الحنظل من النباتات التي تتّصف بالمرارة، ويقال لـه: الشري والخطبان[1]، وقد ورد ذكره في شعر بني تميم أثناء حديث الشعراء عن النعامة والظليم وهما يرعيان، وقد احمرّت قوائمهما من كثرة ما يأكلان، فنجد علقمة الفحل يصف هذا المشهد في قوله[2]:

كأنّهُما خاضِبٌ زُعْرٌ قوائِمُـــهُ أجْنَى له باللّوى شَرْيٌ وتَنْـوُّمُ[3]

يَظَلُّ في الحنظَلِ الخُطْبان يَنْقُفُهُ وما اسْتَطَفَّ من التَّنُّوم مخذومُ[4]

ويصف ثَعْلبة بن صُعَيْر[5] المشهد ذاته بقوله[6]:

طَرَفْتْ مَراودُها وغَرَّدَ سَقْبُها بالآءِ والحَدَج الرِّواءِ الحادِرِ[7]

ويطلق عليه الأسود بن يعفر النهشلي لفظ (الهبيد) في وقوله[8]:

ونَالَتْ عَشاءً من هبيدٍ وبَرْوَقٍ ونالت طعاماً من ثلاثةِ ألْحُمِ[9]

ويشبّه السّليك بن عمرو هامات العدو وقد شجّتها السيوف بالحنظلة التي اصفرّت فهي تبرق كأنها مصقولة[10]:

كأنَّ مَفالِقَ الهاماتِ منهمْ صَرَايَاتٍ تهاداها جَواري[11]

---

[1]. الحنظل هو الشجر المرّ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنظل). "وقيل: نبات ثمرته في حجم حبة البرتقال ولونه يقارب لونها." والحنظل نبات يتبع الفصيلة القرعية، وهو عشب ينمو كل سنتين، له ثمر لونه أخضر مزركش وعندما ينضج يتحول إلى الأصفر، والثمرة بجميع أجزائها مرة، وينمو في المناطق الصحراوية الدافئة. انظر: حسين، فوزي طه قطب (1981)، النباتات الطبية: زراعتها ومكوناتها، الرياض: دار المريخ للنشر، ص302. والحنظل هو الشرى. انظر: عيسى، أحمد، معجم أسماء النبات، ص50.

[2]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص58.

[3]. الخاضب: الظليم الذي أكل الربيع، واحمرّت قوائمه، وأطراف ريشه. الزعر: القليلة الريش. أجنى: أي أنبت له الثمر، فصار إلى أن يُجنى. اللوى: ما التوى من الرمل. التنوم: نبت.

[4]. يظل في الحنظل الخطبان: أي أن الظليم مقيم في خصب. الخطبان: من الحنظل الذي صارت فيه خطوط صفر وحُمر. ينقفه: يكسره ويستخرج حبّه، ويأكله. المخذوم: المقطوع. استطف: أي ارتفع.

[5]. هو ثعلبة بن صُعير بن خزاعي بن مازن بن مالك بن تميم بن مر، شاعر جاهلي قديم، قال عنه الأصمعي: " ثعلبة أكبر من جد لبيد". كان فارساً عنيداً، ورجلاً ميالاً للهو ومعاقرة الخمر. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص204. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص380.

[6]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص382.

[7]. المراود: المواضع التي ترود فيها. طرفت: تباعدت. السقب: ولد الناقة وأراد ولد النعامة. الاء: شجر له ثمر يأكله النعام. الحدج: الحنظل. الحادر: الغليظ.

[8]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص62.

[9]. البروق: شجر ضعيف. الهبيد: الحنظل.

[10]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص63.

[11]. صرايات: جمع صراية، وهي الحنظلة التي اصفرت فهي تبرق لشدة لمعانها كأنها مصقولة.

- **الغضا[1]:**

الغضا شجر خشبه من أصلب الخشب، وفحمه صلب، وجمره شديد الالتهاب لا ينطفىء بسرعة، وقد تغنى كثير من الشعراء بالغضا ونيرانه، ومنه شجر الرمث. وقد ورد ذكرشجر الغضا في شعر أوس بن حجر، خلال حديثه عن قومه، يقول[2]:

بَكَيْتُم على الصُّلْح الدُّماج ومنْكُمُ بِذِي الرِّمْثِ من وادي تَبالَة مِقْنَبُ[3]

أمّا نبات البهمى، فورد ذكره في شعر سلامة بن جندل في وصفه لحمار الوحش، حين قال[4]:

مُتَخَرِّفٍ سَلَبَ الرّبيعَ رداءَهُ صَخِبُ الظّلامِ يُجيبُ كُلَّ نُهاق[5]

مِن أخْدَرِيَّاتِ الدَّنا التَّفَعَتْ لهُ بُهْمَى النِّقاع ولَجَّ في إحْناق[6]

وعُرفت أنواع أخرى من الأشجار ومنها (الصبيب)، وهو شجر يُختضب به، يقول علقمة الفحل مشبّها الماء الذي أورد ناقته إليه بالدم المصبوب لبعد عهده بالورادة إذ كان في فلاة نائية عن الأنيس[7]:

فأوْرَدْتُها ماءً كأنَّ جِمامَهُ مِنَ الأجْنِ حِنَّاءٌ معاً وصَبيْبُ[8]

والعضاه[9] وهي أشجار ضخمة عظيمة ذات شوك. قال عدي بن زيد[10]:

أسْقَلٌ حُفَّ بالعِضاهِ وأعْلا هُ صَفًا يُلْغِبُ الوُعولَ دَلُوقُ[11]

---

[1]. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غضي). كلمة غضا جمع ومفردها غضاة، وهي شجرة صحرواية يصل ارتفاعها من متر إلى ثلاثة أمتار وأكثر، ولها قاعدة خشبية سميكة، وجذور عميقة، وساق قائمة، وأفرع نحيفة صغيرة الحجم، والفروع الطرفية تتدلى أحيانا. وتظهر الساق عارية اسطوانية، والأزهار عديمة الرائحة تظهر في آخر الصيف، وقد استعمل للتدفئة لأنه قليل الدخان، ويحلو السهر حول جماره المشهورة بقوة حرارتها وامتدادها ساعات الليل الطويل، وينتشر الغضا بشكل واسع في مناطق الكثبان الرملية والنفود، إلا أن نمو الشجرة بطيء، وتتطلب فترة طويلة حتى تصبح صالحة للاستخدام.

[2]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص7.

[3]. ذو الرمث: هو وادي تبالة؛ لأنه كثير الرمث أيضاً. الرمث: واحدته رمثة، وهي شجرة من الحمض، أو شجر يشبه الغضا. وادي تبالة: يقع قرب الطائف. المقنب: جماعة الخيل والفرسان ويراد بها الجيش. الصلح الدماج: الصلح القوي المحكم.

[4]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص142.

[5]. متخرف: أكل الخريف. رداؤه: وبره.

[6]. من أخدريات: حمرٌ منسوبة إلى فحل ضرب في الحُمُر، يُقال له: الأخدر. البُهمى: ضرب من النبات. النقاع: جمع نقع، وهو القاع من الأرض. الإحناق: الضمر. التفعت له: أي التف له النبات. الدَّنا: موضع.

[7]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص42.

[8]. فأوردتها ماء: يعني ناقته. جمام الماء: ما اجتمع منه وكثر. الأجن: تغيّر الماء.

[9]. العضاة شجر له شوك، واحدها عضاهة، والجمع عضاه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عضه).

[10]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص79.

[11]. يلغب: يتعب.

وذكر شعراء بني تميم أيضاً، نباتات أخرى كالغرب[1]، والغار واللبنى[2]، والخروب[3]، والقوارير[4]، والثغام [5]، والزرنب [6]، والفوّة[7]، والنزعة [8]، والنجيل [9]، والكراث[10]، وغيرها[11] في أشعارهم.

- **نباتات أخرى:**

ومن النباتات التي لها استعمالات صحيّة نبات الخطمي، فكان يؤخذ ورقه وينقع، ثم يدق ليتخذ غسولاً. قال علقمة الفحل مشبهاً زبد ناقته بغسلة الخطمي[12]:

كأنَّ غِسْلَةَ خِطْمِيٍّ بمِشْفَرِها في الخَدِّ منها وفي اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيْمُ[13]

وذكر متمم بن نويرة اليربوعي نبات الخروع مشبّهاً بها الفرسان الشجعان الذين يضعفون ويخضعون أمام سيفه وقوته، وإنما شبههم بالخروع لأنه شجر ليّن، يقول متمم[14]:

لو كان سيفي باليمين ضَرَبْتُها عَنّي ولم أوكلْ وجنْبي الأضْيَعُ[15]

ولقدْ ضَرَبْتُ بهِ فتُسْقِطُ ضَرْبَتي أيدي الكُماةِ كأنَّهُنَّ الخِـــروعُ[16]

كما جاء ذكرع عند عدي بن زيد العبادي حين قال[17]:

والخُنْسُ يُزْجِيْنَ غُنَّاً في طوائِفِهِ يَضْرِسْنَ مِن خِرْوعِ رَيَّانَ أثْمارَا[18]

---

[1]. الغرب: هو نوع من الشجر تصنع منه السهام. انظر: أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص89.

[2]. اللبنى: شجرة لها عسل يتبخر به. والغار: شجر طيب الرائحة. انظر: عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص71، ص93، ص100، ص159.

[3]. انظر: النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص53.

[4]. القوارير: شجر تعمل منه الرحال والموائد. انظر: المصدر نفسه، ص38.

[5]. الثغام: نبت إذا يبس ابيض ابيضاضاً شديداً، ويشبّه الشيب به. انظر: المصدر نفسه، ص19.

[6]. الزرنب: ضرب من النبات طيب الرائحة. انظر: المصدر نفسه، ص23.

[7]. الفوّة: عروق، ولها نبات يسمو دقيقاً، في رأسه حب أحمر شديد الحمرة، كثير الماء. انظر: المصدر نفسه، ص39.

[8]. النزعة: نبات يكون بالرياض، ليس له زهر ولا ثمر. انظر: المصدر نفسه، ص47.

[9]. النجيل: جنس من نبات الحمض. انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص101.

[10]. انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص469.

[11]. مثل؛ القرمل، والرمث، والأفان، والجرجار، والنسيل، والبقل، انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص75، ص95، ص98، ص106، ص108، ص221، ص227.

[12]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص54.

[13]. الغسلة: كل ما غسلت به. التلغيم: أثر اللغام وقطعه، وهو زبد فمها.

[14]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص99. ولمزيد من الشواهد، انظر: المصدر نفسه، ص113.

[15]. الأضيع: الضائع لأنه لم يجد من يدافع عنه.

[16]. الكماة: الشجعان.

[17]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص51.

[18]. الخنس: الظباء. الغن: تقول: الظبي أغن؛ لأن في ترنينه غنة، وهي ترخيم في صوته من نحو الخياشيم.

ومن النباتات التي ورد ذكرها لدى شعراء بني تميم (الأثل)، وهو شبيه بشجر الطرفاء، إلا أنه أعظم منه، وله أصول غليظة[1]، وممن ذكره مالك بن نويرة حين شبّه جثث الأعداء الملقاة على الأرض بخشب الأثل الكبير، فقال[2]:

يَقَعْنَ مَعَاً فيهم بأيْدي كُماتِنـــا كأنَّ المنونَ للأسِنَّةِ مَوْعِــدُ

فأقْرَرْتُ عيني حينَ ظلّوا كأنّهم ببطْنِ الأيادِ خُشْبُ أثْلٍ مُسَنَّدُ[3]

- **الأزهار**

أمّا الأزهار، فإنّ شعراء بني تميم لم يغفلوا عن وصفها، وإنّ الصحراء الواسعة كانت تنبت أنواعاً كثيرة منها؛ مما حرّك قريحة الشعراء، على الرغم من قلة تأثرهم وصلتهم في حياتهم المعايشة بها، موازنة بأجزاء وعناصر مهمة أخرى من الطبيعة بنوعيها الصائت والصامت. ومن أنواع الأزهار التي ذكرها شعراء بني تميم في أشعارهم؛ الريحان، والأقحوان، والزعفران، والخزامى، ونلحظ اقتران ذكر هذه الأزهار بحديثهم عن محبوباتهم، فقد أفادوا من لون زهر الأقحوان الأبيض في تصوير ثغر المحبوبة، وأمّا الزعفران، فاستمدّوا من لونه وطيب رائحته صوراً متنوّعة. ورد ذكر الريحان في وصف عبدة بن الطبيب لكوب من الخمر معصوب بإكليل من الريحان، يقول عبدة[4]:

والكوبُ أزْهَرَ معْصُوبٌ بقُلَّتِهِ فوقَ السِّياع من الرّيحانِ إكليلُ[5]

وفي المعنى ذاته يذكر الأسود بن يعفر النهشلي الريحان بقوله[6]:

سلافة الدّن مرفوعاً نصائِبُهُ مُقَلَّدَ الغفو والريحان ملثوما[7]

وما أجمل قول عدي بن زيد العبادي حين وصف ثغر صاحبته، وشبّه بياض لون أسنانها بزهر الأقحوان الأبيض النديّ[8]:

---

1. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أثل).
2. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص62 - 63.
3. بطن الأياد: موضع بالحزن لبني يربوع بين الكوفة وفيد.
4. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص81.
5. الكوب: على هيئة الكوز، لا عروة له. أزهر: أبيض من الزهرة. القلة: قلة كل شيء أعلاه. السياع: الطين، وهو كل ما طلي به من طين أو جص أو قير أو غير ذلك، وقد أراد أن الإناء كان مسدود الرأس بالطين.
6. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص60.
7. الغفو: ضرب من النبت يكون طيباً.
8. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص42.

وَشَنَيْبٌ كالأقاحِي شابَهُ نَضْحُ ماءِ المُزْنِ في غيرِ صَرَدْ[1]

وفي صورةٍ مشابهةٍ، يصف عدي ثغر محبوبته في موضع آخر، فيقول[2]:

وثَنايا كالأقْحوانِ عِذابٌ لا قِصارٌ كُسْرٌ ولا هُنَّ رُوقُ[3]

كما وظّف عدي بن زيد العبادي نبت الخزامى ذا الرائحة الزكية الطيبة في تصويره للرياض، يقول[4]:

وعلى الأحْداجِ ألوانُ القنا وخُزامَى الرَّوْضِ يَعْلوهُ الزَّهَرْ[5]

- **الجبال:**

اتخذ الشعراء من السلاسل الجبلية ملاذاً يأوون إليه للاستراحة، أو الاستخفاء، وتحتضن تلك السلاسل وديانًا، ومدنًا، وقرى كثيرة لجأت إليها القبائل، ونعِمت بخضرتها، فوقف عدد كبير من الشعراء التميميين عند رياضها وجناتها يذكرون خيرها وخصبها ونماءها[6].

وكان شعراء بني تميم يذكرون الجبال مقترنةً بمناسبات معينة، تمثّل انتصاراتهم أو انحدارهم في تلك الجبال، أو ذكر بعض الأبطال من محاربيهم الذين ماتوا في معارك حدثت في تلك الجبال، قال أوس بن حجر مشبهاً جيشهم بالطود[7]:

لَحَيْنَهُمْ لَحْيَ العَصا فَطَرَدْنَهُمْ إلى سَنَةٍ جِرْذانُها لمْ تَحَلَّمِ

بأرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ غيْرِ أشابَةٍ تَناجَزَ أولاهُ ولم يَتَصَرَّمِ[8]

---

[1]. شنب فلان: كان أبيض الأسنان حسنها، فهو أشنب وشنيب. الأقاحي: جمع أقحوانة، وهي نبتة أوراق زهرها مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان. شابه: خالطه. النضح: رشاش الماء. المزن: السحاب. الصرد: البحت الخالص من كل شيء، والمراد ماء السحاب غير المخلوط بشيء.

[2]. المصدر نفسه، ص77. وانظر أيضاً: ص157.

[3]. الثنايا: أسنان مقدم الفم. روق: جمع روقاء، وأوراق. والروق: طول في الثنايا العليا على السفلى، وهو من معايب الأسنان.

[4]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص60.

[5]. الأحداج: جمع حدج، وهو الحمل.

[6]. انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص23 – 26.

[7]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص119 -120.

[8]. أرعن: جيش كثير مثل رعن الجبل. والرعن: أنف يتقدم من الجبل فينسل في الأرض. الطود: الجبل. غير أشابة: أي غير أخلاط. تناجز أولاه: أي يمضي أوله وهو لا ينقطع من كثرته.

ومثال ذلك أيضاً، قول وَدّاك بن ثُمَيْل[1] مفتخراً بنفسه وبقومه:

هِيْمٌ إلى الموتِ إذا خُيِّروا بينَ تِباعَاتٍ وَتَقْتَـــــال[2]

حَمَوا حِماهُم وَسَما بَيْتُهُمْ في باذِخاتِ الشَّرَفِ العالِي[3]

وشبّه عدي بن زيد العبادي الحصن بالجبل ذي القمة العالية، فقال[4]:

وَحِصْنٍ سَرَّهُ فُعَلا مَهِيْباً يُجازي القُلَّ بالحَجْمِ الكَثِيْرِ[5]

وفي حديث شعـــراء بني تميم عن ديــار أحبّتهم، ومواضع سكناهم، أشـــاروا إلى جبال كانت معروفة لديهم. كجبلي (ظلم) و (الجواء) في قول أوس بن حجر[6]:

فَلَمّا أتى حِزَّانَ عَرْدَةَ دُونَهــا ومِنْ ظَلَمٍ دونَ الظَّهيرةِ مَنْكِـبُ[7]

تضَمَّنَها وارْتدَّتْ العينُ دونَها طريقُ الجِواءِ المستنيرُ فمُذْهَبُ[8]

وجبلي (كبكب)، و(اللبين)، في قوله أيضاً [9]:

حَلَفْتُ برَبِّ الدّاميات ثُحورُها وما ضَمَّ أجْمكادُ اللُّبيْنِ وَكَبْكَبُ[10]

وجبل (المردمه) في قول عدي بن زيد العبادي[11]:

وَيْحَ أمِّ دارٍ حَلَلْنا بهـــــا بينَ الثَّويّةِ والمَرْدَمَـــــهْ[12]

---

[1]. هو ودّاك بن ثميل بن سنان المازني التميمي، شاعر جاهلي، وفارس عظيم من فرسان بني مازن. انظر: المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص386.

[2]. هيم: سراع. والهيم: الإبل العطاش. تباعات: ما يلحق بالقبيلة من العار.

[3]. باذخات: طوال. والباذخ: الجبل.

[4]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص134.

[5]. القلة: أعلى الرأس والجبل وكل شيء.

[6]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص5.

[7]. الحزان: جمع حزيز، وهو الغليظ المنقاد من الأرض. عردة: موضع في ديار بني سعد بن ثعلبة من بني أسد. ظلم: جبل من جبال الحجاز، وهو جبل أسود شامخ لا ينبت شيئاً. أتى دونها: أي حال بينها وبينه.

[8]. الجواء: اسم جبل. المستنير: الواضح. مذهب: موضع لم يذكره ياقوت.

[9]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ، ص7.

[10]. يقسم بالهدي الذي يساق إلى بيت الله ثم يذبح بمنى. أجماد: جمع جُمد وجُمُد، وهو ما ارتفع من الأرض. كبكب: هو الجبل الأحمر الذي يجعله الواقف على عرفات إلى ظهره. اللبين: جبيل قريب من كبكب.

[11]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص165.

[12]. الثوية: موضع من وراء الحيرة، قريب من الكوفة. المردمة: اسم المكان من ردم الحائط يردمه إذا سدّه، وهو جبل لبني مالك بن ربيعة بن أبي بكر، وهو جبل أسود عظيم.

وقد ذكروا الجبال أيضاً وهم يتحدّثون عن حتمية الفناء والموت، ومثال ذلك قول الأسود بن يعفر النهشلي ذاكراً جبل (موكل)[1]:

وأسبابهُ أهْلَكْنَ عاداً وأنزلَتْ عَزيزاً يُغَنّي فوق غرفة مَوكلِ

وجبل (شيب) الذي ذكره عدي بن زيد العبادي في قوله[2]:

أرقْتُ لِمُكْفهرٍّ بات فيهِ بَوَارقُ يَرْتَقِبْنَ رُؤوسَ شِيْبِ[3]

كما ذكر أيضاً جبل (الشبعان) الواقع في البحرين، قائلا[4]:

تَزَوَّدْ منَ الشَّبْعَانِ خلْفَكَ نَظْرَةً فإنّ بلادَ الجُوع حيثُ تَميمُ

وجبل (خيم)، في قوله[5]:

لِمَنْ الدَّارُ تَعَفَّتْ بخِيَمْ أصْبحتْ غَيَّرَها طولُ القِدَمْ

ومن الجبال التي ذكرها شعراء بني تميم جبل (أظايف)، وهو جبل لطيء طويل ومعروف لديهم، يقول متمم بن نويرة اليربوعي فيه[6]:

وهَبَّتْ شِمالاً من تِجاهِ أظايفٍ إذا صادَفَتْ كفَّ المفيضِ تقفَّعَا

وكذلك ذكر مالك بن نويرة اليربوعي جبل (سنام) في قوله[7]:

ثلاثَ ليالٍ من سَنامٍ كأنَّهُم بريْدٌ ولم يَثووا ولم يَتَزَوَّدوا[8]

وذكر شعراء بني تميم بعض مواقع الجبال أثناء حديثهم عن الحمر الوحشيّة وأماكن رعيها، فذكر عدي بن زيد العبادي جدد الجبال في حديثه عن حمار الوحش[1]:

---

1. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص57.
2. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص37.
3. المكفهر: السحاب المتوالي المتراكب.
4. المصدر نفسه، ص55.
5. المصدر نفسه، ص73.
6. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص109.
7. المصدر نفسه، ص60.
8. سنام: جبل بين البصرة واليمامة. البريد: الرسول، يريد أنهم يواصلون السير. لم يثووا: أي لم يقيموا.

فانْبَرَى أحْقبُ يَتْلو أرْبَعَـاً لاحِقُ الأيْطلِ في قاع جَلَـــــدْ[2]
يُغْرِقُ المَطرودُ منهُ وابلٌ ضابطُ الوَعْثِ ضَبُوعٌ في الجَدَدْ[3]

ويأتي عدي بن زيد العبادي على ذكر جبال اليمن ويصف علوها وارتفاعها الشاهق، فيقول[4]:

ما بعْدَ صَنْعاءَ كانَ يَعْمُرُها ساداتُ مُلْكٍ جَزِعلٌ مَواهِبُها[5]
يَرْفَعُها مَنْ بَنى لـــــدى قزَع المُزْنِ وتَنْدى مِسْكاً محاربُها[6]
محفُوفةٌ بالجِبالِ دونَ عُرَى الــ ـــكَيْدِ فيها تَرقى غَوارِبُها[7]

وقد ارتبط ذكر الجبال في أحاديث شعراء بني تميم عن السيول، فقوّة هذه السيول كانت تحطّ الوحوش من قمم الجبال، وتسقط الشجر من قللها، وتنزل العصم من كل جانب من جوانبها، وهذا ما دفعهم إلى تصوير تلك المشاهد في أشعارهم. قال متمم بن نويرة اليربوعي يصف سيلاً[8]:

وآثرَ سيلَ الواديين بديمـــــــةٍ تُرْشِحُ وَسْمِيَّاً من النَّبْتِ خِرْوَعا
فمُجْتَمَعَ الأسْدَامِ مِن حولِ شارعٍ فرَوَّ جِبال القريَتَين فضَفْلَعَـــــا[9]

وفي صورة مغايرة يشبّه متمم بن نويرة الجيش العظيم بأنف الجبل المتقدم وبالسيول التي تطمس الأرض وتملؤها[10]:

وَمِن أيّامِنا يوم عجيـــــــبٌ ولا يومٌ كيومِ بني بهـــان
بناصفة البعوضة حيث سالت على بطائِحها شِعَبُ الرّعانِ[11]

وكان ارتقاء قمم الجبال ومراقبها المرتفعة فخراً لصاحبه، قال الاسود بن يعفر النهشلي[12]:

تَدَارَكَني أسيابَ آلِ مُجَلِّمٍ وقد كِدْتُ أهوي بينَ نيقيْنِ نفنفِ[13]

---

[1]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص44.
[2]. الأحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض. يتلو: يطارد. الأيطل: الخاصرة.
[3]. الوعث: المكان السهل الكثير الدهس، تغيب فيه الأقدام. ضبع البعير ضبوعا: أسرع في سيره فمدّ ضبعيه. الجدد: طرق تخالف لون الجبل، قال الفراء: الجدد: الخطط والطرق تكون في الجبال.
[4]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص46.
[5]. الجزل: الكثير.
[6]. القزع: قطع من السحاب كثيرة متفرقة. المزن: جمع مزنة، وهي المطرة أو السحابة البيضاء. المحارب: الغرف المرتفعة.
[7]. الغوارب: الأعالي.
[8]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص113.
[9]. الأسدام: جمع سدم، وهي المياه المندفقة. شارع: جبل من جبال الدهناء. ضفلع والقريتان: أسماء مواضع.
[10]. المصدر نفسه، ص138.
[11]. الرعان: جمع رعن، وهو أنف الجبل المتقدّم. البعوضة: اسم موضع.
[12]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص50.
[13]. النفنف: مهواة ما بين جبلين. النيق: من حروف الجبل.

وأشار عدي بن زيد إلى رؤوس الجبال ممثلاً على جبروت الموت، وسطوته على البشر، فحتى رؤوس الجبال لا تحمي أحداً من الموت الذي يطال الطير في أعاليها[1]:

لا أرى الموْتَ يَسْبِقُ الموتَ شيئاً نَغَّصَ الموتُ ذا الغنى والفَقيْـــــرا

يُدْرِكُ الآبدَ الغَرورَ ويُـــــــــــرْ دي الطَّيْرَ في النِّيق يَنْتَئِيْنَ الوُكُورا[2]

ويؤكّد في موضع آخر سطوة الدهر وقوته التي تودي بالجبال فتغيرها[3]:

عَمِروا دَهراً بعَيْشٍ حَسَنٍ آمِني دَهْرُهُمُ غيرَ عِجـــالْ

ثمّ أضْحَوا أخْنَعَ الدَّهْرُ بهمْ وكذاكَ الدَّهْرُ يودي بالجِبالْ

- **الوديان:**

احتلّت الأودية مكانة مهمّة عند العرب، وهي تعدّ من أهمّ الأماكن الجغرافية البيئية؛ إذ تتوافر فيها مياه الأمطار التي تشكّل الجداول والسيول التي تمرّ من وسطها، وتلتقي مع الأنهار، وتصبّ بعد ذلك في البحار. ولذلك؛ كانت الوديان أرضاً خصبةً تتوافر فيها المياه، فيكثُر النبت؛ ممّا جعل القبائل العربية تقيم عندها بيوتها، وخيامها، ومرابعها، فكثُر ذكرها في أخبار العرب وأيّامهم، وشغلت أحاديث شعرائهم.

وقد جاء ذكر الوديان في كثير من شعر شعراء بني تميم مقترناً بذكر الأحبّة، والاشتياق إلى ديارهم، قال الأسود بن يعفر النهشلي[4]:

قد أصبحَ الحبْلُ من أسماء مصروما بعد ائتلافٍ وحبٍّ كانَ مكتومـــــا

واسْتَبْدَلَتْ خلّةً مني وقدْ عَلِمَـــــتْ أنْ لن أبيْتَ بوادي الخَسْفِ مذموما

وذكر أوس بن حجر وادي (ربب) عند حديثه عن محبوبته، قائلاً[5]:

حَلَّتْ تُماضِرُ بَعْدَنا رَبَبَا فالغَمْرُ فالمُرَّيْن فالشُّعَبا[1]

---

[1]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص65.
[2]. النيق: أرفع مكان في الجبل. ينتئين: يحتمين.
[3]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص83.
[4]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص59.
[5]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص1.

حَلّتْ شَآمِيَّةٌ وَحَلَّ قساً أهْلي فكان طِلابُها نَصَبا

واجتمع علقمة الفحل بمحبوبته بوادي (مبايض) وتحادثا هناك، فقال في ذلك[2]:

وقلتُ لها يوماً بوادي مُبايضٍ ألا كلُّ عانٍ غيرَ عانيكِ يُعْتَقُ[3]

وقال السُّليك بن عمرو يصف خلوّ الوديان من أهله وساكنيه [4]:

يا صاحِبَيَّ ألا لا حيَّ بالوادي إلاّ عَبـــيدٌ وآمٍ بيـنَ أذْوادِ[5]

أتَنْظُران قليلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِـــمْ أمْ تَغْدُوان فإن الريحَ للغادي[6]

وعند هبوب رياح الشمال كان ينزل العربي في الوادي الخصيب الذي تكثر فيه المراعي والحطب، يقول سلامة بن جندل[7]:

كُنَّا نَحُلُّ إذا هَبَّتْ شاميّةٌ بكلِّ وادٍ حطيبِ البَطْنِ مَجْدوبِ[8]

ويصف سلامة بن جندل أحدهم بحية الوادي التي تحمي ناحيتها وتمنع أحدا من دخول واديها[9]:

أوْدَى ابن جُلْهمَ عبادٌ بصرمَتِهِ إنّ ابن جُلْهُمَ أمسلى حيّة الوادي[10]

وذكر شعراء الدراسة أسماء وديان عديدة أثناء حديثهم عن النعام والحيوانات الوحشيّة، التي كانت تتخذ من تلك الأودية مرعىً لها، وقد ذكر الأسود بن يعفر النهشلي (وادي الجريب) قائلاً[11]:

يَرْعَى الجريبَ إلى لواقح فالسُّوبان لا يُثْنى له سَرْبُ[12]

---

[1]. ربب: واد بنجد من ديار عمرو بن تميم، وقيل: من بلاد عذرة مما يلي الشام من وراء أيلة. الغمر: غمر بني جذيمة بالشام، بينه وبين تيماء منزلان من ناحية الشام. المرين: مثنى مر، وهما ماءان لغطفان. الشعب: ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة على ثلاثة أميال من العقبة.

[2]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص128.

[3]. مبايض: واد وراء الدهناء. العاني: الأسير. يعتق: يتخلص من الرق.

[4]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص64.

[5]. آم: جمع أمة، وهي الخادمة والراعية والمرأة السوداء، وجمع أمة أيضاً آماء وأمون. أذواد: إبل، مجموعة من الإبل تصل إلى ثلاثين.

[6]. تغدوان: تهجمان.

[7]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص119.

[8]. هبت شآمية: هبت ريح الشمال من الشام وهي باردة جداً. حطيب: كثير الحطب. وقيل: لا شيء فيه إلا الحطب. مجدوب: معيب كأنه على جدب وإن لم يستعمل.

[9]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص33.

[10]. جلهم: اسم امرأة. الصرمة: القطعة من الغبل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. أمسى حية الوادي: أي يحمي ناحيته ويتقى منه كما يتقى من الحية الحامية لواديها.

[11]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص19.

[12]. الجريب: واد في ديار بني مجاشع، وكذلك سائر المواضع المذكورة. السرب: المال الراعي.

وذكر أوس بن حجر الحيوانات التي تقطن بطون الأودية، فقال[1]:

فَمُنْدَفَعُ الغُلّانِ غُلّانِ مُنْشِدٍ فَنَعْفُ الغُرَابِ خُطْبُهُ فأساودُهْ[2]

كما يصف أوس بن حجر قوسه التي اتخذها من شجر مَرنٍ تعهّدها وهي نبتة صغيرة في الوادي[3]:

وَصَفْراءَ مِن نَبْعٍ كأنّ نَذيرَها إذا لم تُخَفِّضْهُ عن الوحشِ أفْكَلُ[4]

تَعَلَّمَها في غيْلِها وهْيَ حَظْوَةٌ بوادٍ به نَبْعٌ طِوالٌ وَحِثْيَـــــلُ[5]

وذكر متمم بن نويرة اليربوعي وادي (منعج) في قوله[6]:

وَعَمْراً بوادي مَنْعَجٍ إذ أجَنَّـــهُ ولم أنْسَ قبراً عندَ ذاتِ الوسائِدِ[7]

وأشار أخوه مالك بن نويرة إلى وادي (فيحان) في حوصفه لفرسه، فقال[8]:

كأنّي وأبدانُ السّلاح عشيَّةً يَمُرُّ بنا في بطنِ فَيْحانَ طائِرُ[9]

أمّا الوديان السحيقة فكانت تثير الرهبة في نفوس الشعراء، ولكنهم تفاخروا بسيرهم فيها، ومنهم سُحَيْمُ بن وَثِيل[10] الذي تجشّم الخطر واقتحم هول الوادي المظلم[11]:

مَرَرْتُ على وادي السِّباع ولا أرَى كوادي السِّباعِ حينَ أظْلَمَ وادِيا

فإنْ تَقْبَلوا بالودِّ نَقبَلْ بمِثْلِـــــهِ وإنْ تُدْبِروا أدْبِرْ على حالِ حالِيا

---

[1]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص24.

[2]. المندفع: مكان اندفاع الماء وتحدّره بشدة. الغلان: بطون الأودية. منشد: جبل بالمدينة عنده عين. النعف: من الأرض المكان المرتفع في اعتراض. وقيل: هو ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط. الغراب: جبل بناحية المدينة على طريق الشام. الخطب: جمع أخطب، وهو من حمار الوحش ما كان على متنه خط أسود. الأساود: جمع أسود، وهو العظيم من الحيات.

[3]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص97.

[4]. النبع: شجر مرن تؤخذ منه القسي. نذيرها: صوتها. الأفكل: الرعدة. إذا لم تخفضه: من خفض الصوت وهو كناية عن الضرب بها وإرسالها، فإنها إذا أرسلت صوتت.

[5]. الحظوة: القضيب الصغير ينبت في أصل الشجرة. الغيل: الشجر الملتف. النبع والحثيل: من أشجار الجبال.

[6]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص90.

[7]. ذات الوسائد: موضع في بلاد بني تميم بأرض الحجاز.

[8]. المصدر نفسه، ص69.

[9]. فيحان: واد في بلاد بني سعد.

[10]. هو سحيم بن وثيل بن عمرو بن جوين بن أهيب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، عاش في الجاهلية أربعين عاماً، كان إبّانها شاعراً مجيداً، شريفاً في قومه ذائع الصيت بينهم، وكان فارساً مقداماً، شارك في أيام بني رباح اليربوعيين، وفخر ببطولاتهم، وسجل انتصاراتهم في يوم الشعب، ويوم رأس العين، ويوم غول، وغيرها من الأيام. وأدرك سحيم الإسلام، وامتد به العمر، وهو شاعر بدوي مفلق. انظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 2 : 576. ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 : 199. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 3 : 164. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص258.

[11]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص270.

- **الكثبان الرملية:**

الكثبان الرملية أشكال عرفها الشعراء فارتسمت صورها في أذهانهم، وحددوا أبعادها هندسيًّا، "فكان ما استطال منها حبلًا، وما اعوجّ حقفًا، وما استدار دعصًا، وما كان بين التقطّع والاتصال منها فهو سقط، وما احدودب كثيبًا ونقًا. وبقيت هذه الأشكال واضحة يستمدّ منها الشاعر صوره، ويعقد بينها وبين ما يريد الحديث عنه تشبيهاته[1].

وقد وجد شعراء بني تميم في كثبان الرمال المتناثرة أمكنة يذكرونها في أشعارهم، ويقفون عندها في أحاديثهم وحكاياتهم. ومنهم ذو الخرق الطهوي الذي يقول[2]:

أشار عليها بالإيادِ وحَاجِبٌ من الشمسِ دانٍ وقد ألمَّ يَغيبُ[3]

فما بَرَكتْ حتى تعرّضَ دُونَها من الرمْلِ رَمْلِ القصريين كثيْبُ[4]

وتعرّض شعراء بني تميم لذكر كثبان الرمل في حديثهم عن خيلهم، ومن هؤلاء الكَلْحَبَةُ اليربوعي[5] الذي يقول[6]:

ونادى مُنادي الحيِّ أنْ قد أتَيْتُم وقدْ شَرِبَت ماء المَزَادَةِ أجْمَعَا[7]

وقلتُ لكأسٍ ألْجِميها فإنّمـــــا نَزَلْنا الكَثيْبَ مِن زَرُودَ لِنَفْزَعَا[8]

كأنَّ بِلِيَّتِها وَبَلْدَةَ نَحْرِهـــــا من النَّبْلِ كُرَّاثَ الصَّرِيمِ المُنَزَّعَا[9]

وقد راح عَبَدة بن الطبيب يذكر العير البيض في وصفه لناقته، وقد جاء على ذكر كبان الرمل في قوله[10]:

---

[1]. انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص27-28.

[2]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص421.

[3]. الأياد: مكان من قف الحزن وهو بضفة الحزن السفلى التي تتناهى إليها السيول.

[4]. رمل القصريين: اسم موضع.

[5]. هو الشاعر هبيرة بن عبد مناف بن عُرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر. وهو شاعر جاهلي، ولقبه الكلحبة، وهو سيد من سادات تميم، وفرسان من فرسان يربوع، قاتل بني تغلب في أكثر من يوم. انظر: الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص264. وابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 : 187. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص204.

[6]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص205.

[7]. المزادة: الحوض، وهي في الأصل إناء من الجلد يتزود منه بالماء.

[8]. كأس: ابنة الشاعر أو جاريته. الكثيب: قطعة من الرمل المستطيلة المرتفعة. زرود: موضع بين ديار عبس وبني يربوع. نفزع: نغيث.

[9]. الليت: صفحة العنق. بلدة النحر: النقرة للنحر بين الترقوتين وما فوق الجؤجؤ. الكراث: نبات. الصريم: قطع الرمل.

[10]. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 84.

عيرانـــة كأتـــانِ الضّـــحْلِ ناجيـــة إذا تـــــرقَّص بـــــالقوْزِ العســـــاقيلُ[1]

مـن دونـهـا لعتـاق العـيس إن طلبـتْ خبـــتٌ بعيـــدٌ نيـــاطُ المـــاءِ مجهـــولُ[2]

فهو يجعل من ناقته جملاً لإظهار قوتها وشدة صلابتها ونشاطها، فهي سريعة تنجو بمن ركبها، بل إنها ليست كأي جمل، وإنما يجعلها الشاعر من الإبل الجياد، دلالة على قوتها، كما أنه يجعلها من الجمال البيض إمعاناً في إظهار جمالها.

- **الرياض**

اقترن ذكر بعض الرياض، بحديث الشعراء عن محبوباتهم وأماكن إقامتهن، قال الأسود بن يعفر النهشلي في وصف محبوبته [3]:

وما روضة وسمية رجَبيَّـــــة ولّتها غيوث المدجنات البوارق

حمتها رياح الحرب حتى تهولت بزاهر نورٍ مثل وشْي النَّمــارق

بأحسَنَ من سلمى غداة لقِيْتُهــا بمُنْدَفعِ الميناءِ من روضِ مـأذق[4]

كما تغزّل عدي بن زيد العبادي بحبيبته واصفاً جمالها، وطيب رائحتها التي تفوح منها كرائحة الزهور الجميلة في الرياض قائلا[5]:

زَانَـهُنَّ الشُّفوفُ يَنْهَزْنَ بالـــــ ـصُّبْحِ وعَيْشٌ مُفانِقٌ وحَــريرُ[6]

كَدُمى العاجِ في المَحاريبِ أو كا لبيْضِ في الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنيرُ

ويذكر المخبّل السعدي حال الرياض بعد فراق محبوبته، فيقول[7]:

عَفَا الرَّوْضُ بَعْدِي مِن سُلَيْمى فحائِلُهْ فَبَطْنُ عِنانٍ رَوْضُهُ فأفاكِلُـهْ[8]

فَرَوْضُ القطا بعدَ التَّساكُنِ حِقْبَـــــةً فَبِلْوٌ عَفَتْ باحاتُهُ فَمَسايِلُـهْ[9]

---

[1]. عيرانة: ناقة قوية تشبه العير في سرعتها ونشاطها. الضحل: الماء القليل. ناجية: سريعة. القوْز: الكثيب الصغير، والجمع أقواز، العساقيل: السراب.

[2]. عتاق العيس: الجياد من الإبل، والعيس: الإبل الأبيض، الخبت: ما اطمأن من الأرض واتسع، نياط الماء: حده ومكانه البعيد.

[3]. النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص54.

[4]. ماذق: رمل. وقيل: اليمامة.

[5]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص84.

[6]. الشفوف: جمع شف، وهو الثوب، أو الستر الرقيق. الفنق: النعمة في العيش، وعيش مفانق: عيش منعم.

[7]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص116.

[8]. حائل: موضع باليمامة. بطن: عنان واد. الأفاكل: لبني بكر في اليمامة.

[9]. بلو: ماء باليمامة. روض القطا: موضع باليمامة.

وأشار بعض شعراء بني تميم إلى الرياض أثناء حديثهم عن الظليم، ورعيه في تلك الرياض المعشبة. قال علقمة الفحل يصف الظليم[1]:

وَضَّاعَةً كعِصِيِّ الشَّرْعِ جُؤجُؤه كأنّه بتناهي الرَّوْضِ عُلْجومُ[2]

كما ذكر أوس بن حجر الرياض وهو يصف الإبل فقال[3]:

هُدْلاً مَشافِرُها بُحَّاً حَناجِرُهـــــا تُزْجِي مَرابيعَها في صَحْصَحٍ ضاحي[4]

فأصْبحَ الرَّوْضُ والقِيعانُ مُمْرَعَةً مِن بين مُرْتَفقٍ منها ومُنطـــــــاح[5]

ويصف عدي بن زيد العبادي رعي الدواب في الرياض، فيقول[6]:

في الرَّوْضِ تَرْعَى وتَجْري في طوائِفِهِ يَنْسِلْنَ في نَقْلِ الشِّعْريِّ إدْبارا

ويصف جمال الرياض وبهاءها في موضع آخر قائلاً[7]:

وعلى الأحْداجِ ألْوانُ القَنَا وخُزامى الرَّوْضِ يَعْلوهُ الزَّهَرْ[8]

سَبَكَتْ في كلِّ عامٍ وَدْقـهُ فَظِباءُ الرَّوْضِ يَقْرِمْنَ الثَّمَـــرْ[9]

---

[1]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص61.

[2]. وضّاعة: أي يضع في سيره، كما يضع البعير، وهو ضرب من العَدْو، ويقال: وضع البعير، وأوضعه راكبه. كعصي الشرع: شبّه عُنق الظليم بالبَرْبَط، وهو العود، والشرع أوتاره، واحدتها شرعة. الجؤجؤ: الصدر. يريد أن صدره وعنقه كالعود. تناهي الروض: حيث ينتهي السيل ويستقر. العلجوم: الليل. وقد شبّه الظليم به لسواده.

[3]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص17.

[4]. هدل: مسترخية. تزجي: تسيم وترعى. الصحصح: المكان المستوي الظاهر. تزجي مرابيعها: المرباع، الناقة التي تضع في ربعية النتاج، وهو أوله، وإنما يعني أولادها.

[5]. المرتفق: ماء راكد قد حبسه شيء يرتفق به. المنطاح: سائل لم يكن له ما يحبسه فسال.

[6]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص55.

[7]. المصدر نفسه، ص61. ولمزيد من الشواهد انظر: المصدر نفسه، ص129، ص152.

[8]. الأحداج: جمع حدج، وهو الحمل. الخزامى: نبت طيب الأزهار.

[9]. يقرمن: يأكلن.

الفصل الثاني

الطبيعة الصائتة

- **الإبل:**

لقيت الطبيعة الصائتة عناية الشاعر العربي قديما، فلا تكاد تخلو قصيدة من وصف لأحد مظاهرها، وقد كان للناقة حضورها الأبرز في هذا الوصف، ومسوّغات عناية العرب بها كثيرة، فهي رفيقة العربي في حله وترحاله.

ولقد استأثرت الإبل بحب الشاعر الجاهلي فاستمدّ الشعراء منها موضوعاً لصورهم، حتى غدا تقليدا منذُ العصر الجاهلي إلى العصور التي توالت بعده[1]؛ فهي الحيوان الأكثر ملاءمة لحياة الصحراء؛ لتحمّلها وعورتها، ومقاومتها ظروفها، وهي قلب الصحراء النابض، ومن يلهم الإنسان البدوي الصبر في الصحراء الموحشة، فيتحقق في هيئة خلقها بديع خالقها وصانعها، مما يجعلها مدعاة للتفكر والتأمّل في خلق الله تبارك وتعالى، أو ليست هي التي يقول فيها سبحانه وتعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت"[2].

كما عُدّت الناقة من أساسيات الحياة في ذلك العصر، إذ كانت ترافق الأعراب وتشاطرهم حياتهم في البوادي، فتحمل أثقالهم وهمومهم، بالإضافة إلى أن لحمها كان طعامهم إذا جاعوا، ولبنها شرابهم إذا استقوا، ومن وبرها صنعوا خيامهم.

ولعل طبيعة صفات الإبل التي تتصف بها هي من أهّلها لهذه المكانة عند أبناء الصحراء، فهي حيوانات قنوعة ترضى بالقليل، وتصبر على العطش والجوع، فإذا اخضرّت الأرض، وجدت طعامها ولا تكلف صاحبها شيئاً، وإن أجدبت، قنعت بالتهام اليابس، وإذا بَعُدَ الماء صبرت على العطش " فلم تكن الناقة مجرّد حيوان في العصر الجاهلي، فقد احتلّت مكانة عظيمة عند العرب بلغت حدّ التقديس"[3]. وقد تردد ذكرها في شعر الجاهليين، حتى لا تكاد تخلو قصيدة من ذكرها، "ولم يكن حديثهم عنها مثقلاً أو مملاً، وإن طالت الأبيات وكثرت الأوصاف، وتعددت التشبيهات والصور".[4]

---

[1] . انظر: حاوي، إيليا، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ص 35-41.
[2] . سورة الغاشية، الآية: 17.
[3] . أبو سويلم، أنور عليان، (1983)، الإبل في الشعر الجاهلي، عمان: دار العلم للنشر، ص 45.
[4] . القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، 97-106.

وقد جذب شكل الناقة المناسب لبيئة الصحراء عقول الشعراء وقلوبهم؛ فعبروا تعبيرهم الصادق عن حبهم وإعجابهم، وكأن الشاعر منهم " في وصفه محبا لها مولعا بكل أعضائها، كأنه أراد أن يصنع تمثالا متكاملا يحفره في أذهان العرب الذين كانوا يعجبون بنوقهم إعجابا لا حد له"[1].

وقد كَثُرَ ورود الإبل عموما والناقة على وجه التحديد في أشعار شعراء بني تميم، بل إنهم أولوها عناية خاصة، فجاء حديثهم عنها متنوعا معبرا عن كثير من صفاتها وطباعها، فكانوا يقومون بالدفاع عنها أمام هجمات السلب والنهب، ويسنفرون بعضهم بعضا ليردوها، وكأنهم يدافعون عن شرفهم وكرامتهم، فقد قال عدي ين زيد شعرا يوم أن أغارت خيل لأهل الشام على إبل كانت لأبيه فأخذتها، فلما أتاه الخبر انطلق يستنجد بأهل الصنائع فاستنقذوها منهم، فقال حينها[2]:

للشّـــــرفِ العَـــــوْدُ فأكنافُـــــهُ ... مـــا بـــينَ جُمـــران وينصـــوبِ[3]
خيْـــرٌ لهـــا إنْ خَشـــيتْ حجْـــرَةً ... مـــنْ ربِّهـــا زيـــدِ بـــن أيـــوبِ
متَّكئـــــا تُقْـــــرعُ أبوابُـــــهُ ... يســـعى عليـــهِ العبـــدُ بـــالكوبِ
لا يتفيـــقُ الـــدهرُ مـــن شـــربها ... مـــا حنّـــتِ النيـــبُ إلـــى النِّيـــبِ[4]

فهي أبيات تدل على المكانة التي تشغلها الناقة في ذهن العربي ووجدانه، إذ كان يعدها مرتبطة أشد الارتباط بكرامته التي يدافع عنها، بل يضحي بالغالي والنفيس لأجلها.

وقد تفاخر مالك بن نويرة بأن أبناء يربوع كانوا قد استردوا ما سلبه بنو شيبان من إبلهم، فقال[5]:

وردّ علـيهم سـرحهمْ حـولَ دارهـمْ ... ضـناكا ولـم يسـتأنفِ المتوحِّـدِ[6]

فهو لم يكن ليقبل، أو أحد من أفراد قومه أن تسلب إبلهم، ولهذا يجد الشاعر أن ما قام به وأخوته عندما استردوا إبلهم إنما هو حقيق بالفخر.

---

[1] . القيسي، نوري، حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 243.
[2] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص67.
[3] . جمران: جبل أسود بين (وفيد) من ديار تميم.
[4] . النيب: الناقة المسنة، سموها بذلك حين طال نابها وعظم.
[5] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص60.
[6] . السرح: الإبل الراعية، الضناك: الموثق الشديد الخلق من الناس والإبل، المتوحد: المنفرد، لم يستأنف: لم يتدأ رعيا.

ومن المعروف أن العرب قد اشتهروا بكرمهم، فكانوا يبذلون لضيفهم أغلى ما يملكون، إذ الناقة كانت قرى ضيفانهم، لاسيما في أوقات الشدة والحاجة، فقد امتدح متمم بن نويرة أخاه مالكا، بأنه كان يذبح النوق الكريمة للناس، يقول[1]:

ولَـنعْمَ حشـوَ الـدرع أنـت وحاسـرا ولـنعمَ مـأوى الطـارق المتنـوّر[2]

سـمْحٌ بأذنـاب المخـاض إذا شـتا طلْـقٌ حـلالُ المـال غيـر عـذوّر[3]

فهو يقول إن أخاه كريم، فإذا جاء الشتاء وكان الجدب والمحل فإنه يبذل ما عنده لإطعام الناس، فقد كان يتسامح بذبح النوق الكريمة، وفي هذا دلالة على كرمه وجوده.

وقد وظّفها متمم الناقة في موضع آخر؛ للدلالة على كرم أخيه، فغدت الناقة كأنها هي أداة الممدوح في الكرم، فيقول[4]:

وراحـتْ لقـاحُ الحـيّ جُـدبا تسـوقها شَـآميةٌ تـزوي الوجـوهَ سـفوعُ[5]

فهو يجعل من الناقة الحلوب معينا للممدوح على إنقاذ الناس في سنيّ الجدب والقحط.

وفي رثاء أوس بن حجر عمرو بن مسعود، كانت الناقة وسيلة الشاعر في ذكر مآثر المرثي؛ إذ كان هذا المرثي يطعم الناس النوق التي هي من خيرة ماله، يقول[6]:

المُطْعـمُ الحـيَّ والأمـواتَ إن نزلـوا شـحمَ السّـنامِ من الكوم المقاحيدِ[7]

فإطعام الناقة هنا يأتي دلالة على كرم المرثي، في إطار ذكر المآثر التي كان يتحلى بها، بل إن الشاعر يجعل الناقة هنا من خيرة النوق التي كان العرب يتباهون بها، فهي الناقة السمينة دلالة على صحتها، وكانوا لشدة كرمهم يذبحون للضيف أفضل إبلهم، ما كانت مكتنزة اللحم، عظيمة الجسم، ولا يقدمون الإبل الضعيفة أو المسنّة.

---

[1] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 93.
[2] . الطارق: الذي يطرق ليلا. والمتنور: الذي يتبع نورا يلتمس فيه القرى. الحاسر: من لا درع له.
[3] . السمح: المتساهل. المخاض: الحوامل من النوق والعشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. العذوّر: السيء الخلق.
[4] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 104.
[5] . اللقاح: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب. راحت: أي راحت اللفاح إلى أهلها من ذدة الريح والبرد وذلك أيام الجدب. شآمية: ريح شآمية. تزوي: تقبض من شدتها. السفوع: التي تسفع الوجه.
[6] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 25.
[7] . الكوم: جمع كوماء وهي الناقة السمينة. المقاحيد: جمع مقحاد، وهي الناقة العظيمة السنام.

وهو المعنى ذاته الذي يلحّ عليه عمرو بن الأهتم، إذ قال قصيدة مفتخرا فيها بجوده وكرمه، يقول[1]:

فقلتُ لهُ: أهلا وسهلا ومرْحبا فهذا صبوحٌ راهنٌ وغُبُوقُ[2]

وقمتُ إلى البرْكِ الهواجدِ فاتَّقتْ مقاحيدُ كُومٍ كالمجادلِ روقُ[3]

وقد امتدح السُّلَيْكُ بنُ عمرو نَفْسَهُ، بأنه مَنْ يطعم الملهوف، ويغيث المحتاج بأنه كان يعقر لهم مطيته ليسد حاجتهم، يقول[4]:

إذا أرملوا زاداً عقرتُ مطيَّةً تجرَّ برجليها السريح المُخَدّما[5]

كما كانت الناقة وسيلة الشاعر في تنقله عبر الفيافي، فكان يحمل عليها ما يريد ويقطع بها الصحراء، وقد تغنى شعراء بني تميم في نوقهم التي كانت تحملهم على ظهرها، فأوس بن حجر مثلا يتغنى أمام قومه بأن ناقته الجلذية هي التي راحت تحمله على ظهرها، لذا راح يصفها بأنها صلبة قوية في قوله[6]:

وقد أراني أمامَ القومِ تحملُني جُلْذيّةً وصلتْ دأيا بألواح[7]

وتكاد الصورة ذاتها تتكرر عند علقمة الفحل الذي راح يطلب من ناقته أن تحمله ليلحق بالقوم الذين ابتعدوا عنه، ولعلمه أن الطريق شاقة وطويلة ووعرة؛ أراد من ناقته أن تكون ناقة شديدة مكتنزة اللحم، فيقول[8]:

هل تُلحقني بأولى القومِ، إذ شحطوا جُلذيةً كأتانِ الضّحلِ عُلكومُ[9]

تُلاحظ السوط شَزْرا وهي ضامزة كما توجَّس طاوي الكشح موشومُ[10]

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 167.
[2] . صبوح راهن: شراب دائم.
[3] . البرك: الإبل البراكة. الهواجد: النيام. روق: خيار كريمة.
[4] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 67.
[5] . أرملوا: نفد زادهم. مطية: ناقة. السريح: شجر لاشوك له. المخذم: المقطع.
[6] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 18.
[7] . جلذية: الناقة الشديدة. الدأي: فقار عظام الظهر.
[8] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 37.
[9] .أولى القوم: أولهم. شحطوا: بعدوا. جلذية: ناقة شديدة. الأتان: صخرة تكون في الماء، فهو أصلب لها. العلكوم: كثير اللحم.
[10] . تلاحظ السوط شزرا: تنظر إليه بمؤخر عينها خوفا منه. ضامزة: أي ضامة لحييها لا تجتر؛ وذلك أسرع لها.

كما عبَّر الشعراء عن أهمية الناقة في حياتهم، وأنها وسيلتهم الأقوى للسفر، وكأنها كانت الأداة التي تعينهم على تحقيق ما في أنفسهم؛ لذلك راحوا يطلقون عليها أقوى الصفات وأشدّها؛ للتعبير عن قدرتها على تحمّل مشاق السفر والترحال، وفي ذلك يقول المُخبَّل السَّعدي[1]:

حتَّـــى إذا مـــالَ النهـــارُ وأنزفـــتْ عينـــي الـــدموعَ وقلـــتُ أيَّ مَـــزار
قرّبـــتُ حـــادرة المناكـــبِ حـــرّةً خُلقـــتْ مطيَّـــة رحْلـــةٍ وَسَـــفار

فهو يريد من هذه الناقة أن تزيح عنه الهمَّ الذي علق في نفسه، وتنطلق به في رحلة سفر شاقة طويلة، فهو يعلم أنها وحدها هي القادرة على تجشم صعاب الرحلة معه، وكأنها رفيقة دربه، وكذلك هو حال عمرو بن الأهتم مع ناقته، إذ اختار أن يجوب الصحاري وتسفعه حرور الصيف على ظهرها، فيقول[2]:

وكـــائنْ مـــن مصـــيف لا ترانـــي أعـرّسُ فيـه تسـفعني الحَـرورُ[3]
علـــى أقتـــادِ ذِعْلبـــةٍ إذا مـــا أديثـــتْ ميَّثـــتْ أخـــرى حســـيرُ[4]

وقد ذهب سلامة بن جندل إلى التفاخر في أنه يمتطي هذه الناقة لإغاثة الملهوف وتلبية المحتاج، كما يركب فرسه لإجابة المستغيث والمستصرخ به، إذ يقول[5]:

وشـــدَّ كُـــورٍ علـــى وجنـــاءَ ناجيـــةٍ وشدَّ لِبْدٍ على جرداءَ سرحوبُ[6]

فهي يأتي بصورة الناقة السريعة هاهنا؛ لأنها ستكون أداته التي راح يتفاخر بها في إغاثة الملهوف، ونجدة المستغيث، وهو بذلك يسير على خطى شعراء بني تميم في أن الناقة كانت وسيلتهم الأولى في السفر والترحال.

وكذلك احتلّت الناقة مكانة عظيمة عند شعراء بني تميم، فهي ملاذهم إذا آلمهم الهمّ، وهي وسيلتهم للتخلص من الطوارق التي تصيبهم، فهي من تروّح عنهم الهموم وتنسيهم أحزانهم بالسفر عليها، وقد تردد هذا المعنى في معارض مختلفة من أشعارهم، يقول علقمة الفحل[7]:

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 105.
[2] . المصدر نفسه، ص 172.
[3] . المصيف: حيث يقيم في الصيف. التعريس: النزول من آخر الليل. تسعفني: تغير لوني. الحرور: الريح الحارة بالليل، وقد تكون بالنهار.
[4] . الأقتاد: خشب الرحل. الذعلبة: الناقة الخفيفة التامة الخلق. أديثت: لينت بالرياضة. ميثت: سارت سيرا سهلا. الميثاء: الأرض السهلة.
[5] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 129.
[6] . ناجية: سريعة تقطع الأرض بسيرها. اللبد: ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج.
[7] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 57.

فـدَعْها وسـلِّ الهـمَّ عَنْـك بجسْـرةٍ كهمّـكَ فيهـا بـالرِّدافِ خبيـبُ[1]
وناجيـةٍ أفنـى ركيـبٌ ضـلوعها وحاركهـا تهجُّـرٌ فـدؤوبُ[2]

فهو يختار هذه الناقة القوية السريعة ليتخلص بها من هذه الهموم التي خلفتها في قلبه تلك المرأة التي عشقها، فالناقة كانت وسيلته للخلاص مما علق في نفسه من الهموم، وهو المعنى ذاته الذي ذهب إليه أوس بن حجر في قوله[3]:

فـدعها وسـلِّ الهـمَّ عنـك بجسـرةٍ عليها من الحوْلِ الذي قدْ مضى كثْرُ[4]

فهو اختيار مقصود من الشاعر لناقته لتكون هي الملاذ له للتخلص من الهموم، وليتخذها مطيته في السفر، تاركا ما خلفته الأيام في نفسه من هموم وآلام؛ ولهذا كان الشاعر التميمي يعمد إلى اختيار ناقة جسرة، ناجية ليرتحل عليها؛ لأنها هي التي ستعينه على الخلاص من الأزمة النفسية التي كان يعانيها في لحظة من اللحظات[5].

وقد اختار متمم بن نويرة الرحيل على ناقته – وهذا دأب شعراء بني تميم – ليعلن عن قطع العلاقة مع المرأة التي كان يحب، فيقول[6]:

ولقـدْ قطعـتُ الوصـلَ يـوم خلاجِـهِ وأخـو الصـريمة فـي الأمـور المزمـعُ[7]
بمجـدّةٍ عـنْسٍ كـأنّ سـراتها فـدَنٌ تطيـفُ بـه النبـيطُ مَرفَّـعُ[8]
قرَبتُهـا للرحّـلِ لمّـا اعتـادني سـفرٌ أهِـمُّ بـه وأمـرٌ مُزمِـعُ

فهو يعلن عن القطيعة بينه وبين امرأته، ولا يكتفي بذلك بل يقرر الرحيل على ناقة هي ليست كأي ناقة، إذ يختار الناقة القوية الصلبة السريعة التي ستجدّ في السفر به، وقد ذهب الشاعر إلى تشبيهها بالقصر المشيد العالي كناية عن قوتها وبأسها.

---

[1] . الجسرة: الناقة الطويلة. كهمك: كما تريد. خبيب: سير سريع دون العدو.
[2] . ناجية: ناقة سريعة. ركيب ضلوعها: ما ركبها من الشحم واللحم. الحارك: مقدم السنام. التهجر: السير في الهاجرة.
[3] .أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 38.
[4] . الكترة والكتر: السنام العظيم شبه بالقبة. ويقال للجمل الجسيم: إنه عظيم الكتر.
[5] . للمزيد من الأمثلة على أن الناقة هي المخلص من الهموم عند شعراء بني تميم، انظر: الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص37، والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص220، ص 132، ص 172.
[6] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 94.
[7] . الخلاجة: الشك والجذب المخالفة. الصريمة: العزم والمزمع على الشيء المجمع عليه.
[8] . المجدة المسرعة في سيرها. العنس: الناقة الصلبة. سراتها: أعلاها. الفدن: القصر المشيد. تطيف: تدور حوله. المرقع: المعلى.

ويرى عدي بن زيد في مواضع مختلفة من شعره أن الترحال على ناقة شديدة سريعة، أمر يزيل هموم النفس[1]. أمّا الأسود بن يعفر فغالبا ما كان يلجأ إلى الناقة الجسرة لتسرّي عنه همه في كل أحواله[2].

ومن الملاحظ أن شعراء بني تميم متشابهون في وصف نوقهم، من حيث الضخامة، واكتناز اللحم، والقوة، والسرعة في الجري، والقدرة على احتمال الأسفار، واجتياز المسافات الطويلة إبّان اشتداد القيظ، وهم في هذا يتفقون مع شعراء عصرهم الجاهليين.

غير أن بعض الشعراء لم يتوقف عند ما تم ذكره عن الناقة، بل ذهب الى وصف أعضائها وأجزاء جسمها بدقة بالغة، فقد وصف عبدة بن الطبيب ناقته التي أرادها أن ترحل به بعيدا عن المرأة التي تركته ورحلت عنه، فقال[3]:

فعدِّ عنها ولا تشغلكَ عن عَمَلٍ ... إنَّ الصّبابة بعد الشبِّ تضليل[4]

بجسرةٍ كعَلاة القينِ دوْسَرَةٍ ... فيها على الأينِ إرقالٌ وتبغيلُ[5]

عنْسٍ تشيرُ بقِنوانٍ إذا زُجِرتْ ... منْ خصبَةٍ بقيتْ فيها شماليلُ[6]

قرواءَ مقذوفةٍ بالنَّحْضِ يشعَفُها ... فرْطُ المراح إذا كلَّ المراسيلُ[7]

فالشاعر يأتي على تفصيل الوصف في ناقته، فهي ناقة صلبة، طويلة على الأرض، ضخمة، فظهرها طويل يشبهه في صلابته سندان الحداد، فهي مكتنزة باللحم من كل جوانبها، فهو يذكر هذه الصفات المحببة للناقة عند الإنسان العربي، ليجعل من ناقته ناقة متفردة في صفاتها.

وقد أكثر شعراء بني تميم من نعت الناقة بصفات الجمل وخصاله، من حيث القوة، والصلابة، والنشاط، والصبر، ومن أمثلة ذلك قول أوس بن حجر يصف قوة ناقته، ويجعلها كقوة الفحل، إذ هي عقيم لا تحبل، وهذا أقوى لها وأشد، إذ يقول[8]:

---

[1] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 44، 159.

[2] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص22، 31.

[3] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 59.

[4] . عدّ عنها: اصرف عنها. يأمر نفسه بالسلو عنها. الصبابة: رقة الجزع ورقة الشوق وما يصيبه منه.

[5] . الجسرة: الناقة الصلبة، أو الطويلة على الأرض. العلاة: سندان الحداد شبهها بها في صلابتها. القين: الحداد. الدوسرة: الصلبة الضخمة. الأين: الإعياء.

[6] . عنس: صلبة، تشير بقنوان: أي بذبها. القنوان: جمع قنو وهو العذق. الخصبة: الدقلة،

[7] . قرواء: طويلة الظهر، وهو مستحب في الإبل. النحض: اللحم. فرط المراح: ما تقدم منه. يشعفها: ينزع فؤادها ويستخفها. المراسيل: السراع السهلات في السير، واحدها مرسال. مقذوفة: مرمية باللحم من كل جانب منها.

[8] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 40-41.

وقـدْ تُلافـي بـيَ الحاجـاتِ ناجيـة أجْـدُ الفقـار وإدلاجٌ وتهْجيـرُ[1]
تُسـاقطُ المشـيَ أفنانـا إذا غضـبتْ إذا ألحـت علـى ركبانهـا الكُـورُ[2]
حـرفٌ أخوهـا أبوهـا مـن مهجّنـة وعمَهـا خالُهـا وجْنـاءُ مِئشـيرُ[3]

فهو يسبغ هذه الصفات على ناقته فيجعلها تبدو وكأنها جمل لشدة قوتها وصلابتها، وكذلك راح عبدة بن الطبيب يصف ناقته بصفات يشبهها من خلالها بالعير في قوله[4]:

عيرانـة كأتـان الضّـحْلِ ناجيـة إذا تـرقَّص بـالقوْرِ العَسـاقيلُ[5]
مـن دونهـا لعتـاق العيس إن طلبتْ خبـتٌ بعيـدٌ نيـاطُ المـاءِ مجهـولُ[6]

فهو يجعل من ناقته جملا لإظهار قوتها وشدة صلابتها ونشاطها، فهي سريعة تنجو بمن ركبها، بل إنها ليست كأي جمل، وإنما يجعلها الشاعر من الإبل الجياد، وفي هذا إمعان في إظهار صفات القوة والصلابة في ناقته.

كما ذهب الشعراء التميميون إلى تشبيه نوقهم بحيوانات أخرى؛ لإظهار قوتها وصلابتها وشدة سيرها وتخطيها الصعاب، فقد شبهها أوس بن حجر بعير الوحش في قوله[7]:

عيرانـة كأتـان الضـحْلِ صـلْبَها جرْمُ السّواديِّ رَضوهُ بمِرضاح[8]

فالشاعر يشبه ناقته بعير الوحش؛ لأنه أراد أن يظهر صلابتها وقوتها، كما شبهها علقمة الفحل بالثور الوحشي في قوله[9]:

تُلاحظُ السوط شزرا وهي ضامزة كما توجَّس طاوي الكشح موشوم[10]

---

[1]. الناجية: الناقة السريعة تنجو بصاحبها. الوجناء: الناقة الشديدة. العيسور: الناقة الشديدة التي لم تروض كالعيسرانة.
[2]. أفنانا: أنواعا. الخور: جمع خور، وهو المنخفض المطمئن من الأرض. ألحت: تتابعت وكثرت.
[3]. المهجنة: الناقة أول ما تحمل، أي أنها ولدت لهذه المهجنة. مئشير: بطرة.
[4]. عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 84.
[5]. عيرانة ناقة قوية تشبه العير في سرعتها ونشاطها. الضحل: الماء القليل. ناجية: سريعة. القور: الكثيب الصغير والجمع أقوار، العساقيل: السراب.
[6]. عتاق العيس: الجياد من الإبل. والعيس: الإبل الأبيض. الخبت: ما اطمأن من الأرض واتسع. نياط الماء: حده ومكانه البعيد.
[7]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 18.
[8]. عيرانة: الناقة الصلبة. أتان الضحل: صخرة تكون على فم الركي، فيركبها الطحلب حتى تملاس فتكون أشد ملامسة من غيرها. المرضاح: الحجر الذي يدق به النوى.
[9]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 57.
[10]. الطاوي: الضامر. الكشح: يعني ثوراً وحشياً، شبه ناقته به.

فهو يشبه ناقته بالثور الوحشي أثناء نظرها إلى السوط، وتسمّعها لحسه، ويبدو أن الشاعر خصَّ الثور بهذا التشبيه؛ لأنه أكثر الحيوان تسمّعا، وأصدقها سمعا.

ثم عاد الشاعر نفسه ليشبه ناقته في موضع آخر بالظليم، في قوله[1]:

كأنهـــا خاضـــبٌ زُعْـــرٌ قوائمُـــهُ أجنـى لـهُ بـاللِّوى شـرْيٌ وتنُّـومُ[2]

يظـلُّ فـي الحنظـلِ الخُطْبـانِ ينقُفُـهُ وما استطفَّ من التَّنُّوم مخذومُ[3]

وقد كان شعراء بني تميم كلفين بتصوير قوة الناقة وضخامتها، وسرعتها، وجلدها، وقوة تحمّلها، ومقاومتها ظروف الحياة القاسية، وقدرتها على اجتياز المفاوز الرهيبة، فيصف علقمة الفحل ناقته الصبور، التي تنطلق في سيرها بصمت، وتمضي مسرعة في الهجير لا تبالي بما يصيبها وكأن همها الوحيد أن توصل الشاعر إلى المقام الذي يريد، يقول[4]:

وناجيـــة أفنـــى ركيـــبُ ضـــلوعها وحاركهـــا تهجّـــرٌ فـــدؤوبُ[5]

وتصـبحُ عـن غِـبِّ السُـرى وكأنهـا خبـتٌ بعيـدٌ نيـاطُ المـاءِ مجهـولُ[6]

تعفّـــقَ بـــالأرطى لهـــا، وأرادهـــا رجـــالٌ نـــبلهم وكَليـــبُ[7]

فهو يتحدث عن هذه الناقة التي أتعبها السير في حرِّ الهجير، فصارت ضامرة من شدة سرعة سيرها، حتى إن سنامها قد انحط لشدة ضمورها، وإلحاحها السير دونما توقف، وكأنها غدت بقرة مذعورة في نشاطها وحدتها، إلا أنها على الرغم من حالة التعب التي أصابتها، قد استطاعت أن تصل بالشاعر إلى الوجهة التي أرادها.

ويقدّم المخبّل السَّعدي وصفاً دقيقاً لناقته، مظهراً قوتها وشدتها وصلابتها، من خلال وصفه الطريق الذي سارت فيه، وكيف أنها استطاعت أن تجتازه وتتغلب عليه فيقول[8]:

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص58.

[2] . الخاضب: الظليم الذي أكل الربيع، واحمرّت قوائمه، وأطرف ريشه. الزعر: القليلة الريش. اللوى: ما التوى من الرمل. الشري: شجر الحنظل.

[3] . الخطبان: من الحنظل الذي صارت فيه خطوط صفر وحمر.

[4] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 37.

[5] . ناجية: يريد سريعة. ركيب ضلوعها: مقدم السنام، وإذا هزل البعير انحط سنامه. التهجر: السير في الهاجرة.

[6] . القنيص: الصيد. الشبوب: المسنة.

[7] . التعفق: اللواذ. بذت: سبقت. الكليب: جماعة الكلاب.

[8] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 112- 113.

عارضـــتْهُ مَلَـــثَ الظَّـــلام بمـــدْ ... عـــانِ العشـــيِّ كأنهـــا قـــرْمُ[1]
تـــذرُ الحصـــى فِلقـــاً إذا عصَـــفتْ ... وجـــرى بحَـــدٍّ سَـــرابها الأكَـــمُ[2]
قلقـــت إذا انحـــدرَ الطَّريـــقُ لهـــا ... قلـــقَ المحالـــةِ ضـــمَّها الـــدِعمُ[3]
لحقـــتْ لهـــا عَجُـــزٌ مُؤيَّـــدة ... عقْـــدَ الفقَـــار وكاهـــلٌ ضـــخمٌ[4]
وقـــوائمٌ عـــوجٌ كأعمـــدة الـــ ... بُنيـــانِ عـــولى فوقهـــا اللحـــمُ[5]
وإذا رفعـتَ السـوط عنهـا أفزعهَـا ... تحْـــتَ الضـــلوع مُـــروَّعٌ شـــهْمُ[6]
وتَسُـــدُّ حاذيْهـــا بـــذي خُصَـــلٍ ... عُقِمـــتْ فنـــاعمَ نبتـــه العُقْـــمُ[7]
ولهـــا مناســـمُ كـــالمواقع لا ... مُعْـــرٌ أشـــاعرُها ولا دُرْمُ[8]

فهو يصف هذه الناقة، ويظهر صفاتها على أحسن حال، إذ إنها ناقة سريعة، يشتدّ عدوها كلما أحست بالتعب، بل إنها راحت تفلق الصخر لصلابة خطوها على الأرض وشدته، ثم راح الشاعر يعرض لبعض صفاتها الخلقية، فوصف قلبها الذي كان يفزعها لقوته وسرعة نبضه، في دلالة على قوة الناقة ذاتها وشدتها، كما أنه وصف ذنبها، فجعله ذيلاً طويلاً يسد فرجها، فهي لا تحمل وهذا إمعان في قوتها، ويجعل الشاعر قوتها هذه نابعة من قوائمها التي راح يصفها وكأنها أعمدة بنيان صلبة شامخة.

كما عمد شعراء بني تميم إلى جعل الناقة واحدة من الأمور التي يتفاخرون في سلبها؛ في إشارة إلى المكانة الرفيعة التي كانت تمثلها الناقة في نفس العربي ووجدانه، ومن ذلك قول السُّلَيْكِ بن عَمْرو لمّا أغار مع أصحابه على إبل شيخ اسمه حَوْشَبُ بن يزيد بن رُوَيْم الشيباني، فقتله واستاق إبله[9]:

وعاشـــيةٍ راحـــتْ بطانـــا ذعرْتهـــا ... بســـوطِ قتيـــلٍ وسْـــطُها يُتسـيّفُ[10]
كـــأنَّ عليـــه لـــونَ بُـــرْدٍ مُحبَّـــرٍ ... إذا مـــا أتـــاهُ صـــارخٌ يتلهَّـــفُ

---

[1] . عارضته: سرت فيه. ملث الظلام: اختلاطه. مذعان: ناقة أذعنت السير. القرم: الفحل المتروك عن العمل من الإبل.
[2] . عصفت: اشتد عدوها. فلق: تكسر الحصى لصلابتها.
[3] . قلق: سير حثيث. المحالة: بكرة البئر. الدعم: العودان اللذان اكتنفا البكرة.
[4] . لحقت لها عجز: لم يخنها عجزها، مؤيد: مشدد مكتنز.
[5] . القوائم العوج: أسرع لها.
[6] . المروع: الفؤاد. شهم: شديد قوي.
[7] . تسد خلفها بذنبها. عقمت: لم تحمل فزاد في قوتها وسرعتها.
[8] . المنسم: طرف خف البعير. المواقع: المطارق. معر: قلة الشعر.
[9] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 55.
[10] . العاشية: الإبل في العشي. يتسيف: يضرب بالسيف، وهو يشير إلى مقتل صاحب الإبل وفرارها من حوله.

فهو يجعل الإبل العاشية هي مستهل هذه القصيدة التي أراد أن يظهر من خلالها أنه قتل صاحبها، واستاقها.

كما كانت النوق واحدة من الأمور التي يهجى عليها صاحبها إذا سلبت منه، أو من أحد جيرانه، ومثل ذلك قول المخبل السعدي يهجو قُشَيْراً لإغارة المُنْتَشِر بن وَهْبٍ على إبل جار لهم[1]:

إنّ قشـيراً مـن لقـاح ابـن حـازمٍ ... كَراحِضـةٍ حيْضـاً وليستْ بطـاهر[2]

فـلا يأكلنهـا البـاهليُّ وتقعُـدوا ... لـدى غَـرَضٍ أرمـيكُمُ بـالنواقِر[3]

أغـرَّكَ أنْ قـالوا لعـزّةِ شـاعرٍ ... فنـاكَ أبـاهُ مـن خفيـرٍ وشـاعر

فهو يستغل هذه الإغارة التي حدثت على جار قشير، فيتخذها فرصة لهجاء قشير، فالشاعر يعدّ سبي الإبل إهانة وعارا في قوم قشير فيهجوهم لأجلها.

ومثله قول قيس بن عاصم يوم الكُلاب الثاني، إذ لحق بالأعداء الذين أغاروا على قبيلته وسرقوا إبلهم، إلا أنهم استردوا الإبل ونكلوا بأعدائهم فانتصرت تميم على قبائل اليمن يومها، فقال هذا الشعر يهجوهم ويمدح بني قومه[4]:

فـي كـلِّ عـامٍ نَعـمٌ تحْوونـهُ ... يلْقِحُـهُ قـوْمٌ وتنتجونـه[5]

أربابُـهُ نَـوْكَى فـلا يحْمونَـهُ ... ولا يلاقـونَ طِعَانـاً دونـه[6]

أنعَـمَ الأبنـاء تحسـبونَهُ ... هيْهـاتَ هيْهـاتَ لمـا ترْجُونَـهُ[7]

فهو يجعل من الإبل مركزاً لقوله مادحا وذاما، فقد هجا أعداء قومه لسبيهم هذه الإبل اللواقح، وامتدح بني قومه لاستعادتها وردها من السلب، فكانت الإبل نقطة رئيسة في الأبيات.

ولعل النماذج السابقة التي عرضت لها الدراسة تمثل حرص شعراء بني تميم على أن يظهروا الناقة على خير الصفات وأبهاها، فقد راحوا يسبغون على نوقهم خير الصفات وأقواها، كما أن

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 136.

[2] . قشير: من بني كعب بن ربيعة في قيس عيلان. لقاح: إبل. ابن حازم: جار بني قشير. الراحضة: الغاسلة.

[3] . الباهلي: هو المنتشر بن وهب. النواقر: الدواهي والمصائب.

[4] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 156.

[5] . النعم: الماشية من الإبل وغيرها. يلقحه: إذا حملت النعم أغرتم عليها فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندكم. تنتجونه: من نتاج الناقة إذا ولدت.

[6] . نوكى: حمقى، وضعاف التدبير والعمل.

[7] . الأبناء: كل بني سعد بن زيد بن مناة إلا رهط كعب بن سعد.

هذه الصفات تبدو مشتركة بين معظم شعراء بني تميم إن لم يكن عندهم جميعهم، فناقتهم دائما هي: (العيرانة، والجسرة، والناجية، والمطية، والحرف،...) وغيرها من الصفات المشتركة التي راح شعراء بني تميم يكررونها في وصفهم لنوقهم.

كما بدا واضحا من أشعار بني تميم أن الناقة عندهم هي الصديق الوفي، وهي الرفيق في رحلة الصحراء القاسية، تعاني ما يعانون، بل إنها قد تضحي بنفسها من أجل صاحبها، ولهذا صوّر الشعراء نوقهم على أنها من أقوى النوق وأشدها صلابة، وأسرعها سيرا، ومن هنا عمد شعراء بني تميم إلى تشبيه نوقهم بحيوانات تتصف بالقوة والبأس؛ فشبهوها بالفحل مرة، وبالثور الوحشي مرة أخرى، وكذلك بالظليم ثالثة.

- **<u>الخيل:</u>**

شُغف العربي بفرسه، فوجد فيه صديقاً حميماً ، يُنجده في الشدّة، ويلهو به في الرخاء، ولا يخفى ما للخيل في نفس العربيّ من مكانة رفيعة، حتّى إنّه لم تُعرف أمّة تجلّ الخيل وتعترف بفضلها مثل العرب، وعُدّت الخيل من أشرف الحيونات وأفضلها، وقد أحبّها العرب منذ القدم، وكانوا لا يأنفون من خدمتها، ورعايتها والاهتمام بها، إلى أن بلغ بهم أنهم " كانوا لا يهنؤون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس ينتج" [1]، ففضّلوها وآثروها على أنفسهم، وقالوا عن العربيّ: إنه "كان يبيت طاوياً ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وأهله وولده، فيسقيه المحض، ويشرب الماء القراح، ويأكل التمر، ويعلفه الشعير في الصيف، ويجلله بالأكسية التي تصونه، وتمنع عنه أذى الرياح في الشتاء"[2].

ولم تفقد الخيل أهميتها عندما أشرق نور الإسلام على ربوع الجزيرة العربية، بل كانت وسيلة مهمة للمسلمين في قتال الكفار والمشركين، وانتشار الإسلام في أرجاء المعمورة، فأوجب الله سبحانه تهيئتها عند الاستعداد للمواجهة والقتال، يقول تعالى: "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ..."[3] وصوّر القرآن الكريم أهميتها، فأقسم بها الله تعالى

---

[1] . ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني (ت463هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، دار الجيل، بيروت، 1981، 1: 65.

[2] . القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص108.

[3] . الأنفال، الآية: 6.

في قوله: "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا"[1].

وفي ديوان العرب، ذهب الشعراء إلى أن أفسحوا مجالاً واسعاً لوصفها والتباهي بها، فلم يُعنَ الشعراء في العصر الجاهلي بشيء عنايتهم بالخيل والإبل قياساً إلى الشعر الذي تناول بقيّة الحيوانات الأليفة.

كما أنّ طبيعة الحياة العربية، وقسوة الظروف الطبيعية في جزيرة العرب جعلت العربي يستحب في خيله الصفات الكريمة؛ لتكون قادرة على تلبية كل مطلب، وقد ظهر أن شعراء بني تميم أولوا الخيل عناية خاصة في أشعارهم؛ فكثر الحديث عنها وعن صفاتها، فقد افتخرعدي بن زيد بفرسه، فذكر صفاتها وعدد مناقبها في قوله[2]:

ولقدْ أغدو ويغْدو صُحْبتي ... بكميْتٍ كَعُكاظيِّ الأَدْمِ[3]

فضلَ الخيْلَ بعرْقٍ صالحٍ ... بيْنَ يعْبوبٍ ومن آلِ سَحَمِ[4]

فتنامتْ أفحُلٌ نُجْبٌ بهِ ... فهوَ كالتمثالِ جيَّاشٌ هَزِمِ[5]

فهو يصف فرسه، ويتباهى به على أنه فرس أصيل غير مهجن (بعرق صالح)، ويأتي على ذكر صفة العدو والجري السريع في فرسه، وهي من الصفات التي كان شعراء بنو تميم يلحون عليها، ففرسه عداء لا يتفوق عليه غيره، وقد أراد الشاعر أن يظهر قوة فرسه وصلابته فجعل صوته يشبه هزيم الرعد، وكأنه تدب الرعب في قلوب العدوّ.

وقد تكرر ذكر صفة السرعة في عدو الفرس، وأفضليتها في ميادين السباق عند الشعراء التميميين، فتميم بن نويرة يتفاخر بأن فرسه من السوابق إذ يقول[6]:

وقدْ علمتْ أولي المغيرةِ أننا ... نُطرِّفُ خلف الموقصات السوابقا[7]

---

[1] . العاديات، الآية: 1-5.

[2] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 74.

[3] . الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأحمر والأسود. الأدم: جمع أديم، وهو الجلد. وأديم عكاظي: منسوب إلى سوق عكاظ، وهو مما حُمل إليها فبيع بها.

[4] . اليعبوب: صفة للفرس العداء.

[5] . فرس هزم: له صهيل مثل هزمة الرعد.

[6] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 124.

[7] . التطريف: أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه. والموقصات جمع موقصه، وذلك إذا جرى الفرس في عدوه نزوا ووثبا وهو يقارب الخطو فذلك التوقص.

ويؤكد الأسودُ بن يعفر على أهمية الخيل السسريعة وقت الإغارة، فيذكرها مفتخرا بها وبنفسه في قوله[1]:

وغـــــارةٍ شـــــعواءَ ناصـــــبْتها بســـــابحِ ذي خُضُـــــرٍ مُلْهـــــبِ[2]

وكأنه يريد أن يخبرنا بأن الفرس السريعة هي الأنسب للإغارة، وأن الإغارة لا تتم إلا بها، وهو أمر يحقق للشاعر الغاية النفعية من الفرس.

وقد تنوعت ألفاظ شعراء بني تميم في التعبير عن صفة السرعة في خيلهم، فهي (ناجية) عند أوس بن حجر في قوله[3]:

وَمُعَصَّـــبينَ علـــى نـــواجٍ ســـدْتَهُمْ مثْـــلَ القســـيِّ ضـــوامرٍ برحـــالِ[4]

وهي (خيفق) عند سلامة بن جندل في قوله[5]:

لـدُنْ غُـدْوةٌ حتّـى أتـى الليـل دونهـمْ ولـم يَـنجُ إلا كـلَّ جـرداءَ خيفـق [6]

فهو يدرك أهمية الفرس السريعة، لذا يرى بأن من أنقذ أعداءه هو الليل، أو من كان يمتطي فرسا سريعة.

وقد ذهب شعراء بني تميم إلى التفصيل في صفات الخيل، فوقفوا على صفاتها الجسمية، وضخامتها وقوتها، فصوروا هيأتها وحالها، يقول متمم بن نويرة[7]:

ولقدْ غدوتُ على القنيص وصاحبي نهْـدٌ مراكِلُـــهُ مِســـحٌ جُرْشُـــعُ[8]
ضـافي السـبيب كـأنّ غصـنَ أبـاءةٍ ريّـــان ينفُضُـــها إذا مـــا يُقْـــدَعُ[9]
تنِـــــقُ إذا أرســـــلتَهُ مُتقـــــاذِفٌ طمّـــاحُ أشـــرافٍ إذا مـــا يُنْـــزعُ[10]

---

[1] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 22.
[2] . الخضر: شدة العدو.
[3] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 107.
[4] . النواجي: الخيل السراع.
[5] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة جندل، ص 171.
[6] . التطريف: أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه، والموقصات جمع موقصه، وذلك إذا جرى الفرس في عدوه نزوا ووثبا وهو يقارب الخطو فذلك التوقص.
[7] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 97.
[8] .القنيص: الصيد. النهد: التام. المراكل: جمع مركل، وهو موضع رجل الفارس من جنب الفرس. المسح: السريع العدو، واصل السح الصب. جرشع: غليظ منتفخ.
[9] . الضافي: الطويل. السبيب: شعر الذنب، والناصية والإباءة القصبة. يقدع: يكف.
[10] . التئق: السريع الجري. المتقاذف: الذي يقذف بنفسه في الجري. الأشراف: الأشواط.

فيظهر من هذه الأبيات كيف أن الشاعر عمد إلى التفصيل الدقيق في صفات فرسه، فراح يصفه بالطول والخفة لتأكيد صفة العدو فيه، ثم أتي على وصف ذيله وناصيته فشبّه خصائل عرفه إذا نفضته بقصبة رطبة، فإذا دفعت نفسه نحو الجري تفجرت من قوته.

وكذلك ذهب علقمة الفحل إلى التفصيل في وصف فرسه لتناسب الغزو الذي يزمع عليه، فقال[1]:

وقــدْ أقــودُ أمــامَ الحــيِّ ســلْهبةً ... يهدي بها نَسَبٌ في الحيِّ معلومُ[2]
لا فــي شـظاها ولا أرسـاغها عَنَـتٌ ... ولا السَّــنابكُ أفنــاهنَّ تقلــيمُ[3]
سُــلّاءةٌ كعصــا النهــديّ غُــلَّ بهــا ... ذو فيئـةٍ مـن نـوى قُـرّانَ معجـومُ[4]

فهو يفاخر بهذه الفرس الطويلة، وقد جعلها معروفة النسب في القوم، فهي كريمة أيضا، كما أنه نفى عنها صفة العنت في عَظْمِها، كما نفي صفة التقليم عن حوافرها، فعظم أذرعها صلب قوي، وكذلك حوافرها صلاب لم تأكلهن الأرض، فتقلمها، وقد شبه صدرها وعظم عجرها بشوكة النخلة، في دلالة على دقته؛ وهو أمر مستحب في إناث الخيل.

ويبدو إلحاح شعراء بني تميم على أن يظهروا أفراسهم في صورة الخيل الكريمة، يقول عدي بن زيد[5]:

ولقــــدْ أغــــدو بطِــــرْفٍ زانــــهُ ... وجْــهُ مَنْــزوفٍ وخــدٍّ كالمِســنْ[6]

وكذلك ذهب عدي بن زيد العبادي إلى التفصيل في وصف فرسه، إلا أنه راح يبيّن أنه كان يرعاه ويعتني به أيما اعتناء، في قوله [7]:

قــــدْ تبطنْتُــــهُ بكفَّــــيَّ خــــرًّا ... جٌ مـن الخيْلِ فاضلٌ فـي السِّباق[8]
يَسَـرٌ فــي القيــادِ نهْـدٌ ذفيـفُ العـدْ ... و عَبْـلُ الشّـوى أمـين العـراق[9]

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 73-74.
[2] . السلهبة: الفرس الطويلة.
[3] . الشظى: عظم لاصق بالذراع، السنابك: جمع سنبك، وهو مقدم طرف الحافر.
[4] . سلاءة: شوكة النخلة. النهدي: شيخ فني وكبر،
[5] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص173
[6] . الطرف: بالكسر، الفرس الكريم. المنزوف: الذي قد نزف دمه وهو يستحسن من الألوان.
[7] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 153.
[8] . تنطنته: ركبته متجولا. الخراج: كثير الخروج.
[9] . يسر: ينقاد ويعطيك ما عنده عفوا، النهد: الفرس الجميل. الذفيف: الخفيف، أو السريع. عبل الشوى: غليظ القوائم. أمين العراق: شديد العظام.

لـــم يُقيِّـــلْ حـــرَّ المقـــيظِ ولـــم يُلْـــ ـــجمْ لِطـــوفٍ ولا فســـادِ نِـــزاق[1]

فالشاعر يبدو وكأنه يفتخر بهذا الحصان الذي يفضل غيره في السباق، بل إنه يظهره حصاناً مطيعاً لا يستخدم السوط معه، فهو منقاد ويعطيه أفضل ما عنده، فراح يفصّل في صفات جسمه، فجعله حصاناً جميلاً؛ فقوائمه غليظة، وعظامه شديدة، وهو فوق ذلك كله سريع، ولم يكتف الشاعر في حديثه عن حصانه بذكر صفاته؛ بل ذهب إلى طريقة عنايته به، فهو لا يستخدمه للعب واللهو، وإنما للأمور الجادة التي تهمّه وتهمّ قبيلته، كما راح ينفي عنه العمل وقت القيلولة؛ ليدل على أنه حصان غير مهان، وأنه يحفظه ويرعاه.

وقد تحدث أوس بن حجر عن الفرس المطواع الذي لا يجبر صاحبه على أن يضربه بالسوط في قوله[2]:

وخـــارجيٍّ يَـــزُمُّ الألْـــفَ مُعترضـــا وهوْنَـــةً ذاتِ شِـمراخٍ وأحْجـــالِ[3]

ومن صفات الخيل التي راح شعراء بنو تميم يكررونها في أشعارهم صفة قصر الشعر، فقد تكررت عند غالبيتهم في معرض وصفهم لخيلهم، يقول عبدة بن الطبيب[4]:

ثمَّـــتَ قمْنـــا إلـــى جُـــرْدٍ مُســـوّمةٍ أعـــرافهُنَّ لأيـــدينا مناديـــلُ[5]

وكذلك قول أوس بن مغراء[6]:

وحمْيَـــرُ ثـــم ســـاروا فـــي لُهـــامٍ علـــى جُـــرْدٍ جميعـــا قادرينـــا[7]

ومنه قول عميرة بن طارق[8]:

بفتيـــانٍ صـــدْقٍ فـــوقَ جُـــرْدٍ كأنهـــا طوالـــبُ عقبـــانٍ عليهـــا الرّحائـــلُ[9]

---

[1] . لم يقيل: لم يركبأوان القيل، لم يلجم لطوف: لم يستعمل للعب أو نزق، بل يدخر؛ فلا يلجم إلا لأداء حق أو دفع ضيم أو لحمى ذمار.

[2] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 103.

[3] . الخارجي من الخيل: هو ما لاعرق له في الجودة، يخرج سابقا، وهو أيضا كل من فاق جنسه. الهونة: الفرس المطواعة. الشمراخ: غرة الفرس إذا اتسعت وطالت.

[4] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 74.

[5] . الجرد: الخيل قصار الشعر. المسومة: المعلمة.

[6] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 97.

[7] . حمير: من قبائل اليمن، لهام: جيش.

[8] . المصدر نفسه، ص 223.

[9] . التطريف: أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه، والموقصات جمع موقصه، وذلك إذا جرى الفرس في عدوه نزوا ووثبا وهو يقارب الخطو فذلك التوقص.

فالملاحظ أن الشعراء الثلاثة وغيرهم الكثير كانوا يعمدون إلى ذكر هذه الصفة في خيلهم، وهي من الصفات التي تمتدح عليها، وذلك أنها تشي بأنها خيل قتال، مدربة على النزال، ولطالما علاها فرسانها فانجرد شعرها وانسلّ.

وقد ذهب بعض شعراء بني تميم إلى تسمية خيلهم، وراحوا يذكرون أسماءها في أشعارهم، حتى غدت علماً معروفاً دالاً عليهم، فقد عُرفت فرس مالك بن نويرة بـ (العباب)، فراح يذكره بقوله[1]:

تـــداركَ إرخـــاءُ العُبـــابِ ومَـــرَّه ... لبونَ ابن حُبَّى وهو أسفانُ كامدٌ[2]

تداركَـــهُ مَـــنْ لا يُضـــامُ حريمُـــهُ ... ولا هو رعديدٌ لدى الحربِ هامِدُ[3]

فهو يذكر فرسه، ويقول: إن الذي تدارك ابن أبي حبى هو فرسه العباب، وإن صاحبه شخص لا تنتهك حرماته.

أمّا السُّليك بن عَمرو فكان له فرس تُسمّى بـ (النحام)، وقد ذكره مراراً في شعره، فمن وصفه له بالسرعة والرشاقة قوله[4]:

كـــأنّ قـــوائمَ النَّحـــامِ لمّـــا ... تحمّـــلَ صُـــحبتي أصُـــلا مَحَـــارُ[5]

علـــى قرمـــاءَ عاليـــةٌ شـــواهُ ... كـــأنَّ بيـــاض غُرَّتِـــهِ خِمـــارُ[6]

وقد ذكرها في موضع آخر بالاسم ذاته في قوله[7]:

قـــرِّبِ النَّحـــامَ واعْجـــلْ يـــا غُـــلام ... واطـــرح السَّـــرجَ عليـــهِ واللجـــامْ

أبلـــغ الفتيـــانَ أنـــي خـــائضٌ ... غمـــرة الضَّـــرْبِ فمـــن شـــاءَ أقـــامْ

---

[1] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 65.
[2] . العباب: فرس مالك بن نويرة.
[3] . الحريم: ما لا يحل انتهاكه، الرعديد: الجبان، الهامد الخامل الجبان.
[4] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 58.
[5] . الأصل: جمع أصيل، وهو العشي. المحار: الصدفة ويريد بها الملامسة.
[6] . قرماء: من قرى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم في اليمامة. شواه: قوائمه. الغرة: بياض في مقدمة الفرس.
[7] . المصدر نفسه، ص 69.

ومن إعزازهم للخيل أنهم كانوا قد سمّوها ونسبوها كما يسمّون أبناءهم وينسبون رجالهم، فقد "حفلت قصص الفروسية العربية بذكر كثير من أسماء الخيل التي كانت تمثل أصحابها، التي كانت لا تقل بطولاتها عن بطولات فرسانها، فاستحقت بذلك الإعجاب والتقدير."[1]

ويبدو هذا الحضور للفرس في شعر بني تميم لافتاً، بل إنه كان متناسبا مع عنايتهم بالخيل، ورعايتهم لها، ويظهر من شعر مالك بن نويرة اليربوعي أنه كان يؤثر خيله على ولده، وقد ذهب إلى ذكر ذلك في غير موضع من شعره، فيقول في ذكر فرسه ذي الخمار[2]:

جزانـي دوائـي ذو الخمـار ومنعتـي ... بمـا يـأتِ أطـواءً بنـيَّ الأصـاغر[3]

رأى أننـــي لا بالقليـــل أهـــورُهُ ... ولا أنـا عنـه فـي المواسـاة ظـاهرُ[4]

أعلّلهُـــم عنـــه ليبـــقَ دونهـــمِ ... واعلـم علـمَ الظـنِّ أنـي مغـاورُ[5]

كـــأنّي وأبـــدان السّـــلاح عشـــيّةً ... يمـرُّ بنـا فـي بطـن فيحـان طـائرُ

فهو يخبر في هذه الأبيات أنه يرعى فرسه ويطعمه، ويُعنى به عناية تفوق عنايته بأبنائه، وهذا دليل على مدى اهتمامه ورعايته لفرسه، وهو معنى ذهب مالك نفسه إلى تكراره مرة أخرى في شعره، إذ يقول[6]:

إذا ضـيَّع الأنـذالُ فـي المحـل خـيْلهمْ ... فلـم يركبـوا حتـى تهـيجَ المصـائِفُ

كفـاني دوائـي ذا الخمـار وصَـنعتي ... على حين لا يقوى على الخيلِ عالفُ

أعلّـل أهلـي عـن قليـلِ متـاعهمْ ... وأسقيه محضَ الشَّوْلِ والحيُّ هاتفُ[7]

فهو يتباهى في عنايته بخيله ورعايته لها، فيقول إذا أهمل سِفْلةُ الناس خيولهم ولم يطعموها لشدة الجدب، ولم يركبوها حتى يذهب المحل ويأتي الصيف، فقد كفاني ذو الخمار حاجتي لأنني لا أهمله، بل أقدم له ما يحتاج إليه من العلف واللبن في الوقت الذي لا يقوى أحد من الناس على العناية بخيولهم، فهو يخص هذه الفرس بشرب اللبن الخالص على حين أن الناس يتهافتون بينهم جوعا وطلبا لما يقوتهم.

---

[1] . القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص107.
[2] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص69.
[3] . الأطواء: الجوع.
[4] . التهور: الوقع في الشيء بقلة مبالاة.
[5] . الغبوق: الشرب في العشي.
[6] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 74.
[7] . المحض: اللبن الخالص، الشول: النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها.

وقد اتخذ شعراء بني تميم من الخيل وصفاتها الكريمة وسيلة للفخر بأنفسهم، إذ كانوا يذكرون الخيل وصفاتها متلاهين متفاخرين بها، وكأنهم راحوا يفخرون أمام الأقوام الأخرى بأنفسهم وصنيعهم، ومن ذلك قول سلامة بن جندل[1]:

وكرَّنا خيلَنا أدراجها رُجُعا ... كسنَّ السنابكِ من بدءٍ وتعقيبِ[2]

والعادياتُ أسابيُّ الدماء بها ... كأنَّ أعناقها أنصابُ ترجيبِ[3]

منْ كلِّ حتٍّ إذا ما ابتلَّ مُلبدهُ ... ضافي السَّبيبِ، أسيلِ الخدِّ يعبوبِ[4]

فالشاعر يمتدح أيام شبابه، ويتفاخر بنفسه، إذ يقول: إن من عوقب الشباب المحمودة أن نرجع خيلنا من الحرب في الطريق الذي ذهبت فيه، وقد تحاتَّ مقاديم حوافرها من الغزو بعد الغزو، ثم راح يذكر صفات هذه الخيل التي كان يغزو عليها، فهي من العاديات الشديدات القويات؛ ليظهر أن فارسها قوي لا يردّ سيفه، ففرسه لا يجارى وهو كذلك فارس لا يجارى.

كما فخر علقمة الفحل بنفسه لمّا فاز بالخيل وأراد أن يعقرها لإطعام المحتاجين، فهو يظهر كرمه من خلالها في قوله[5]:

وقد أصاحبُ فتيانا طعامُهُمُ ... خُضرُ المَزادِ ولحْمٌ فيهِ تنشيمُ[6]

وقدْ يَسَرْتُ إذا ما الجوعُ كُلْفه ... مُعقّبٌ من قِداح النبع مقرومُ[7]

لو ييْسرونَ بخيْلٍ قدْ يسرتُ بها ... وكلُّ ما يسرَ الأقوامَ مغرومُ[8]

فهو يصف جلادته، وبعد همته، فهو يصبر على الجوع لطول مدة الغزو، ثم يأتي إلى ذكر أيام العسرة التي تصيب القوم، فيظهر نفسه ميسرا فيها ليدل على كرمه وجوده، ثم يذكر صفة أخرى في نفسه؛ إذ يظهر وكأنه سهم نفيس معلوم بالفوز، ويعطي مثالاً على ذلك؛ لو أنّ خيلا ذبحت وقامر عليها لفاز بها وأطعمها للناس يوم العسرة على نفاستها.

---

[1] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 96.

[2] . وكرنا خيلنا: أي رجوعنا بها.

[3] . العاديات: الخيل، الأسابي: واحدتها إسباءة، وهو الدم المراق. الأنصاب: حجارة تنصب ليذبح عليها. الترجيب: أن تميل النخلة في أحد شقيها فيؤتى بحجارة فتدعم بها من الشق النائل.

[4] . فرسٌ حت: لا يجارى. ضافي: سابغ. السبيب: شعر الناصية والذنب. أسيل: سهل طويل. يعبوب: كثير الجري.

[5] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 77.

[6] . التنشيم: التغيير.

[7] . معقّب: يعني قدحا مشدودا بالعقب، المقروم: الذي حز عليه بالأسنان.

[8] . لو ييسرون بخيل: أي لو يذبحون خيلا وقامروا عليها.

وقد ارتبط ذكر الخيل عند شعراء بني تميم في كثير منه بالحرب، فتحدثوا عن إغارتها وتفاخروا بقوتها وبأسها التي تشير إلى قوتهم وشدتهم على أعدائهم، ومن ذلك قول الكَلْحَبَةِ اليربوعي[1]:

تُسائلني بنو جُشَمَ بن بكرٍ ... أغراء العَرادة أمْ بهيمُ؟[2]
هي الفرسُ التي كرّتْ عليهمْ ... عليْها الشيخُ كالأسدِ الكليمِ[3]
إذا تمضيهم عادت عليها ... وقيَّدها الرِّماحُ فما تَريمُ[4]
تعادى من قوائمها ثلاثٌ ... بتحجيلٍ وقائمةٌ بهيمُ[5]
كُميتٌ غير محلِفةٌ ولكنْ ... كَلَونِ الصَّرف علَّ بها الأديمُ[6]
كأن مسيحتي ورق عليها ... نمتْ قُرطيهما أذُنٌ خذيمُ[7]

فالشاعر يأتي على ذكر فرسه الذي امتطاه يوم جاور بني بَلّي بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة، فأغار عليهم بنو جشم بن بكر من تغلب، فقاتل الكَلْحَبَة وابنه مع بني بَلّي حتى استردوا ما أخذه التغلبيون، فقال هذه الأبيات واصفا فرسه في القتال، وقد جعل الشاعر فرسه هنا في غاية الحسن، وغاية الصلابة والشدة؛ فهو يتباهى به في الظفر الذي حققه على من غزوهم، بل إنه راح يفصل في وصفه ليجعله سبب الظفر الذي أصابه، ولهذا هو يشببه في نهاية اللوحة السابقة بالفضة من حيث صفاء لونها وبريقها.

في حين أن متمم بن نويرة اليربوعي جعل من فرسه مكمناً للمنايا على الأعداء، ويجعله سببا لقوته، فيقول[8]:

ولقد غَدَوْتُ على القنيص وصاحبي ... نَهْدٌ مَراكِلُهُ مِسِحٌّ جُرْشُعُ[9]
ضافي السَّبِيْبِ كأنَّ غصنَ أباءَةٍ ... رَيَّانَ يَنْفُضُها إذا ما يُقْدَعُ[10]
تَئِقٌ إذا أرسلْتَهُ مُتَقاذِفٌ ... طمّاحُ أشْرافٍ إذا ما يُنْزَعُ[11]

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 209.
[2] . الغراء: الفرس التي في جبتها بياض، البهيم: ما لونه واحد لايخلطه غيره، العرادة: فرس الشاعر.
[3] . الشيخ: الشاعر نفسه.
[4] . تمضيهم: تمضي وتنفذ فيهم، ما تريم: ما تغادر.
[5] . تعادي: توالي وتتابع، التحجيل: البياض في موضع القيد من قوائم الفرس.
[6] . كميت: ما لونه بين السواد والحمرة، غير محلفة: خالصة اللون.
[7] . خذيم: مثقوبة.
[8] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 97.
[9] . القنيص: الصيد. النهد: التام. المراكل: جمع مركل، وهو موضع رجل الفارس من جنب الفرس. المسح: السريع العدو. جرشع: غليظ منتفخ.
[10] . الضافي: الطويل. السبيب: شعر الذنب. الناصية والاباءة: القصبة، جمعها أباء. يقدع: يكف.
[11] . التئق: السريع الجري. المتقاذف: الذي يقذف بنفسه في الجري. الاشراف: الأشواط. ينزع: من قولهم نزع الفرس إذا مدّها.

وكأنّهُ فوتَ الجَوالِبِ جانِئـــــــــاً رئْمٌ تَضايَقهُ كِلابٌ أخضَـعُ[1]

فهو يجعل من فرسه مكمناً لأعدائه، ويحوز به الصيد الوفير، فهو فرس نشيط قوي إذا دفع نحو الجري قذف بنفسه في الجري مسرعاً متفجّراً بقواه، وهو في جريه كأنه رئم أخضع تأخذ به كلاب الصيد هاهنا وهاهنا لشدة جريه، وهو يشبه خصائل عرف الفرس إذا نفضها وحركها بقصبة رطبة.

كما كان ذكر الفرس عندهم كناية عن الحرب وشدتها، ومنه قول قيس بن عاصم معاتبا بني يربوع على تقصيرهم في نجدة قومه من بني ربيع بن الحارث يوم الجدود[2]:

جـزَى اللهُ يربوعـا بأسـوأ فعْلهـا إذْ ذُكـرتْ فـي النائبـاتِ أمورُهـا[3]

ويـــومَ جَـــدودٍ فُضَـــحْتُمْ أبـــاكُم وسـالِمْتُم والخيـلُ تَـدمى نُحورهـا[4]

فهو يستشهد في قوله على سبيل الكناية (والخيل تدمى نحورها) عن شدة الحرب والتهاب أوارها، ويتخذها سببا لمعاتبة بني يربوع.

ومنه أيضا قول عتيبة بن الحارث[5] واصفا شدة الحرب وبأسها عن طريق ذكر الخيل[6]:

إذا اختلطتْ نواصي الخيْلِ ظنّوا بـــأنَّ بصَـــعْدتي يُشـــفى الغليـــلُ[7]

فقوله (اختلطت نواصي الخيل) يدل على أن الحرب قد اشتدت وأصبحت مستعرة.

وقد صوّر شعراء العصر الجاهلي عموماً ضمور خيلهم وسرعتها بصور شتّى، سواء أكانت هذه الصور من الحيوان، أم من الطير، أم من الجمادات[8]. ولقد دأب بعضهم على تشبيه الفرس

---

[1] . فوت الجوالب: أي فائتاً الجوالب. والجوالب: من قولهم جلب الفرس على الفرس إذا أرصد له قوماً في طريقه يصيحون به في الرهان. جانئاً: مكبّاً. الرئم: الظبي الخالص البياض. تضايقه الكلاب: أي أخذت بضيفيه؛ أي بناحيته وجنبه من هنا ومن هناء ويريد بهن كلاب الصائد. أخضع: متطامن الرقبة.

[2] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 145.

[3] . يربوع: قبيلة مشهورة في تميم، وقد أبى اليربوعيون أن يجيبوا صريخ بني ربيع المنقربين.

[4] . جدود: يوم من أيام بكر بن وائل وتميم بن مر.

[5] . هو عتيبة بن الحارث بن شهاب بن عبد قيس بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، شاعر جاهلي، والده الحارث بن شهاب سيد فارس في تميم، وأمه مية التميمية، وكنيته أبو حزرة، وكان عتيبة سيداً في بني يربوع، وفارساً مفزعاً من فرسانهم، وقد شهد الكثر من أيامهم، وأهمها؛ يوم الغبيط، ويوم ذي طلوح، وقتل غيلة في يوم خو على يد ذؤاب بن ربيعة الاسدي. انظر: الأصفهاني، الأغاني، 20 : 375. وابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 : 211. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص213.

[6] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 215.

[7] . الصعدة: الرمح.

[8] . انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 95-100.

بالجرادة، وأمعنوا في إبراز سرعته بتلك التشبيهات الحسية، التي لم تخل من حركة وقوة، ومن أمثلة ذلك قول أوس بن حجر[1]:

لعمرك ما آسى طفيلُ بنُ مالكٍ بني عامرٍ إذ ثابتِ الخيلُ تدّعي[2]

تقبّلَ من خيفانةٍ جُرْشُعية سليلةِ معْروق الأباجل جُرْشُع[3]

فالشاعر يشبه الفرس في خفته وسرعته بالجرادة، فهو يمتدحه ويمتدح صاحبه، وهو الطفيل بن مالك في هذا الموضع؛ على هذه الصفات، ويلحظ أن الشاعر اختار المشبّه به من البيئة الصحراوية التي يعرفها العربي ويعي دقائقها، لتكون هذه العلاقة التشبيهيّة بين الفرس والجرادة ذات أثر نفسي عندما يتلقّاها من يسمع هذه الأبيات.

كما شبّه متمم بن نويرة اليربوعي الفرس بالظبي في قوله[4]:

وكأنّهُ فوتَ الجوالبِ جانئا رَئِمٌ تضايفهُ كلابٌ أخضعُ[5]

فهو يشبّه فرسه في هذا الموضع بظبي خالص البياض تضايقه كلاب الصيد، وفي هذا دلالة على سرعة هذا الفرس.

ومن هنا يجد الباحث أن للخيل حضورها البارز في القصيدة الشعرية التميمية، إذ إنها كانت ملازمة للشاعر في شتى أحواله، وقد بلغ بالشاعر التميمي أنه عني بفرسه عنايته بأولاده وعياله، بل إن منهم من رعى الفرس وأطعمه وأبقى أولاده جوعى.

كما كانت الفرس والخيل عموماً أداة الشاعر التميمي الفاعلة في حروبه وغزواته، فكثرت أوصاف الفرس عنده لتناسب هذه الحالة، ولهذا؛ برزت في أشعار التميميين صفات أحبوها في خيولهم، وكانوا يثنون عليها، مثل؛ السريعة، والمغيرة، والناجية، والجرداء، وغيرها.

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 61.
[2] . آسى: من المواساة.
[3] . الخيفانة: الجرادة. جرشعية: عظيمة الصدر. والأباجل: جمع أبجل وهو عرق غليظ في الرجل أو اليد.
[4] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 97.
[5] . الجوالب من قولهم: جلب الفارس على الفرس إذا أرصد له قوما في طريقه يصيحون به في الرهان. جانئا: مكبا. الرئم: الظبي الأبيض.

وبعد، فإن الشاعر التميمي عمد إل إبراز الفرس بوصفها واحدة من أدوات الطبيعة الصائتة التي راح يعاينها في شتى ظروف حياته، ومن هنا كان تصويره لها متنوعا، ومتناسبا للياقات المتعددة التي راح يعيشها ويتفاعل معها.

- **<u>الثور والبقرة الوحشيان:</u>**

برزت قصص الحيوان عند شعراء الجاهلية بشكل لافت للنظر؛ ذلك أنها ارتبطت إلى حدٍّ كبير بطبيعة البيئة المحيطة بهم، إذ ألفوا مشاهدة الثور وبقر الوحش، فكان انعكاس هذه المشاهدات اليومية لتلك الحيوانات أن ظهرت في أشعارهم، حتى غدت سمة أساسية تميز شعرهم.

وكان للثور الوحشي حضور بارز عندهم، فقد أفسح له الشعراء مساحة رحبة في قصائدهم، وتتبعوه بصفاته المختلفة، ورصدوا الأماكن التي يرتادها، وكثيرا ما كانوا يشبهون نوقهم به، بل إن الناقة كانت الذريعة التي يتوسلون بها للوصول إلى وصف الثور الوحشي.

وقد انفرد الثور الوحشي باهتمام خاص، فكان الشعراء يقصون حكايته، فيصفون وحدته وانفراده عن قطيع الوحش، في رملة نديّة، أو في روضة معشبة، أو في بُرقة جرداء مختالاً بقوّته، معتزّاً بعنفوانه، هانئاً بوحدته[1]، وقد قام بعض الشعراء برسم ملامحه بدقة وإتقان، فوصفوا لونه وقوائمه، وأعضاءه وقرنيه، وعينيه وجلده وأنفه، كما تحدّث الشعراء عن رحلة الثور ومقاومته لأخطار الطبيعة التي تحيط به وتترصده، فيحاول مقاومتها وإثبات وجوده وأحقيته بتلك الحياة.

وقد فطن الشعراء إلى مشاعر الثور، فصوروه قلقاً، تغلبه الرياح، فتميله ذات اليمين وذات الشمال، وهو دان، لأرطاة أو أية شجرة غيرها، لائذ بها، يبيت ليلته لا يغمض له جفن، فالتيار شديد الانصباب، والرعد غليظ الصوت، وكثيراً ما اختار الشعراء لوصف الثور وقت لمعان البرق، ويزيد بعضهم التماعه؛ ليكشف ضوؤه اللمّاح عن هذا الثور الضامر، ويظل طول الليل ساهراً يعاني المتاعب والآلام، حتى إذا أشرق الصباح، وَعَرَّض مَتْنُهُ للشمس؛ فاجَأه الصيّاد، فيرميه بسهامه، فإذا لم تُصبْ هدفها راح يُرسِل كلابه الضارية، فيهرب الثور منها وتندفع وراءه، وحين يحس بقربها منه وقد أخذت بعضه، يدرك أنه لا مفر من القتال والمواجهة، فيستدير

[1] . أبو سويلم، أنور عليان، المطر في الشعر الجاهلي، ص 147.

ويبدأ المعركة مع الكلاب ويضربها بقرنيه، فيثخنها جراحاً، وينتشي فرحاً بنصره . وهذه الصورة مكررة ومعادة في الشعر، قلّما يتغير فيها الخيال او الألفاظ[1]، وإنما تتغير نهاية قصة الثور الوحشي بموته إنْ كان غرض الشاعر رثاءً، وإن كان شعره في غير الرثاء من الأغراض الشعرية كالمديح مثلاً فنجد أن الثور يسلم.

أمّا عند شعراء بني تميم فقد تنوعت الصور التي ظهر من خلالها ثور الوحش في قصائدهم، فقد كان له حضور في أشعارهم، وإن لم يكن يمثل غرضا قائما بذاته في القصيدة، وقد مثل أوس ابن حجر مشهد صيد الثور في إحدى قصائده قائلا[2]:

وكأنّ أقتادي رميتُ بها ... بعْد الكلال مُلمّعا شَبَبا[3]
من وحش أنْبَط باتَ مُنكسرا ... حَرجا يُعالجُ مُظْلما صَخِبا[4]
لهْقا كأن سَراته كُسيتْ ... خرَزا نقا لم يعْدُ أن قشبا[5]
حتى أتيح له أخو قنَصٍ ... شهْمٌ يُطرُّ ضواريا كُثُبا[6]
ينحي الدماء على ترائبها ... والقدَّ معقودا ومُنقضبا[7]
فذأونه شرفا وكُنَّ لهُ ... حتى تُفاضلَ بينها جلبا[8]
ذكر القتالَ لها فراجعَها ... عن نفسِهِ ونفوسَها نَدَبا[9]
فنحا بشرَّتهِ لسابقها ... حتى إذا ما روْقُهُ اختضبا[10]
كرهتْ ضواريها اللحاق به ... متباعدا منها ومقتربا[11]

فالشاعر يصور في هذه الأبيات مشهد صيد الثور الوحشي، وقد راح يفصل في المشهد، فيصور هذا الثور وقد أحس بصوت أوقع في نفسه الريبة، وإذ بصياد أطلق كلابه الضارية المدرَّبة، فانطلقت تعدو نحوه مسرعة، فقاومها منفرداً وأوسعها ضرباً بقرنه.

---

[1] . انظر: الصالحي، عباس مصطفى (د.ت)، الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص89-97.
[2] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص2.
[3] . الأقتاد: مفردها قتد وهي من أدوات الرحل، أو الرحل كله. الشبب: ثور الوحش الذي تم تمامه وذكاؤه. الملمع: الذي يكون في جسمه بقع تخالف سائر لونه.
[4] . أنبط: موضع كثير الوحش. منكرسا: متجمعا. حرجا: لجأ إلى مضيق من الأرض.
[5] . اللهق: الأبيض. السراة: الظهر. نقا: خيار الشيء. قشب: جلي.
[6] . أخو قنص: صياد. يطر: يسوق كلابه ويفعها أمامه. كثبا: مجتمعة وتقاربة.
[7] . الترائب: مفردها تريبة، وهي موضع القلادة من العنق. القد: السوط الذي قد من جلد.
[8] . يذوء: يطرد. شرفا: نحو مكان مشرف وعال. جلب: ساق أو دفع.
[9] . ونفوسها ندبا: أي؛ طلبها ليصدها عن نفسه.
[10] . الشرة: النشاط الشديد. الروق: القرن.
[11] . النقع: الغبار الساطع.

وقد صوّر عدي بن زيد العبادي في شعره أيضا قوة الثور، وكيف أنه يدافع عن أنثاه بقرنه، فقال[1]:

وإران الثيـــران حـــول نعـــاج مُطفـــلاتٍ يحمـــينَ بـــالأرواق[2]

ولـــه النّعجـــة المَـــريُّ تجـــاه الـــ ـــرَّكْبِ عِـدْلا بالنـابئ المخـراق[3]

فهذا الثور يظهر على هذه الصورة القوية، إذ راح يدافع عن أنثاه بقرونه، ليحميها وصغارها، كما راح الشاعر يبين قوة هذا الثور على كلاب الصيد التي تتربص به، إذ وصفه بالمخراق، ليدل على أن هذه الكلاب كانت تلاحقه فيفلت منها.

غير أن وصف شعراء بني تميم للثيران الوحشية لم يكن غاية مباشرة، بل كانوا يستطردون إليها استطراداً؛ ليظهروا من خلالها قوة رواحلهم وسرعتها. وقد شبه علقمة فرسه بالثور الوحشي الذي يشتعل نشاطا وحيوية، يقول[4]:

ورُحْنـا كأنّـا مـن جُـواثي عشـيةٍ نُعالي النّعاجَ بين عدْلٍ ومحقبِ[5]

وراح كشـاةِ الرّبـلِ يـنفُضُ رأسَـهُ أذاهُ بـه مـن صـائكٍ مُتَحلَّـبِ[6]

فالشاعر يشبّه فرسه بالثور الوحشي في حدّته ونشاطه، ويصوره وهو يحرّك رأسه لأنه قد تأذى برائحة العرق اللاصق به، في دلالة على أنه ليس بخامل، بل إنه نشيط يتصبب العرق منه لفرط هذا النشاط.

وأمّا صورة البقرة الوحشية، فإنها تختلف بعض الشيء عن قصة الثور الوحشي ، فتزيد عنه في الشخصيات والأحداث، وبعض التفصيلات، ولعل ما يميز ذكر البقرة الوحشية في شعر بني تميم هو ارتباطها بالمرأة عندهم، فقد ذكرها المخبل السعدي في إحدى قصائده في مقدمته الطللية التي كان يستذكر فيها ديار محبوبته سلمى، فقال[7]:

أعرفْـتَ مـن سـلمى رسـومَ ديـار بالشّـطِّ بـينَ مُخَفَّـقٍ وَصَـحار

---

[1] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 152.
[2] . إران: النشاط. الأرواق: جمع روق، وهو القرن.
[3] . النعجة: البقرة. العدل: النظير. النابئ: الثور الذي ينبأ من أرض إلى أرض.
[4] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 98.
[5] . جواثي قرية بالبحرين كثيرة التمر.
[6] . قوله كشاة الربل يعني ثوراً وحشياً.
[7] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 105.

وكأنمـــا أثـــر النعـــاج بجَوِّهـــا بمـــدافع الـــركنين ودْعُ جـــواري

فهو يقف على ديار سلمى، ويسأل عن أهلها أين حلوا، وأين صاروا، ثم تظهر (النعجة) بوصفها واحدة من المظاهر التي كانت دالة على وجود حياة في هذه الديار يوم ما.

غير أن الشعراء التميميين وظفوا البقرة الوحشية في إطار التغزل بالمرأة، لاسيما في عيونها، فلطالما شبهوا عيون محبوباتهم بعيون البقرة الوحشية، ومن ذلك قول علقمة الفحل[1]:

تـراءتْ وأسـتارٌ مـن البيـتِ دونهـا إلينـا وحانـت غفلـةُ المتفقّـدِ[2]

بعينـي مهـاةٍ يحـدُرُ الـدمع منهمـا بـريمين شـتّى مـن دمـوع وإثمـدِ[3]

فهو يشبّه عيني محبوبته بجمالها لحظة أن ظهرتا بعد أن غاب الرقيب بعيني بقرة، وزاد من جمال الصورة أن جعل العينين متلألئتين بفعل الدموع التي كنى بها عن البكاء في هذا الموضع لشدّة الوجد.

وقد ذهب عدي بن زيد العبادي إلى تشبيه عيني امرأته بعيني جؤذر في قوله[4]:

لسـتُ فـي سـلمى ولا جاراتهـا سـامعا فيهـا إلـى قـول أحـدْ

تسْـرُقُ الطَّـرْف بعينـيْ جـؤذرٍ مسـتحيلٍ بـينَ رمْـلٍ وجَلَـدْ

فهو يشبه عيني سلمى بعيني جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية، في إشارة إلى شدة جمالهما، وأثرهما عليه، وقد تعددت تشبيهات شعراء بني تميم للمرأة بالبقرة الوحشية، فقد ورد ذكر البقر الوحشي عند عمرو بن الأهتم وذلك في تشبيهه النساء بها في جمالهن، دون تحديد لمواضع الجمال، فقد تركها مطلقة في قوله[5]:

أجـــدَّكَ لا تُلـــمَّ ولا تـــزورُ وقـد بانـتْ بـرُهْنكمُ الخـدورُ[6]

كـأن علـى الجِمـال نعـاجَ قـوٍّ كَـوانِسَ حُسَّـرا عنهـا السُّـتورُ[7]

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 105.
[2] . تراءت: برزت.
[3] . المهاة: بقر الوحش، ريمين: لونين مختلفين.
[4] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 42.
[5] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 171.
[6] . الرهن: القلب، الخدور: النساء في الهوادج.
[7] . نعاج قو: بقر الوحش في منطقة قو، كوانس: داخلات في كنسهن.

فالشاعر يقرن المرأة في خدرها بالنعاج في هذين البيتين، وكأنهما أصبحا يدلان على بعضهما، ولعل هذا يدل على الجمال فيهما أولا، وعلى أهميتهما والمحافظة عليهما، والدفاع عنها ثانيا؛ إذ إن الشاعر كان يوصي ولده ربيعا في هذه الأبيات.

وكما أن شعراء بني تميم كانوا قد شبهوا المرأة بالبقرة الوحشية، فقد عمدوا أيضا إلى تشبيه نوقهم بها، فعلقمة الفحل ذهب إلى تشبيه ناقته بالبقرة المذعورة في قوله[1]:

وتصبحُ عن غِبِّ السُّرى وكأنها مولّعة تخشى القنيص شبوبُ[2]

تعفّق بالأرطى لها وأرادها رجالٌ فبذّتْ نَبلهم وكَليبُ[3]

فهو يشبه ناقته في سيرها وجهدها ببقرة وحشية مذعورة، وقد اختار الشاعر أن تكون هذه البقرة (شبوباً)؛ لأنها تكون أكثر حذراً من غيرها، كما أنه راح يظهر هذه البقرة بأنها تغلّبت على الصّياد وعلى كلابه .

- **<u>الحمر الوحشية:</u>**

لا تختلف صورة الحمار الوحشيّ في الشعر العربيّ كثيراً عن صورة الثور الوحشيّ، أو البقرة الوحشيّة، إذ تحدّث الشعراء عن الحمار الوحشيّ في مجال وصفهم لرواحلهم وغلظتها، وصلابتها، وقوّة عدوها وشدّته، وقصّة الحمار الوحشيّ في الشعر العربيّ غنيّة بالمشاهد والأحداث، تبدأ في فصل الربيع، فتجد الحمار الوحشيّ يرتع وأتنهُ في المراعي الخُضر، حيث غزارة المياه وتنوّع النباتات والأعشاب، لا يكدّر عيشه شيء، ولكنّ هذا الربيع لا يدوم طويلا، إذ يبدأ الصيف بقيظه وسمومه، فتجفّ الكثير من الآبار ومنابع المياه ،وتذهب خضرة الأشجار وتصبح الأعشاب هشيماً، وفي هذا الوقت العصيب تبرز مهمّة الحمار الوحشيّ قائد القطيع، وتتعاظم المسؤولية الملقاة على عاتقه للحفاظ على حياة القطيع وأمنه، فيبيت ليله ساهراً تؤرّقه الهموم، ثمّ تسعفه الذاكرة لإيجاد أقرب موارد الماء إليه وأكثرها أمناً، فيحزم أمره، ويأمر الأتن بالرحلة ليلاً، فيستتر بظلمته ليُخفيَ القطيع عن أعين الصيادين، ويبدأ الحمار بالصياح على أتنه، ودفعهنّ أمامه بشدّة وغلظة، فيواجهنهُ بالمعاسرة، فلا يبالي بذلك، بل يظلّ صابراً محتدّاً عليهنّ،

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 38.

[2] . مولعة: بقرة فيها خطوط سود، القنيص: الصائد.

[3] . التعفق: اللواذ، بذت: سبقت وغلبت.

حتّى يبلغ بهنّ الماء، وهناك تروي الأتن غُلّتها، وتطفئ عطشها الملتهب، لكنّ الصيّاد المستتر في قترته[1]، يتحفّز ويقذفها بسهامه، ولكنّه يخطئها، فتحلّ الفوضى، وينزل الهلع بالنفوس، فتنطلق الأتن مذعورة فزعة، تنشد السلامة، والحمار خلفهنّ يدفعهنّ ويبتعد بهنّ عن مصدر الخطر.

ويصوّر الشعراء الحالة النفسيّة للصيّاد وهو يجمع سهامه الخائبة بحزن وحسرة، ويلوم حظّه العاثر، ويتذكّر حال زوجه وصبيته الذين يرتقبون عودته وقد اشتدّ بهم الجوع، وقصّة الحمار الوحشيّ هذه لم ترد بهذه التفاصيل عند كافّة الشعراء، بل يتباينون في ذلك تبايناً كبيراً، فاختلفت اللوحة لديهم طولًا وعرضًا وضيقًا واتساعًا وغنى وفقرًا، حسب طبيعة كل شاعر، وموج نفسيته التي تتولّى رسم تلك اللوحة وانتقاء ألوانها، وانحناءات خطوطها بحسب ما تحتضنه من المشاعر والأفكار والرؤى[2].

ولم تختلف صورة حمار الوحش عند شعراء بني تميم عما كانت عليه عند غيرهم من الشعراء الجاهليين، وحتى من جاء بعدهم في العصور المتلاحقة، إذا غالبا ما تناول الشعراء التميميون الحمار الوحشي في قصائدهم، وربما كان الحديث عنه في أشعارهم أكثر اتساعا وشمولا من حديثهم عن بقر الوحش وثور الوحش، إذ ذهبوا يتحدثون عنه بشيء من التفصيل، ومن ذلك قول المُخبَّل السَّعدي يصف حماراً وحشياً مع أتانه، إذ يقول[3]:

حتّى إذا أخذَ المِراغ نَسِيْلَهُ ... من مِدْمجٍ منْ خلقهِ وَشَوار[4]
ورمى أنابيش السَّفا أرساغُهُ ... من كلِّ ظاهرةٍ وكلِّ قرار[5]
وتجنّبَ القرْيانَ واختار الصّوى ... يعدو بهنَّ كفارسِ المضْمار[6]
ذكر العيون وعارضتْهُ سمْحَجٌ ... حملَتْ له شهْرين بعدَ نَزار[7]
يرضى بصحْبتِها إذا برزت لهُ ... وأشدَّ عنها إلفَ كلِّ حِمار

فالشاعر يصوّر في هذه اللوحة مشهد حمار الوحش مع أتانه، فيجعله في هذه الروضة المكتنزة بالخضرة والنبات في ما ارتفع منها من الأرض، وفي ما انخفض، حتى ليبدو هذا الحمار وكأن

---

[1] . القترة: مكمن الصائد الذي يكمن فيه ويستتر للصيد.
[2] . انظر: العريفي، سعد عبد الرحمن (2007)، سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي: دراسة في المضمون والنسيج الفني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص450-452. وانظر أيضاً: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص137-142.
[3] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 106.
[4] . المراغ: اللعاب والروضة كثيرة النبات. النسيل: أطراف النبات وما تساقط منه. شوار: سمنة.
[5] . أنابيش السفا: رؤوس النبات. ظاهرة: مرتفعة. قرار: منخفض.
[6] . القريان والصوى: موضعان في اليمامة.
[7] . سمحج: أتان طويلة بيضاء العجيزة.

أرساغه قد غطاها النبات كلها، ثم راح يشبّهه وكأنه فارس ينتقي الأماكن التي يريد الذهاب إليها، في دليل على أن شيئا لم يكن ليهدد هذا الحمار، ثم يصوّر الشاعر مشهد لقاء هذا الحمار بأتانه التي حملت له ولداً فيما بعد، فقد ارتضاها له، وابتعد عن غيرها من إناث الحمر الوحشية، ثم يبدو هذا الحمار في رحلته مع أتانه.

ويعود الشاعر نفسه في بقية الأبيات إلى وصف مشهد اللقاء بين هذا الحمار وأتانه، وكيف أنها تبتعد عنه وتهرب منه في مشهد غاية في الدقة، فيقول[1]:

فأقالهـــا بقـــرارةٍ فيهـــا السَّـــفا ... ظمـــأى وظـــلَّ كأنـــه بئســـار[2]

وتفقـــدا مـــاء القـــلاةِ فلـــمْ يجـــدْ ... إلا بقيـــــة آجـــــنٍ أصـــــفار[3]

فأدارهـــا أصِـــلا وكلَّـــفَ نفسَـــهُ ... تقريـــبِ صـــادقةٍ النَّجـــاء نـــوار[4]

يغشـى كريهتهـا علـى مـا قـد يـرى ... فـــي نفســـها مـــن بغضـــة وقـــرار

ترمـــي ذراعيـــهِ وبلْـــدَةَ نحْـــرهِ ... بحصـــى يطيـــر فضاضـــة وغبـــار

وتفوتُـــهُ نَشَـــزا فيلْحَـــقُ معْجِـــلا ... ربْـــذ اليـــدينِ كفـــايض الأيســـار[5]

يعلو فروعَ قطاتها من أنْســـــــــهِ ... بملاحِـــكٍ كرحالـــة النجـــار[6]

كما يرسم أوس بن حجر مشهداً يظهر من خلاله علاقة حمار الوحش بأتانه من خلال وصف دقيق لأصغر دقائق هذا المشهد، فيقول[7]:

كـأنّي كسـوتُ الرَّحْـل أحْقـب قاربـا ... لـــهُ بجنـــوبِ الشـــياطينِ مَســـاوفُ[8]

يقلّـــبُ قيـــدودا كـــأنَّ ســـراتها ... صـفا مُـدهُنٍ قـد زحلفتْـه الزَّحـالفُ[9]

يُقلّـــبُ حقبـــاء العجيـــزةِ ســـمْحجا ... بهـــا نَـــدَبٌ مـــن زَرَهِ ومناســـفُ[10]

وأخلَفَـــهُ مـــن كـــلِّ وقـــطٍ ومُـــدهُنٍ ... نطـافٌ فمشـروبٌ يبـابٌ وناشِـفُ[11]

وحلأهـــا حتـــى إذا هـــي أحنقـــتْ ... وأشرفَ فوقَ الحـالبينِ الشراسفُ[12]

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 106-107.
[2] . أقالها: من القيلولة والراحة.
[3] . القلاة: ماء الجبل، والقلات موضع في ديار تميم. آجن: متغير. أصفار: جمع صفرة وهي الخالية من الماء.
[4] . النجاء: السرعة. النوار: النفور.
[5] . ربذ اليدين: متلاحق وسريع.
[6] . القطاة: موضع الردف من المؤخرة.
[7] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 67.
[8] . الأحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض. قارب: حمار يعجل ليلة الورد.
[9] . المدهن: نقرة في الجبل يتنقع فيها الماء. الوحلوفة: مكان منحدر مملس لأنهم تيزحلفون عليه.
[10] . حقباء: المقصود أتانا حقباء، أي؛ في موضع حقيبتها بياض.
[11] . الوقط: حفرة في الجبل يجتمع فيها ماء السماء.
[12] . حلأها: طردها، أحنقت: ضمرت ولزق بطنها بظهرها.

وخــبَّ ســفا قريانــهِ وتوقــدت عليــه مــن الصّـمانتين الأصــالفُ[1]

فالمشهد ذاته تقريبا كما مرّ في اللوحة السابقة، فالشاعر يصف علاقة هذا الحمار بأتانه وكيف أنه راح يقلبها، ويغازلها، من خلال وصف دقيق لمجريات الأحداث.

وقف الشعراء التميميون على لوحة صيد حمار الوحش، فصوروا فيها حالة الترقب والحذر التي يكون فيها الحمار وأتانه، وكيف أن الصياد يترقب بهما، ومن ذلك قول المخبل السعدي[2]:

فتــذكرا عينــا يطيــرُ بعوضُــها زرقــاء خاليــةً مــن الحضّــار[3]
والأزرق العجلــيُّ فــي ناموســهِ بــاري القــداح وصــانعُ الأوتــار[4]
مــن عيشــةِ الفتــراتِ أحســنَ صــنْعها بحصــايد القصْــباءِ والخبَّــار
فــدنتْ لــهُ حتــى إذا مــا أمكنــتْ أرســاغهُ مــن معطــمِ التيّــار
وأحســن حسّــهما فيسَّــر قبضــة صــفراءَ راشَ نضــيُّها بظْهــار
فرمــى فأخطأهــا ولهّــفَ أمّــه ولكــلِّ مــا وقــى المنيّــةَ صــاري

ونجد المشهد ذاته عند غير شاعر من شعراء بني تميم الذين كانوا يصفون مشهد الصيد وحالة الترقّب والحذر التي كان الحمار وأتانه يعيشانها؛ لعلمهما بوجود صياد يتربص بهما، الذي غالبا ما كان يفشل في الإيقاع بهما.

وقد وصف بعض الشعراء ألوان الحمر الوحشية، فوقفوا عند البيض منها، ومن ذلك قول عدي ابن زيد العبادي[5]:

فــانبرى أحْقــبُ يتلــو أربعــا لاحــقُ الأيطــلِ فــي قــاع جَلَــدْ[6]
صــيِّبُ التعشــير زمــزامُ الضّــحى ناســِلٌ عِقَّتَــهُ مثْــلُ المَسَــدْ[7]
يُغْــرقُ المطــرودَ منــهُ وابــلٌ ضابطُ الوعْثِ ضَبُوعٌ في الجَدَدْ[8]

---

[1] . خب سفا: طال وارتفع، القريان: جمع قري: وهو سيل الماء، الأصالف: جمع أصلف وهو المكان الذي لا ينبت أو الصلب من الأرض فيه حجارة.
[2] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 107.
[3] . مولعة: بقرة فيها خطوط سود، القنيص: الصائد.
[4] . التعفق: اللواذ. بذت: سبقت وغلبت.
[5] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 44.
[6] . الأحقب: الحمار الوحشي في بطنه بياض. يتلو: يطارد. الأيطل: الخاصرة.
[7] . الصيب: الحسن. التعشير: نهيق الحمار، الثقة: الأصواف والأوبار. المسد: حبل من ليف أو الحبل المحك الفتل.
[8] . الوعث: المكان السهل الكثير الدهس. ضبع البعير ضبوعا: أسرع في سيره فمد ضبيعه، الجدد: طرق تخالف لون الجبل.

فالشاعر يصف حماراً أبيضَ، فيصف قوته وسرعته ويذكر أن هذا الحمار إذا طلب الشيء أغرقه في جريه، وأدركه كما يغرق الماء الشيء.

وقد ذهب شعراء بني تميم أيضاً إلى وصف حمار الوحش بالغلظة، والقسوة، والشدة، وقد تكرر هذا الأمر عند غير شاعر، ومنه قول عدي بن زيد العبادي[1]:

مُشــــرفُ الهـــادي لـــــه غَسَـــنٌ يُوثِـــقُ العِلْجـــين إحضـــــارا[2]

ويذكر هذه الصفة في حمار الوحش في موضع آخر، فيقول[3]:

متـــى يهـــبطُ سُـــهْبا فلـــيسَ حمـــارُهُ وإن كان علْجا مضمَر الكشْح طالعا[4]

فهو يذكر هذه الصفة في الحمار، ويقول إنه متى كان في السهب فليس منفلتاً منه حتى يطلع.
وقد ذكر متمم بن نويرة الصفة ذاتها، إذ قال[5]:

حتـــى يُهيّجهـــا عشـــية خمســـها للـــوردِ جـــأبٌ خلفـــا متتـــرعُ[6]
يعـــدو تبـــادِرُهُ المخـــارقُ ســـمحجٌ كالـــدلو خـــان رشـــاؤها المتقطـــعُ[7]
حتـــــى إذا وردا عيونـــــا فوقهـــــا غـــابٌ طِـــوالٌ نابـــتٌ ومصـــرّعُ[8]

فالشاعر يذكر هذه الصفة في الحمار هاهنا في معرض وصفه لحمار وحشي مع أتانه يرد عين ماء، تحيط بهما طبيعة خلابة من شجر وقصب ملتف، والأتان تسابق الحمار محاولة الوصول إلى الماء قبله؛ لشدة ظمئها وعطشها، وقدحاول الحمار مع أتانه إلا أنها تمضي مسرعة، وقد شبّه سرعتها بالدلو حين تنقطع رشاؤها فتهوي مسرعة في البئر.

وقد وظّف شعراء بنو تميم معرفتهم لصفات حمار الوحش التي يتصف بها في أشعارهم توظيفا حسنا؛ إذ كثيرا ما كانوا يستخدمونه في إطار التشبيه، فقد شبه متمم بن نويرة ناقته به في قوله[9]:

---

[1] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 130.
[2] . العلجان: مثنى علج، وهو الحمار الغليظ، الغسن: شعر الناصية.
[3] . المصدر نفسه، ص 144.
[4] . السهب: المنصوب من الأرض.
[5] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 95.
[6] . يهيجها: يدفعها للورد. الخمس: أن ترعى ثلاثة أيام وترد في اليوم الرابع. الجأب: الحمار الغليظ، المتترع: المتسرع.
[7] . المخارم: منقطع أنف الجبل. السمحج: الصلبة القوية.
[8] . الغاب: كل زرع ملتف.
[9] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 95.

قرّبتهـــا للرحـــل لمّـــا اعتـــادني سـفرٌ أهـمَّ بـه، وأمـرٌ مزمـعُ[1]
فكأنهـــا بعْـــد الكلالـــةِ والسُّـــرى علْـــجٌ تغاليـــهِ قـــذورٌ مُلْمِـــعُ[2]

فهو يشبّه ناقته بعد أن أصابها التعب، وأجهدت وأصبح ذلك باديا ظاهرا عليها بحمار وحش غليظ، ولعل هذا التشبيه على دقته يدل على أن الشاعر التميمي كان على علم بدقائق الأمور المتصلة بالحيوانين موضع التشبيه هاهنا، إذ إن اختياره المقصود لحمار الوحش ليشبه الناقة به يعدّ اختيارا موفقا لأنه من خلاله أظهر الناقة في حالة من التعب والإجهاد إلا أنها لا زالت قوية شديدة.

غير أن عبدة بن الطبيب اختار أن يشبّه ولد امرأة شعثاء بولد الحمار الوحشي في قوله[3]:

بـــاكَرَهُ قـــانصٌ يســـعى بأكلُبـــهِ كأنـهُ من صِلاءِ الشمس مملـولُ[4]
يـــأوي إلـــى ســـلفعٍ شـــعثاءَ عاريـــةٍ في حجْرها تولـبٌ كالقردِ مهزولُ[5]
يُشـــلِي ضـــواريَ أشـــباها مجوَّعـــةً فلـــيس منهـــا إذا أمْكـــنَّ تهْليـــلُ[6]

فالشاعر هنا في معرض وصفه لوحة الصيد، يقف عند الصائد وامرأته، فيشبه ولدها بأنه تولب صغير، ثم عاد ليشبه الولد نفسه بالقرد لضره وضيعته.

وهكذا يجد الباحث أن للحمر الوحشية حضوراً في شعر بني تميم، إذ تركز هذا الحضور على وصف مشهد الحمار وأتانه في لوحة الصيد، وقد برعوا في إظهار معاناة الحمار وأتانه في هذه اللوحة، كما برعوا في إظهار لحظات الترقب التي يعيشها الصياد الذي يتحين الفرصة للنيل منهما، كما لم تغب الأوصاف الحسية الجسدية للحمر الوحشية عن شعر التميميين؛ إذ ذهبوا إلى وصف جسدها وطباعها وألوانها، كما أنهم راحوا يشبهون نوقهم بها في رحلاتهم وأسفارهم، لاسيما عندما كان التعب والإجهاد ينال منها.

---

[1] . مولعة: بقرة فيها خطوط سود، القنيص: الصائد.
[2] . الكلالة: التعب، السرى: السير ليلا، العلج: حمار الوحش الشديد الغليظ، القذور: السيئ الطبع.
[3] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 66.
[4] . باكره: أتاه بكرة. الملة: الرماد .
[5] . يأوي إلى سلفع: أي؛ يأوي الصائد إلى امرأته. السلفع: الجريئة البذيئة. التولب، ولد الحمار.
[6] . يشلي: يدعو. الضواري: التي تعودت الأخذ. التهليل: الرجوع عن الشيء.

- **الظباء:**

تحدّث شعراء بني تميم عن الظباء كثيراً في أشعارهم، فذكروا أوصافها، وأعجبهم فيها تناسق أعضائها ورشاقتها، فراحوا يشبهون بها كل ما وجدوه رائقا في نظرهم، جميلاً في نفوسهم، وقد رددوا في تشبيهاتهم هذه جوانب معينة من هذا الحيوان.

بالإضافة إلى ذكرها مقرونة بالأطلال فقد وقف الشعراء عنده وقفات طويلة، وهم يستذكرون أيام لهوهم وصباهم لوداعتها وجمال صورتها، وتناسبها مع ما يحملون لهذه الديار من مكانة رفيعة، ومن ذلك ما ذكره أوس بن حجر في مقدمته الطللية فذكر الظباء وسخالها، إذ قال[1]:

تنكّرَ بعْدي من أميْمة صائفُ ... فبرْكٌ فأعلى توْلبٍ فالمُخالفُ[2]
فقوٌّ فرَهْبى فالسليلُ فعاذبٌ ... مطافيلُ عوذ الوحْش فيه عواطفُ[3]
فبطْنُ السليّ فالسِّخالُ تعدّرتْ ... فمعْقلة إلى مُطارِ فواحِفُ
كأن جديدَ الدّار يُبليكَ عنهُمُ ... تقيٌّ اليمين بعْدَ عهْدِكَ حالِفُ[4]
بها العين والآرام ترعى سخالها ... فطيمٌ ودانٍ للفطامِ وناصفُ[5]

فالظباء هاهنا أصبحت واحدة من الأمور التي راح الشاعر يفتقدها، وكأنها على درجة من الأهمية مساوية للأماكن التي حشد لها في الأبيات السابقة، وهذا يدل على مكانة الظباء في نفسه.

كما ذكرها المُخبَّل السَّعدي في إحدى مقدماته الطللية التي راح يتحدث فيها عن الإنفاق والجود، فبدأ قصيدته بمقدمة طللية نعت فيها صاحبته الرباب، ووصف ديارها وأطلالها، فجاء ذكر الظباء في هذه الوقفة الطللية، فقال[6]:

ذكَر الرَّبابَ وذِكْرها سُقْمُ ... فصبا وليسَ لمن صبا حِلْمُ[7]
فكأنَّ ما أبقى البوارحُ ... والأمطارُ في عرصاتها الوشْمُ[8]

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص63.
[2] . صائف، وبرك، وتولب، والمخالف: كلها مواضع في ديار بني تميم، وديار بني عامر.
[3] . قو: واد بين اليمامة وهجر. رهبى: خبراء في الصمان بديار بني تميم. السليل: اسم واد، عاذب: جبل قريب من رهبى. العوذ العطافيل: الإبل التي نتجت وتتبعها أطفالها.
[4] . جديد الأرض: ما لم يؤثر فيه ولكنه على فطرته.
[5] . العين: بقر الوحش. الآرام: الظباء. سخالها: جمع سخل، وهو ولد الظبي. الناصف: الذي بين الفطام والدنو منه.
[6] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 110.
[7] . الرباب: صاحبة الشاعر.
[8] . الخضرة تكون في اليد. البوارح: الرياح الشديدة. العرصات: الأماكن والساحات.

تقــرو بهــا البقــرُ المســاربَ واخــ ـــــتَلطتْ بهـــــا الآرامُ والأدْمُ[1]
وكـــأن أطـــلاء الجـــآذر والـــ ـــغزلان حــولَ رُسُــومها الــبهْمُ[2]

فهو يذكر الظباء هنا مع غيرها مع الحيوانات الأخرى التي تشكل جزءا من الطبيعة الصائتة التي راح الشاعر يدمجها مع الطبيعة الصامتة عندما وقف على الديار، واستذكر المحبوبة.

وقد أكثر شعراء بني تميم من استخدام صفات الظبية لتصوير المرأة، وراقهم منها حور عينيها، وسواد مقلتيها، وطول عنقها واستدارته، وخفة حركتها ورشاقتها. فشبّه سلامة بن جندل صاحبته أسماء بالظبية المادة عنقها وهي تنظر، فجعلها في أحسن ما تكون، في قوله[3]:

لأســماءَ إذ تهــوى وصــالكَ إنهــا كذي جُدَّة من وحش صاحة مُرْشِقُ[4]
لــهُ بقِــران الضُّــلْبِ بَقْــلٌ يَلُسُّــهُ وإنْ يتقـــدَّمْ بالـــدَّكادكِ يـــأنَقُ[5]

وكذلك ذهب عدي بن زيد العبادي إلى تشبيه صاحبته بالظبية في قوله[6]:

يـــا لُبينـــى أوقـــدي النّـــارا إنَّ مـــنْ تهـــوينَ قـــدْ حـــارا
ربَّ نـــارٍ بـــتُّ أرْمُقُهـــا تقْضُـــمُ الهنْـــديَّ والغـــارا[7]
عنـــدها ظبـــيٌ يورِّثهـــا عاقـــد فـــي الخصـــر زنّـــارا[8]
شـــادنٌ فـــي عينِـــهِ حَـــوَرٌ وتخـــالُ الوجْـــهَ دينـــارا[9]

فهو يخاطب لبنى، ويدلّلها، فراح يشبّبها بالظبية الصغيرة، ويلاحظ أن الشاعر استعار صفة الحور من عين الظبية ليشبّه بها صاحبته، وهذا يعمّق الجمال فيها ويزيده.

وكذلك فعل عَبَدَةُ بنُ الطبيب مع هُنَيْدَة، إذ راح يشبّهها بالظبية التي تأسره بجمال عينيها، وجيدها الطويل، فقال[10]:

---

[1] . تقرو: تتبع. المسارب: المراعي والطرق. الآرام: الظباء البيض البطون السمر الظهور. الأدم: الظباء البيض.
[2] .الأطلاء: الصغار من ذوات الظلف.
[3] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة جندل، ص 156- 157.
[4] . الجدة: الخطة في ظهر الحمار تخالف لونه وقد أطلقها هنا على الظبية. المرشق الظبية المادة عنقها الناظرة، وهي أحين ما تكون.
[5] . اللس: الأخذ باللسان.
[6] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 100.
[7] . الغار: شجر طيب الرائحة.
[8] . يؤرثها: يوقدها ويكثر حطبها.
[9] . الشادن: ولد الظبية، ويريد بها المرأة. الحور: اشتداد بياض بياض العين وسواد سوادها.
[10] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 52.

كـــأنّ ابنـــة الزيـــديّ يـــوم لقيتهـــا هُنيـدةَ مكحـولُ المـدامع مُرْشِـقُ[1]
تُراعـي خـذولا يـنفُضُ المُـرْدُ شـادنا تنوشُ من الضّـالِ القذافَ وتعْلـقُ[2]
وقلـــتُ لـــه يومـــا بـــوادي مُبـــايضٍ ألا كـلَّ عـان غيـر عانيـكَ يُعْتـقُ[3]

وقد تكرر استعارة الظباء للدلالة على حسن جمال المرأة ورقتها عند علقمة الفحل؛ فقد تكرر عنده تشبية المرأة بالظبية، ومنه قوله[4]:

من ذكر سلمى وما ذكري الأوان لها إلا السَّـفاهُ وظـنَّ الغيـبِ تـرجيمُ[5]
صفر الوشاحين ملءُ الدّرع خرعبة كأنهـا رشـأ فـي البيـتِ ملـزومُ[6]

فهو يشبّه صاحبته سلمى بظبية صغيرة، والملاحظ أن الشاعر هنا عقد المشابهة بين سلمى والظبية في جوانب ثلاثة؛ فهو يرى أن محبوبته تشبه الظبية في حسن عينيها، وطول جيدها، وانطواء كشحها.

وقد جاء تشبيه جيد المرأة مع ما عليه من الحلي بجيد الظبية الذي تربيه الجواري، في موضع آخر عند الشاعر نفسه، ومنه[7]:

مبتلّـــة كـــأنّ أنضـــاء حليهـــا علـى شـادنٍ مـن صـاحةٍ مُتَرَبَّـبُ[8]
محـــالٌ كـــأجواز الجـــرادِ ولؤلـــؤٌ مـن القلقـيّ و الكبـيس المُلـوَّب[9]

ويظهر أن علقمة كانت مولعا بتشبيه جيد المرأة بجيد الظبية؛ إذ يقول في موضع ثالث[10]:

وجيـــدِ غـــزالٍ شـــادنٍ فـــردتْ لـــهُ من الحلي سمطيْ لؤلؤ وزبرجدِ[11]

---

[1] . هنيدة: تصغير هند وهي ابنة الزيدي. مكحول المدامع: ظبية شديدة سواد العين.
[2] . الخذول: ولد الظبية. المرد: شجر الآراك. الضال: السدر البري. القذاف: ما أطاقت تناوله وترميه.
[3] . مبايض: موضع وراء الدهناء في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم. العاني، الأسير.
[4] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 56.
[5] . السفاه: من السفاهة،
[6] . صفر الوشاحين: ضامرة البطن لطيفته. مل الدرع: ناعمة الجسم عظيمة العجيزة. الخرعبة: الضعيفة العظام لنعمتها ولينها. الرشأ: الظبي الصغير.
[7] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 80.
[8] . المبتله: الضريبة اللحم، الضامرة الكشح. أنضاء الحلي: ما دقّ منه ولطف؛ يعني قرطيها وقلائدها.
[9] . المحال: الشذر من الذهب. الذنوب: الدلو.
[10] . المصدر نفسه، ص 70.
[11] . فردت له: أي نظمت لجيدها، السمط: الخيط بما فيه من النظم، الشادن: من أولاد الظباء.

ولم يقتصر تشبيه شعراء بني تميم على تشبيه المرأة بالظبي، فقد كانوا يشبهون أي شيء يجدونه رائقا لهم بالظبي، ومن ذلك قول متمم بن نويرة اليربوعي الذي يشبه فيه فرسه بالظبي[1]:

ولقدْ غدوتُ على القنيصِ وصاحبي ... نهْدٌ مراكِلُهُ مِسحٌ جُرْشُعُ[2]

ضافي السبيب كأنّ غصنَ أباءةٍ ... ريّان ينفُضُها إذا ما يُقْدَعُ[3]

تئِقُ إذا أرسلتَهُ مُتقاذِفٌ ... طمّاحُ أشرافٍ إذا ما يُنْزعُ[4]

وكأنه فوت الجوالبِ جانئا ... رَئِمٌ تضايفهُ كلابٌ أخضعُ[5]

فهو يشبّه فرسه في هذه الأبيات بالظبي في سرعته، فيقول: إذا أرسلت هذا الفرس جرى مسرعاً كأنه رئم أخضع تأخذ به كلاب الصيد ههنا وههنا لشدة جريه.

أما علقمة الفحل فقد راح يشبّه إبريق الخمر بالظبي في قوله[6]:

كأسُ عزيزٍ من الأعنابِ عتَّقها ... لبعض أربابها حانيَّةٌ حومُ[7]

تشفي الصُّداعَ ولا يؤذيك صالبها ... ولا يُخالطها في الرأس تدويمُ[8]

عانيّةٌ قُرْقُفٌ لمْ تُطَّلعْ سنةً ... يجنُّها مُدْمَجٌ بالطينِ مختومُ[9]

ظلّتْ تُرقرقُ في الناجودِ يصفقها ... وليدُ أعْجَمَ بالكتّان مفدومُ[10]

كأنّ إبريقهم ظبيٌ على شرفٍ ... مُفدَّمٌ بسِبا الكتان ملثومُ[11]

ففي معرض وصفه الخمر والتغني بها، وبما تحدثه في شاربها، راح الشاعر يشبه عنق الإبريق بظبي عال مشرف، في طول عنقه وإشرافه، فهو يستمد هذا التشبيه الحسي من بيئته التي يعيشها ويعاينها.

---

[1] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 97.

[2] .القنيص: الصيد. النهد: التام. المراكل: جمع مركل، وهو موضع رجل الفارس من جنب الفرس. المسح: السريع العدو، وأصل السح الصب. جرشع: غليظ منتفخ.

[3] . الضافي: الطويل. السبيب: شعر الذنب، والناصية، والإباءة القصبة. يقدع: يكف.

[4] . التئق: السريع الجري. المتقاذف: الذي يقذف بنفسه في الجري. الأشراف: الأشواط.

[5] . جانئا: مكبا. الرئم: الظبي الخالص البياض.

[6] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، 70.

[7] .الكأس: الخمر في الإناء. عتقها: تركها في دنها حتى قدمت ورقت. الحانية: قوم خمارون، حوم: جمع حائم.

[8] . صالبها: ما صلب منها وقوي.

[9] . عانية: نسبها إلى عانة. المدمج: الدن. القرقف: التي ترعد شاربها لدوامها عليه.

[10] . ترقرق: تصفو. الناجود: الإناء.

[11] . سبا الكتان: أراد سبائب الكتان فحذف؛ وهي الشقة البيضاء.

كما ظهر عند شعراء بني تميم أن كان الظبي وسيلتهم ليشبهوا به حال أعدائهم يوم انهزموا وتفرقوا، ومنه قول سلامة بن جندل[1]:

ضممنا عليهمْ حافتيهمْ بصادقٍ ... من الطعنِ حتى أزمعوا بتفرّق[2]
كأن مناخا من قُيون ومنزلا ... بحيث التقينا من أكُفٍّ وأسْوُق[3]
كأنهم كانوا ظباءً بصفصفٍ ... أفاءت عليهم غبْيةٌ ذات مَصْدق[4]

فهو يصف حال القوم الذين عادوهم، ويظهر أن قومه هزموهم شر هزيمة، فراح يشبه حالهم وقت انهزموا وتفرقوا بحال مجموعة من الظباء التي تفرقت ما أن نزلت عليها دفعة من المطر ففرقتهم.

- **النّعام:**

عاش النعام في بلاد العرب زمناً طويلاً، وعرفوا من أحواله شيئاً كثيراً تبينت في أعمالهم، وفي شعرهم وأمثالهم، وكان الشعراء يستقصون أوصافه، ويقفون عند بعض عاداته وقوفاً طويلاً. وكانوا يزعمون في خلقه مزاعم غريبة[5].

وقد ضرب العرب المثل في خرق الرأي، وفساد العمل، وإيثار البعيد على القريب، بالنعامة تهجر بيضها، وتتركه في العراء، وتذهب لتحتضن بيض نعامة أخرى[6]، وقالوا: "أحمق من نعامة"، و"أموق من نعامة"، وقالوا: أجبن من نعامة، وأعدى من ظليم. وهم في أمثالهم تلك، إنّما يؤكدون معاني الخوف والذعر، والحمق والحذر، والسرعة فيها[7].

وممن ضرب المثل بحمقها، وجهلها وقلة عقلها، قول أوس بن حجر[8]:

---

[1] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 168-169.
[2] .صادق: صلب. أزمعوا: عزموا.
[3] . شبه الأكف والأسوُق التي قطعت بمناخ قيون تعمل كالسيوف، كأنه أراد قطع الحديد ومتاعهم.
[4] . الصفصف: ما استوى من الأرض ولا رمل فيه. أفاءت: رجعت..
[5] . انظر: الجاحظ،، الحيوان، 1: 145، و 4: 310-321، و4: 310، 321، 326.
[6] . انظر: الحوفي، أحمد محمد (1958)، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص108. وانظر: الصالحي، عباس مصطفى، الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري، ص127. وانظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 153.
[7] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 1: 198، وانظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 148.
[8] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص123.

رأتنـــي مَعَـــدٌّ مُعْلمـــا فتنـــاذرتْ ... مبـــادَهَتي أمشـــي برايـــةِ مُعْلـــمِ[1]
فتنهـى ذوي الأحـلامَ عنـي حلـومُهم ... وأرفـعُ صـوْتي للنَّعـامِ المُصَـلَّمِ[2]
وإنْ هـــزَّ أقـــوامٌ إلـــي وحـــدّدوا ... كسـوْتُهُمُ مِـنْ حَبْـر بَـزٍّ مُـتَحَّمِ[3]

فالشاعر في معرض تفاخره بقوته، وخبرته، ودرايته في أمور الحرب وشؤونها، راح يعرّض بالمعديين وحمقهم؛ لذا فهو يشببهم بجهلهم في أمور الحرب بالنعامة لنفورها وشرودها وحمقها.

إن السرعة هي الصفة الأهم التي عني الشعراء بإبرازها، وهي ما يتميز بـه النعام، فنجد أوس ابن حجر يصف النعامة والظليم ، وهما مندفعان في سيرها، فيقول[4]:

وتبْـري لـهُ زعـراءُ أمّـا انتهارُهـا ... ففـوتٌ وأمـا حـينَ يعْيـى فتلحـقُ[5]
كـــأنّ جِهـــازا مـــا تميـــلُ عليهمـــا ... مقاربـــةٌ أخْصـــامُهُ فهْـوَ مشْـنَقُ[6]
إذا اجتهـــدا شـــدّا حســـبْتَ عليهمـــا ... عريشـا عَلَتْـهُ النـارُ فهـو يحـرَّقُ[7]

فهو يصف النعامة خفيفة الريش في هذا الموضع، ويبيّن سرعتها وشدة عدوها، فلا يلحق بها لاحق، وقد شبّه خفة عدوها بحفيف ظلة قد اشتعلت فيها النار.

وقد وظّف الشعراء الصفة الغالبة على النعامة، وهي سرعة عدوها، في صور مختلفة من شعرهم، واستغلوا هذه الخصلة، فشبهوا بها مطاياهم وسرعة سيرها في الأرض، فشبّه علقمة الفحل ناقته بالظليم في قوله[8]:

هل تُلحقنـي بـأولى القومِ، إذ شحطوا ... جُلذيـــة كأتـــان الضّـــحلِ عُلكـــومُ[9]
كأنّهـــا خاضِـــبٌ زُعْـــرٌ قوائمُـــهُ ... أجنـى لـهُ بـاللّوى شـرْيٌ وتنُّـومُ[10]

---

[1] . تبري: تتعرض. الزعراء: النعامة الخفيفة الريش..
[2] .الجهاز: المتاع، يريد كأن على كل واحد منهما حملا من جناحه. أخصامه: نواحيه. مشنق: مرفوع عليهما.
[3] . العريش: الظلة من ثمام وغيره.
[4] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 78.
[5] . المعلم: الذي رفع علما في الحرب ليدل على مكانه. فتناذرت مبادهتي: جعلت مفاجأتي ومقارعتي في الحرب نذراً بينها.
[6] .الأحلام: العقول. المصلم: القصير الأذنين.
[7] . حبر: حسن. البز الأتحمي: ضرب من برود اليمن.
[8] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 57.
[9] .أولي القوم: أولهم. شحطوا: بعدوا. جلذية: ناقة شديدة. الأتان: صخرة تكون في الماء، فهو أصلب لها. العلكوم: كثير اللحم.
[10] .الخاضب: الظليم الذي أكل الربيع. الزعر: القليلة الريش. الشري: شجر الحنظل .

فالشاعر راح يشبّه ناقته في سرعتها وخفتها بسرعة هذا الظليم قليل الريش، فهو يذكر الظليم والنعام الذي احمرّت ساقاه وأطراف ريشه، لكثرة رعيه العشب؛ لأنه يكون أسرع في هذه الحالة وأنشط، فلا تتمكّن الخيل من طلبه.

وقد ذكر شعراء بني تميم ريش النعام في غير موضع في أشعارهم، فالمُخبَّل السّعدي يذكر النعام الذي يكسوه ريش كثيف في قوله[1]:

سبقتْ قرائنَها وأدفأها ... قُرْدُ الجناح كأنّهُ هِدْمُ[2]

ويضمُّها دون الجناح بدفّه ... ضالٍ ولا عُقبٌ ولا الزُّحْمُ[3]

فالشاعر يأتي على ذكر النعام في هذين البيتين، ويصف ريشها، ويجعل منه رداء وهدما لها، فيدفئها لأنه كثيف، فهو تفصيل في وصف الطبيعة الجسدية لهذا الحيوان.

كما وصف الشعراء سرعة النعام وخفّة عدوه، فقد وصفوا سكونه وهدوءه أيضا، فعَبَدة بن الطبيب يصف سكون الظباء والآرام والنعام في لوحة شعرية فيقول[4]:

وعازبٍ جادَهُ الوسميُّ في صَفَرٍ ... تسْري الذّهابُ عليهِ فهو موبولُ[5]

ولم تسمَّع به صوتا فيفْزعها ... أوابد الرُّبْدِ والعينُ المطافيلُ[6]

كأنّ أطفال خيطان النّعام بهِ ... بَهْمٌ مُخالطهُ الحفّانُ والحولُ[7]

أفزعتْ منه وحوشا وهي ساكنةٌ ... كأنها نَعَمٌ في الصُّبْح مشلولُ[8]

فالشاعر في هذه اللوحة يصف لنا مشهداً من الطبيعة التي كان يعاينها في سفره وترحله، فيذكر أنه نزل في منطقة ليلاً لا ينزل إليها أحد عادة، وكان المطر قد جاد عليها، فوجد فيها أنواعاً من الحيوانات البرية الساكنة الهادئة التي كانت ترعى، فذكر النعام وهي ترعى صغارها التي كانت معها، إلا أنها فزعت لنزوله بعد حالة السكينة التي كانت تغلب عليها.

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 111.

[2] .قرد الجناح: ذكر النعام. القرد: المكاثف من الريش. الهدم: الكساء.

[3] .الدف: الجنب. القوادم: أوائل الريش من الجناح. قتم: غبر.

[4] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 75-76.

[5] .العازب: المنتحي، يريد كلأ عزب عن الناس فلم يرعه أحد. جاده: أصابه بجود. الوسمي: المطر الذي يسم الأرض بشيء من النبت. تسري: تسير بالليل. الذهاب: جمع ذهبة وهي الدفعة من المطر. الموبول: الذي أصابه الوبل، وهو مطر عظام القطر شديد الوقع.

[6] . أراد أنه في قفر لا تمر به أحد فالوحش تعتاده. الأوابد: الوحش التي تسكن البيداء. الربد: النعام. العين: البقر. المطافيل: التي معها أولادها.

[7] . الخيطان: قطعان النعام. البهم: أولاد الغنم. الحفان: أولاد النعام. الحول: جمع حائل، وهي التي لم تحمل صغيرها.

[8] . المشلول: المطرود.

وممّا تجدر ملاحظته ما للمطر من أهميّة كبيرة في قصة الظليم والنعامة، التي تكرر ذكرها في الشعر الجاهلي عموماً، وما كان الشعراء يرسمونه من فزع الظليم من المطر، وخوفه وهربه وشدّة هلعه، وكيف يفرّ من العاصفة والمطر والريح الباردة، وينطلق مسرعاً إلى بيضه ليحفظه من المطر، وما إن يصل هو والنعامة إلى عشّهما حتّى تحتضن النعامة البيض، وتبعث فيه دفء الحياة، وقد فصّل علقمة الفحل القول في هذا المشهد، فقال[1]:

كأنهـــا خاضـــبٌ زُعْـــرٌ قوائمُـــهُ ... أجنـى لـهُ بـالْلّوى شـرْيٌ وتنُّـومُ[2]

يظـلُّ فـي الحنظـلِ الخُطْبـانِ ينقُفُـهُ ... ومـا استطفَّ مـن التَّنُّـومِ مخـذومُ[3]

فـــوهٌ كشَـــقّ العَصـــا لأيـــا تبيَّنَـــهُ ... أسكُّ مـا يسْمعُ الأصواتَ مصلومُ[4]

حتّـــى تـــذكَّرَ بيضـــاتٍ وهيَّجَـــهُ ... يـــومُ رذاذٍ عليـــه الـــريحُ مغيـــومُ[5]

فـــلا تزيُّـــدُه فـــي مشْـــيه نَفِـــقٌ ... ولا الزَّفيـفُ دويـنَ الشـدِّ مسْـؤومُ[6]

يكـــادُ منســـمه يختـــلُّ مُقْلتـــهُ ... كأنـــه حـــاذرٌ للـــنّخْسِ مشْـــهومُ[7]

يـأوي إلـى خُـرَّقِ زُعْـرٍ قوادمُهـا ... كـــأنّهنَّ إذا بـــرَّكْنَ جُرْثـــومُ[8]

وضّـاعة كعصـيّ الشـرْعِ جؤجـؤهُ ... كأنَّـــهُ بتنـــاهي الـــرّوضِ عُلجـــومُ[9]

حتّـى تلافـى قـرْنَ الشـمسِ مُرتفـعٌ ... أدْحيَّ عرسين فيه البيضُ مركومُ[10]

يـــوحي إليهـــا بإقـــاصٍ ونقْنَقـــةٍ ... كمـا تـراطن فـي أفـدانها الـرومُ[11]

صَـــعْلٌ كـــأنّ جناحَيـــهِ وجؤجـــؤه ... بيـتٌ أطافـتْ بـه خرقـاءُ مهجـومُ[12]

تحُفُّـــهُ هِقْلـــة ســـطعاءُ خاضـــعة ... تجيبُـــهُ بزمـــارٍ فيـــه تـــرنيمُ[13]

فهذه لوحة تصف جانباً من الحياة التي كان الظليم وأفراخه يعيشونها، وقد سلّط الشاعر الضوء على نفسية هذا الظليم الذي راح يدافع ويكافح في دفاعه هذا عن أرفاخه وبيضه، في يوم ماطر ذي ريح، لعلمه أن الريح والرذاذ سيغير البيض ويفسده، ومن هنا شرع الشاعر في تصوير مشهد

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 58-64.

[2] . الخاضب: الظليم الذي أكل الربيع، واحمرّت قوائمه، وأطرف ريشه، الزعر: القليلة الريش. اللوى: ما التوى من الرمل. الشري: شجر الحنظل.

[3] . الخطبان: من الحنظل الذي صارت فيه خطوط صفر وحمر.

[4] . أسك الأذنين: صغر الأذن وضيقها. المصلوم: المقطوع الأذن.

[5] . الرذاذ : القطر الصغار.

[6] : التزيّد: فوق المشي. النفق: الذاهب المنقطع. الزفيف: دون العدو. الشد: العدو الشديد. المسؤوم: المملول،

[7] . منسمه: ظفره. يختل مقلته: يريد أنه يزج برجليخ زجا شديدا. ويخفض عنقه، ويمدها في عدوه. المشهوم: الفزع.

[8] . الخرّق: الفراخ اللازقة بالأرض. زعر قوادمها: أي أن ريش قوادمها لم ينبت بعد.

[9] . وضاعة: ضرب من العدو. عصي الشرع: العود. الجؤجؤ: الصدر.

[10] . تلافى: تدارك. الأدحي: مبيض النعام. العرسين: الظليم والنعامة. المركوم: الذي ركب بهضه بعضا لكثرته.

[11] . الأفدان: جمع فدن، وهو القصر.

[12] . الصعل: الرقيق العنق، الصغير الرأس من الظلمان، وبذلك توصف. الخرقاء: المرأة التي لا تحسن العمل.

[13] . تحفه هقلة: تغشى الظليم، وتحيط به هقله، وهي النعامة. السطعاء: الطويلة العنق. السطاع: عمود في وسط البيت أو مقدمه، وقد شبه عنقها به. الخاضعة: التي أمالت رأسها ووضعته للرعي. الزمار: صوت النعامة. العرار: صوت الظليم.

الظليم الفزع، الذي أخذ يركض ويجد في عدوه حتى يحمي فرخه، حتى إن ظفره كاد ينخس عينه لأنه من شدة عدوه راح يمدّ رقبته ليسرع أكثر وأكثر، إلى أن وصل إلى فراخه التي وجدها ملتصقة بالأرض، وقد شبّهها الشاعر بالجراثيم للصوقها بالأرض واجتماعها، فهي رحلة كفاح ومعاناة إذن، عمد الشاعر إلى رسم دقائقها بدقة متناهية.

غير أن المشهد الذي ترسمه الأبيات لا ينتهي إلى هنا، فبعد أن يطمئن الظليم على أفراخه، أراد الشاعر أن يجمعه بصاحبته من النعام، ليرعيا أفراخهما معا، فجعل بينهما حوارا لا يفهمه سواهما، إذ إن الشاعر راح يشبهه بتراطن الروم.

واللافت أيضا في هذه اللوحة، وقوف الشاعر على عدد من الصفات التي يتصف بها الظليم، فهو يذكر أن منقاريه ملتصقان كالعصا، كما أن أذنيه صغيرتان فلا يسمع شيئا، وريشه قليل، كما أن عنقه طويلة، وجسمه ضخم فراح يشببه بالجمل لعظم خلقته.... فالشاعر إذن يعمد إلى هذا النوع من التفصيل في رسم لوحة الظليم أمام المطر والريح ليدافع عن عائلته.

وممن ربط في شعره بين المطر والسحاب والنعام، سلامة بن جندل في قوله[1]:

ومَجَــرٌّ ســـاريةٍ تجـــرٌّ ذُيولهـــا نـــوْس النعـــام تنـــاط بالأعنـــاق[2]

مصـــريّةٍ نكبـــاءَ أعـــرض شـــيمُها بأشـــــابةٍ فـــــزَرودَ فـــــالأفلاق[3]

فالشاعر يذكر هذه السحابة التي راح يخبر عنها بأنها قدمت ليلا من مصر لتحمل المطر الكثير، وقد راح يشبهها بالنعامة في تذبذبها وتحركها، ولعل الشاعر جاء بهذا التشبيه في هذا الموضع؛ لأنه راح يستدعي صورة النعام الحاضرة في الذهن العربي، وما يصيبها من هلع وفزع من المطر مما يحدث فيها حركة متذبذبة، فراح يعقد هذه المشابهة في حركة السحاب وحركة النعام.

كما عرض الشعراء لذكر النعام في حديثهم عن ديار الأحبة، وخلوّها من أهلها، ولم يجد الشعراء حيواناتٍ أكثر وداعةً من الظباء والآرام والنعام، ترود مثل هذه الأماكن التي يحفظون لها

---

[1] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 136.
[2] .سارية: سحابة تأتي ليلا. ذيولها: مآخيرها. النوط: التعليق.
[3] . مِصْرية: قادمة من نحو مصر. شيمها: مطرها.

أحسن الذكريات لتكون متناسبة مع عظم منزلة الديار في نفوسهم. ومثال ذلك وصف أوس بن حجر لقطيع من النعام، الذي اتخذ من ديار الأحبّة مقرّاً له، قيقول[1]:

حلَّـــتْ تُماضِـــرُ بعْـــدنا ربَبَـــا فـــالغمْرَ فـــالمُرَّيْنِ فالشُّـــعَبا[2]

حلّـــتْ شـــآمية وحـــلَّ قسَـــا أعلـــي فكـــانَ طِلابهـــا نَصَـــبا[3]

لحقـــتْ بـــأرض المُنكـــرينَ ولـــمْ تُمْكِـــنْ لحاجـــةِ عاشِـــقٍ طلَبـــا[4]

تمشـــي بهـــا رُبْـــدُ النعـــام كمـــا تمشـــي إمـــاءٌ سُـــرْبلتْ جُبَبَـــا[5]

فالشاعر في هذه الأبيات يحشد عدداً كبيراً من المواضع التي راح يستذكرها، ويستذكر أهلها الذين لم يعودوا فيها، إلا أنه جعل النعام تسير في هذه الديار دلالة على خلوها من أهلها.

- **<u>الذئب:</u>**

الذئب حيوان عرفه العرب جيداً، فهو مصدر التهديد لأنعامهم، التي هي المصدر الرئيسيّ لرزقهم ، فكانوا يخشونه في حلّهم وترحالهم، ولعبدة بن الطبيب أبيات يصف فيها الذئب، وكيف أنه يتربّص بالآبدات ليسطو عليها، فيقول[6]:

تـــأوّبَ مِـــنْ هنـــدٍ خيـــالٌ إذا استيْأستْ من ذِكْرها النفْسُ يَطْرُقُ[7]

وأكوارنـــا بـــالجوِّ جـــوِّ جُـــوادَةٍ بحيـــثُ يصـــيدُ الآبـــداتِ العَسَـــلَّقُ[8]

فالشاعر في هذه الأبيات يحدّثنا عن الخيال الذي يطرقه ليلاً ليلائم الجو المقفر الذي هو فيه.

وقد كثر ذكر الذئب للتقليل من شأن المخاطب عند شعراء بني تميم، فقد ذكر الذئاب الأسودُ بن يعفر عند حديثه عن بني أنس الذين هددوه، وتوعدوا له ليحطّ من شأنهم ويقلل من وعيدهم في قوله[9]:

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 1.

[2] . ربب: وادي بنجد من ديار عمر بن تميم، الغمر: غمر بني جذيمة بالشام، المريان: مثنى مر، وهما ماءان لغطفان، الشعب: ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة على ثلاثة أميال من العقبة.

[3] .قسا: موضع ببلاد بني تميم.

[4] . المنكرين، جمع منكر: وهو الرجل الداهي الفطن.

[5] . الربدة: لون بين السواد والغبرة، الجبب: جمع جبة، وهو نوع من الثياب.

[6] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 54.

[7] . تأوب: جاء الخيال ليلا، يطلاق: يأتي ليلا.

[8] .الكور: الرحل بأداته، الجو: ما اتسع من الأودية، الآبدات: الطيور والوحش المقيم، العسلق: الذئب.

[9] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 20.

أتـــاني عـــن بنـــي أنَـــسٍ وعيـــدٌ ومعْصـــوبٌ تخُـــبُّ بـــه الرّكـــابُ[1]
وعيـــــدٌ تُخـــــدجُ الآرامُ منـــــهُ وتكـــــرهُ بَنَّـــــةَ الغـــــنمِ الـــــذئابُ[2]

فالشاعر يرى أن وعيدهم لا قيمة له، ولا خوف منه.

كما وُظّف الذئب عندهم في غرض الهجاء، فقد جاء المخبّل السعدي بصورة الذئب الذي يربض على فريسته في هجائه للزبرقان في قوله[3]:

تُعـالجُ عـزّا قـد عسـى عظْـمُ رأسِـهِ قراســيّةٌ كالفحــلِ يصــرفُ بازلــهْ[4]
فـاقْع كمـا أقْعـى أبـوكَ علـى اسـته رأى أنَّ ذئبـــا فوقـــهُ لا يعادلُـــهْ[5]

وكذلك جاء ذكر الذئب عند عمرو بن الأهتم لما قال في ذكر العداوة التي كانت تتأجج نارها بين بني تميم وقيس عيلان إثر الحروب المريرة بينهما[6]:

نَزَلـــوا منْـــزلَ الضِّـــيافةِ منهـــا فقـــرى القـــومَ غِلْمَـــةَ الأعـــرابِ[7]
وتركْنـــا عُميْـــرَهمْ رهْـــنَ ضـــبْعٍ مسْـــلَحِبًّا ورهـــنَ طُلـــسِ الـــذئابِ[8]

فهو يريد التقليل من شأن خصومه فراح يجعلهم على هذه الصورة التي جاء توظيف الذئاب فيها ليظهر ضعفهم واستسلامهم أمام قوم الشاعر.

وكذلك جاءت صورة الذئاب عند الزبرقان بن بدر الذي وجد في قومه قوة وباساً، فلا يجرؤ أحد على الاقتراب منهم، أو المساس بهم، فقال [9]:

هـمُ يهلكـونَ ويبقـى بعْـدُ مـا صـنعوا كـــأنَّ آثـــارَهُمْ خُطّـــتْ بـــأقلامِ[10]
تعـدو الـذِئابُ علـى مـن لا كـلابَ لـهُ وتتقـــي مـــرْبضَ المُسْـــتنفِرِ الحـــامي

---

[1] . معصوب: كتاب، أي وعيدهم لا يكون أبدا.
[2] . تخدج: تطرح أولادها نقصا، البنة: ريح مربض الغنم، والظباء، والبقر.
[3] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 118.
[4] . قراسية: ضخم، يعرف بازله: يحك به فيسمع له صوت، عسا: اشتد وصلب.
[5] .اقع: اقعد.
[6] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 177.
[7] . قرى: أطعم.
[8] .عمر: رجل من قيس عيلان، مسلحب: مستلقي على الأرض، الطلس: التي يميل لونها إلى السواد. .
[9] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ، ص 191.
[10] . آثارهم: أعمالهم.

وقد شبه عَبدة بن الطبيب الصياد بالذئب السرحان في قوله[1]:

يُشـلِي ضـواريَ أشـباها مجوَّعـةً فلـيس منهـا إذا أمْكـنَّ تهْليـلُ[2]

يتْـبَعْنَ أشـعَثَ كالسّـرحان منْصَـلِتا لـهُ علـيهنَّ قِيْـدَ الـرمح تمْهيـلُ[3]

فالشاعر يرسم في هذا المشهد صورة الكلاب التي تسير خلف صيادها الذي راح يشبهه بالذئب في هذه الحالة.

- **الكلاب:**

ويعدّ موضوع الصيد من المواضيع التي أكثر شعراء بني تميم من ذكر الكلاب فيها؛ وكانوا يذكرونها في مجالاتٍ متعددة، وأغراض مختلفة، وذكروها في حديثهم عن رواحلهم، بعد تشبيهها بالثيران الوحشية أو البقر الوحشي، كما كانوا يصوّرون المعركة بين كلاب الصيد والثور الوحشي، فقد وصف أوس بن حجر مشهد كلاب الصيد مع الثور في قوله [4]:

لَهَقـا كـأنَّ سَـرَاتَهُ كُسـيتْ خـرزا نَقـا لـم يعْـدُ أنْ قشَـبا[5]

حتّـى أتـيحَ لـهُ أخـو قـنَصٍ شـهْمٌ يُطِـرُّ ضـواريا كُثُبـا[6]

فالشاعر يصوّر الكلاب في مشهد الصيد، وقد اثلاها الصياد وهي تلاحق ذلك الثور الوحشي، وهو من المشاهد المتكررة في الشعر الجاهلي عموما، وقد صور متمم بن نويرة اليربوعي فرسه في شدة عدوه وسرعته وكأنه ظبي تلاحقه كلاب الصيد في قوله[7]:

ولقدْ غدوتُ على القنيص وصاحبي نهْـدٌ مراكِلُـهُ مِسـحٌ جُرْشُـعُ[8]

ضـافي السـبيب كـأنّ غصـنَ أبـاءةٍ ريّـان ينفُضُـها إذا مـا يُقْـدَعُ[9]

تئِـقُ إذا أرسـلتَهُ مُتقـاذِفٌ طمّـاحُ أشـرافٍ إذا مـا يُنْـزعُ[10]

---

[1] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 66.

[2] . يشلي: يدعو، الضواري: التي تعودت الأخذ، التهليل: الرجوع عن الشيء.

[3] .الأشعث: عنى به القانص في هذا الموضع، السرحان: الذئب، المنصلت: الماضي المنجرد في أمره أي يعدو قدامهن، قيد الرمح: قدره.

[4] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 3.

[5] . اللهق: الأبيض، وهو صفة في الثور، السراة: الظهر، نقا: خيار الشيء، قشب: جلي.

[6] .أخو قنص: صياد، يطر: يسوق كلابه ويدفعها أمامه، كثبا: مجتمعة.

[7] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص97.

[8] .القنيص: الصيد، النهد: التام، المراكل: جمع مركل، وهو موضع رجل الفارس من جنب الفرس، المسح: السريع العدو، وأصل السح الصب، جرشع: غليظ منتفخ.

[9] . الضافي: الطويل، السبيب: شعر الذنب، والناصية والإباءة القصبة، يقدع: يكف.

[10] . التئق: السريع الجري، المتقاذف: الذي يقذف بنفسه في الجري، الأشراف: الأشواط.

وكأنّـــهُ فـــوتَ الجوالـــبِ جانئـــا رَئِـــمٌ تضـــايفهُ كـــلابٌ أخضـــعُ[1]

فقد أراد أن يظهر حال فرسه في سرعته وشدة عدوه، فجاء بصورة الظبي الذي تلاحقه كلاب الصيد، فتأخذ به ها هنا وها هنا للدلالة على شدة جريه.

أما علقمة الفحل فجاء بمشهد كلاب الصيد مع ناقته، إذ يقول[2]:

وناجيـــة أفنـــى ركيـــبَ ضـــلوعها وحاركهـــا تهجّـــرٌ فـــدؤوبُ[3]
وتصـبحُ عـن غِـبِّ السُـرى وكأنهـا مُوَلَّعـة تخشـى القنـيصَ شَـبوبُ[4]
تعفّـقَ بـالأرطى لهـا، وأرادهـا رجـــالٌ نـــبلهم وكَليـــبُ[5]

فهو يرسم مشهدا تبدو فيه ناقته وكأن كلاب الصيد تلاحقها، وتريد النيل منها، إلا أنه يجعلها تبذل جهدا عظيما فتسبق الكلاب والصياد الذي معها، فهو يجعلها تتفوق على كلاب الصيد هذه.

كما غلب على توظيف شعراء بني تميم للكلب في أشعارهم، أنه جاء بغرض الهجاء والتعريض بخصومهم، فالأسود بن يعفر راح يهجو بني نُجَيْحٍ بن مُجَاشِع بن دَرام، فشبّه أباهم بالكلب إذ قال[6]:

أبنـــي نُجـــيحٍ إنّ أمكـــمُ أمَـــةٌ وإنّ أبـــاكمُ وقْـــبُ[7]
أكلـــتْ خبيـــثَ الـــزادِ فاتّخمـــتْ عنـــه وشـــمَّ خمارهـــا الكلـــبُ

وكذلك فعل ضمرة بن ضمرة عندما كان يفخر بفروسيّته وشجاعته؛ فهو يصد كتائب الأعداء بما فيها من كماة أشداء، وأسلحة كثيرة، فراح يعرض بخصومه ويصفهم بالكلاب الطوارد التي لا تستطيع الصمود في وجهه ومقارعته، وذلك في قوله[8]:

ومُشْـعِلَةٍ كـالطير نهْنهـتُ ورْدهـا إذا مـا الجبـانُ يـدَّ عـي وهْـوَ عانِـدُ[1]

---

[1] . الجوالب من قولهم: جلب الفارس على الفرس إذا أرصد له قوما في طريقه يصيحون به في الرهان، جانئا: مكبا، الرئم: الظبي الأبيض.
[2] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 38.
[3] . ناجية: يريد سريعة، ركيب ضلوعها: مقدم السنام، وإذا هزل البعير انحط سنامه، التهجر: السير في الهاجرة.
[4] . مولعة: أي بقرة فيها خطوط سود، وكذلك بقر الوحش. القنيص: الصيد، الشبوب: المسنة.
[5] . التعفق: اللواذ، بذت: سبقت، الكليب: جماعة الكلاب.
[6] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 19.
[7] . وقب: الرجل الأحمق.
[8] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 277.

عليْهـــا الكُمـــاةُ والحديـــدُ فمـــنهمُ مَصـــيدٌ لأطـــرافِ العـــوالي وصـــائِدُ[2]

شـــماطيطُ تهْـــوى للسَّـــوامِ كأنهـــا إذا هبَطـــتْ غُوطـــا كـــلابٌ طـــوارِدُ[3]

- **الأسد:**

عاشت الأسود في أماكن معروفة في الجزيرة العربية، وذُكرت مناطق وجبال بأنّها مأسدة[4]، كما ورد ذكر الأسد كثيراً في أشعار العرب، إلّا أنّ الشعراء لم يذكروه حيواناً معروفاً لديهم، فلم يصفوا أعضاءه أو طريقة عيشه، ولكنّه ذُكر في أحاديث الشعراء عن مفاخرهم، ومفاخر قبائلهم، وانتصاراتها، أو في ذكر مناقبهم ومناقب ممدوحيهم، فشبهوا الفتيان، والفرسان الشجعان، والممدوحين بالأسود أوبأحد ألقابها، مثل؛ الليث، والضيغم.

وإذا كان الأسد أقوى الوحوش، وأعظمها رهبة، فقد ذكره الشعراء للتعبير عن القوّة والشدّة، فقد وصف عدي بن زيد النعمان يوم كان أسيرا، ووصفه وجنوده بالقوة والشجاعة حتى أن الأسود تهابه وتخشاه قائلاً[5]:

ولقـــدْ كـــان ذا جُنـــودٍ وتـــاج ترْهـــبُ الأســـدُ صـــولَهُ والزَّئيـــرا

وغالباً ما يأتي الشعراء على ذكر الأسود في بيان المفاخرة في المعارك والتباهي في البطولات، فقد تفاخر سحيم بن وثيل بنفسه أمام شاعرين يافعين من تميم هما الأبيرد والأحوص معتزا بأبيه وعشيرته، فقال إن مكانهم في القبيلة مكان الليث من عرينه، وذلك في قوله[6]:

أنـــا ابـــنُ جـــلا وطلّـــاع الثّنايـــا متـــى أضـــعُ العَمامـــة تعْرفـــوني[7]

وإنّ مكاننـــا مـــنْ حِمْيـــريٍّ مكـــانُ الليـــثِ مـــن وسَـــطِ العـــرين[8]

كما شبّه أوس بن حجر فضالة بن كلدة بالأسد لمّا رثاه، فقال[1]:

---

[1] . مشعلة: الكتيبة تشعل الحرب، نهنهت: كففت وصددت، وردها: مجموعها، العاند: العنيد.

[2] . الكماة: الفرسان، الحديد: السلاح، العوالي: الرماح..

[3] . شماطيط: متقطعة، السوام: الإبل الراعية، كلاب طوارد: كلاب الصيد.

[4] . أرض مأسدة: من الأسد، أي؛ الأرض التي تكثر فيها الأسود. انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي: ص171-174

[5] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 65.

[6] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 259.

[7] . ابن جلا: ابن رجل بارز، طلاع الثنايا: صفه لأبيه، وتعني نافذ باصر في الأمور.

[8] . حميري: هو حميري بن رياح بن يربوع رأس قبيلة سحيم.

يوْمــا بــأجودَ منْــهُ حــينَ تسْــألُهُ ولا مُغِــبٍّ بتَــرْجِ بــينَ أشْــبالِ[2]
ليــثٌ عليــهِ مــنَ البــرديِّ هِبْريــةٌ كالمرزبــانيِّ عيّــالٌ بآصــالِ[3]

- **الضب:**

قلّ الحديث عن هذا الحيوان عند شعراء بني تميم؛ فنادرا ما يجد الباحث ذكرا له في أشعارهم، وكان " ذكر الأظفار والبراثن يقرن بأوصاف الشعراء لهذا الحيوان، لأن الذي به هو أنه لا يحتفر إلا في مكان صلب حتى لا ينهدم عليه، ويعمق حفرته، ويطيل فيها حتى تفنى برثنه"[4].

وهذه الصورة أكثر ما كانت ترد في استشهادات الشعراء وتصويرهم لحركات هذا الحيوان، فقد حكيت عنه أشياء كثيرة، وأمور غريبة ذكرها الجاحظ في الحيوان[5]، وضربت به الأمثال التي تحمل معان ودلالات مختلفة، فقيل: "أطول ذماء من الضب"[6]، كما يضرب فيه المثل في طول عمره ومقاومته الألم، وقيل: "أضل من ضب"[7]، وغالباً ما كان يأتي الشعراء على ذكر هذا الحيوان في هجائهم أحد ما.

وقد ورد ذكر الضب عند عَبَدة بن الطبيب في معرض هجائه ليحيى بن هزال وابنيه، إذ راح يشبهه بالضب الذي أصاب تلعة ليشرب منها، فيقول[8]:

مــا كنْــتَ أوّلَ ضــبٍّ صــاب تلْعتــه غيــثٌ فــأمْرع واســترختْ بــه الــدار[9]

كما ذهب علقمة الفحل إلى ذمّ مولى، فشبّهه بالضّب الذي يحفر في مكان صلب؛ كي لا ينهدم عليه، فأدمى أنامله، فقال[10]:

تــــراه كــــأنّ الله يجــــدعُ أنْفــــهُ وعينيــهِ إنْ مــولاه ثــابَ لــه وفــرْ[1]

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 105.
[2] . المغب: الأسد الذي يفترس يوما ويترك يوما، ترج: موضع في بيشة وهي مأسدة في بلاد خثعم.
[3] . الهبرية: ما تساقط عليه من أطراف البردي، المرزباني: الرئيس من العجم، عيال: متبختر، الآصال: جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب.
[4] . القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 271.
[5] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 4: 128.
[6] . الميداني، مجمع الأمثال، 1: 237.
[7] . الجاحظ، الحيوان، 6: 135.
[8] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 39.
[9] . التلعة: ما ارتفع من الأرض، وما انهبط وهو من الأضداد، استرخت به الدار: جعلته في رخاء وسعة.
[10] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 110.

تـرى الشـرَّ قـد أفنـى دوائـر وجْهـهِ كَضـبِّ الكُـدى أفنـى أنامـلـه الحُفـرْ[2]

- **الثعلب:**

يعدّ الثعلب من حيوانات الصحراء العربية التي تشترك مع الضباع في نبشها القبور، وولعها بالقتلى، وقد ضربوا المثل في الدناءة والخبث والمكر بها، كما ضربوا بها المثل في الروغان والميل عن الحق والابتعاد عن جادة الصواب[3].

وقد كانت الإشارة إلى الثعالب في شعر بني تميم إشارة موجزة؛ فكانت غالبية المعاني التي أوردها الشعراء في سياقاتها إنما تدور في فلك المعاني آنفة الذكر، فقد أشار إليها أوس بن حجر في حديثه عن القتلى من أعدائه وكيف أن النسور والثعالب أنهالت عليه لتنال منه في قوله[4]:

وأحْمَـرَ جعْـدا عليـهِ النّسـورُ وفـي ضِـبْنِهِ ثعْلَـبٌ مُنْكَسِـرْ[5]

وقد شبّه عدي بن زيد العبادي أعداءه بالثعالب والضباع، فهو يستعير صفة المكر والغدر منها؛ ليدلل على أن أعداءه إنما مكروا له، وأرادوا الغدر به في قوله[6]:

ألا تلـك الثعالـبُ قـد توالـتْ علـيَّ وحالفـتْ عُرْجـا ضـباعا[7]

لِتمضُـغني العُـداةُ فمـرَّ لحمـي وأفـرَقَ مِـنْ حِـذاري أو أتاعـا[8]

وقد أشار عمرو بن الأهتم إلى الثعالب لما تقطعت حبال الود بينه وبين قبيلة بني عامر، في قوله[9]:

ألـمْ تَـرَ مـا بينـي وبـيْنَ ابـن عـامرِ مـن الـودِّ قـد بالـت عليـه الثعالـبُ[10]

---

[1] . يجدع أنفه وعينيه: يفقؤهما، ثاب: رجع.
[2] . أفنى دوائر وجهه: أي ملأ الشر وجهه.
[3] . القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 167.
[4] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 30.
[5] . أحمر: رجل أبيض، الجعد: المجتمع الخلقة الشديد، الضبن: الجنب أو الإبط.
[6] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 35.
[7] . الثعالب والضباع: أعداؤه.
[8] . أذرق وأفرق: سلح، أتاع: قاء.
[9] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 178.
[10] . الجذوع: جمع جذع وهو ساق النخلة، المسبل: المطر..

فالملاحظ أن الشاعر وظف الثعالب هاهنا للدلالة على وضاعة قيمتها في نفسه؛ فعلى الرغم من أن الثعالب كانت تأكل اللحوم وتفترس الصيد، إلا أنّ ضعف مواجهتها للإنسان، وصغر حجمها، واتصافها بالجبن واللؤم، أعطاها قيمة ضئيلة في نظر الشعراء حتى لا تكاد تذكر.

- **الضبع:**

يعدّ الضبع من الحيوانات الوحشية "التي عُرفت بولعها بجيف الموتى، واشتهرت برغبتها في نبش القبور؛ ولهذا اقترنت صورة هذا الحيوان بصورة الفزع من الموت، الذي لا يعرف مصير الجسد بعده"[1]، فكان كثيرا ما يثير مخاوف العربي البدوي في الصحراء، فيتهجس منه حساسية الموت ونهاية الحياة، لاسيما أنه كان على علم بما يقوم به هذا الحيوان.

وقد جاء ذكر هذا الحيوان على ألسنة شعراء بني تميم، ولكن بصورة قليلة، فكان الشعراء إذا أرادوا هجاء عدوهم شبهوه بالضبع؛ وذلك لما يحمله من دلالات تكسبه نوعا من الاحتقار، مثل؛ الخسة والفساد[2].

وقد ذكر متمم بن نويرة هذا الحيوان في معرض أسفه على نفسه أن يموت فتأكله، وهو في هذا يدل على أنه كان على علم، ودراية بما يصنعه هذا الحيوان بجثة الإنسان بعد موته، فيقول[3]:

يـا لهْـفَ مـن عرفـاءَ ذاتِ فليلـةٍ جـاءتْ إلـيَّ علـى ثـلاثٍ تخْمَـعُ[4]

أمّا عدي بن زيد فراح يظهر علمه بصفات الخسة والدناءة في هذا الحيوان؛ فراح يصف أعداءه وتربصهم به؛ إذ شبههم بالضبع في قوله[5]:

ألا تلـك الثعالـبُ قـد توالـتْ علـيَّ وحالفـتْ عُرْجـا ضـباعا[6]

---

[1] . القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 164.
[2] . المصدر نفسه، ص 167.
[3] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 99.
[4] . الفليلة: القطعة من الشعر، تخمع: تظلع، وهنا يصف الضبع، ويصفها بالخمع لأنها في خلقتها عرجاء.
[5] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 35.
[6] . الثعالب والضباع: أعداؤه.

- **<u>الزواحف:</u>**

<u>-الأفعى:</u>

إنّ انتشار الأفاعي في جزيرة العرب، هو الذي جعل الشعراء يمنحونها هذه الأهمية، ويذكرونها في قصائدهم، ويوظفونها في الصور التي دارت في أذهانهم، حتى تعددت أسماؤها ، وأكثر ما يذكرونه منها: الأفعى والأسود، والشجاع والأرقم[1].

ويجد الباحث شعراء بني تميم قد استخدموا الحيّة للتعبير عن قوتهم وبأسهم، إذ راح أوس بن حجر يشبّه نفسه وقومه بالحيات العظام وبالأسود في قوله[2]:

تُبيحُ حِمى ذي العزِّ حينَ تُريدُهُ ونحْمي حمانا بالوشيجِ المُقوَّمِ[3]

يرى النّاسُ منّا جِلْدَ أسودَ سالخ وفَرْوةَ ضَرْغامٍ من الأسْدِ ضيغمِ[4]

فهو يختار العظيم من الحيات ليشبّه بأس قومه وشدتهم على أعدائهم به، لعلمه أن هذا النوع من الحيات يدب الرعب والخوف، والفزع، والهلع في قلب من يراها.

وقد تحدّث الأسود بن يعفر النهشلي عن الخوف من الحية، وكيف أنها تبعث على الرعب في قلب من رآها سواء أكان بشرا، أم حيوانا، أم طيرا، فيقول[5]:

فما لك عينيْ خاريء في هشيمِهِ رأى حيَّةً في جُحْرها فهو يزْجُرُ[6]

غير أن الشاعر نفسه راح يأتي على ذكرها في معرض حديثه عن منازل بني مرة والتعريض بها، إذ أنهم كان قد جاورهم، فأغار على إبله ناس من بكر بن وائل، فاستسعى بني مرة وذكّرهم بالجوار، فقال لهم[7]:

---

[1] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 4: 243.

[2] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 124.

[3] . نبيح: نستبيح، الوشيج: الرمح.

[4] . الأسْود: العظيم من الحيات، يقال له سالخ لأنه يسلخ جلده كل عام.

[5] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 34.

[6] . ابن جلا: ابن رجل بارز، طلاع الثنايا: صفه لأبيه، وتعني نافذ باصر في الأمور.

[7] . المصدر نفسه، ص 47-48.

يـــا عُبـــادِ دعْـــوةً بعْـــدَ هجْمـــةٍ فهـــلْ مـــنكُمُ مـــن قـــوةٍ وزَمـــاع[1]
فتســقوا لجــارِ حــلّ وسْــط بيــوتكم غريـــب وجـــارت تُـــركْنَ جيـــاع[2]
ومـــا كانـــتِ الأجـــوافُ منّـــي مُحيَّـــةً وســـاكنها مـــن غـــدة وأفـــاعي[3]

فهو يأتي على ذكر الأفاعي في هذا الموضع للدلالة على السلب الذي تعرض له وإبله، وكأن الحية هاهنا تشير إلى الغدر أو الضرر الذي وقع عليه.

ولعلم العرب بصفات الحية، وما تمتاز به، راح بعض الشعراء يستخدمونها في تشبيه حيواناتهم بها، إذ ذهب حذيفة بن بدر إلى تشبيه فرسه السريعة بالحية مفتتحا بمقدمة غزلية، إذ يقول[4]:

كَلَفْنـــي قلبـــي ومـــاذا كلّفـــا
هوازنيـــات حلْـــنَ غريفـــا[5]
أقمْـــنَ شـــهْرا بعـــدما تصَـــيَّفا[6]
حتـى إذا مـا طـرد الهيـفُ السَّـفا[7]
قـــرَّبَ شـــولا ودلـــيلا مُخْشـــفا[8]
يـــرفعْنَ بالليـــلِ إذا مـــا أسْـــدفا[9]
أعنـــاقَ جنـــانٍ وهامـــا رجَّفـــا[10]
وأعينـــا بعْـــدَ الكَـــلال ذرَّفـــا
وعنْقـــا بـــاقي الرَّســـيم خيطفـــا[11]

فهو يشبّه هذا الفرس في هذا الموضع بالحية (الجنان) لشدة سرعته وخفة حركته، ويُلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الشعراء كانوا يختارون النوع من الحيات بدقة شديدة؛ ليقيموا هذه العلاقة من المشابهة بينها وبين ما يريدون التشبيه به، إذ إن هذا النوع من الحيات التي تأتي في الأبيات

---

[1]. الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.
[2]. حميري: هو حميري بن رياح بن يربوع رأس قبيلة سحيم.
[3]. الأجواف: منازل بني مرة بن عباد، الغدة طعون الإبل.
[4]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 252.
[5]. هوازنيات: من هوازن، الغريف: موضع في ديار بني بني سعد.
[6]. تصيف: أقام زمن الصيف.
[7]. الهيف: ريح حارة تأتي من اليمن، وهي نكباء تيبس النبات وتعطش الحيوان، السفا: النبات.
[8]. الشول: جمع شائلة، الذنب، والشائلة من الإبل: هي التي حملت سبعة أشهر، مخشف: ذاهب في الأرض، الخشف: الحركة والصوت.
[9]. أسدف: أظلم، والسدفة من الأضداد بمعنى الضوء والظلمة.
[10]. الجنان: نوع من الحيات يضرب إلى الصفرة، وأكحا العينين، رجف: كثير الحركة والسير.
[11]. عنق: ضرب من سير الإبل، الرسيم: السير بسرعة، الخيطف: سرعة انجذاب السير.

ربما كانت معروفة بصفة السرعة والخفة أكثر من غيرها من الحيات الأخرى، ولهذا؛ أراد الشاعر تشبيه الفرس بها لتأكيد صفة السرعة والخفة في فرسه.

كما كان لعدي بن زيد العبادي وجهة نظر أخرى في الحيات والأفاعي، فهو يرى أنها كانت مخلوقة على صورة جمل أو ناقة في بداية خلقها، إلا أن الله عاقبها فبدل صورتها إلى الصورة التي تظهر عليها الآن، وذلك في معرض حديثه عن قصة خلق آدم – عليه السلام – فيقول[1]:

- **الحرباء:**

الحرباء دُويبة إذا بدت الشمس، لجأ بظهره إلى أصول الشجر وشماريخ النخل، فإن رمضت الأرض، ارتفع، ثم هو يقلب بوجهه أبداً مع الشمس حيث دارت حتى تغرب، وكلّما حميت عليه الشمس رأيت جلده يخضر[2]. وكان الشعراء يكنّون بإشارتهم إلى الحرباء عن التقلّب في الرأي والمراوغة، وفي ذلك يقول عدي بن زيد[3]:

ومَنْ لا يُورَّعْ نفْسَهُ يتبَع الهوى ومن يتبَع الحرباء يغشَ القناذعا[4]

وقد شبَّه الأسود بن يعفر النهشلي ناقته وكيف أنها تجوب الصحراء في شدة الحر وقت الظهيرة بالحرباء في قوله[5]:

وجناءَ يصرف ناباها إذا اعتمرت كما تخمطُ فحْلُ الصَّرْمَةِ الهرسُ

لأيا إذا مثل الحرباءِ مُنتصبا من الظهيرةِ يثني جيدها المرسُ

- **الفأرة:**

وقد ذكرها عَبدة بن الطبيب في الدلالة على صغر الشيء، إذ شبّه فم ابناه بها لصغره في قوله[6]:

---

[1] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص159.
[2] . انظر: الحوفي، أحمد محمد، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص209.
[3] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 146.
[4] . القناذع : القبيح من الكلام.
[5] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 39.
[6] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 39.

تـــدعو بُنيَّيْـــكَ عَبَّـــادا وحِذْيَمَـــةَ فـا فـأرةٍ شَـجَّها فـي الجُحْـرِ مِحْفـارُ[1]

- **الحشرات:**

- **النحل:**

عرفت العرب النحل المنتج للعسل ، والعسل من الأغذية الثمينة عند أهل الجاهليّة، وقد استعملوه في المعالجة من أمراض عديدة، نص عليها في كتب الحديث والطب، وقد أطلقت العرب لفظة "العسل"على ما يشبه العسل في الحلاوة أو في الشكل، فقالوا: عسل العرفط، وهو صمغ العرفط لحلاوته، فراحوا يشبهون الأشياء في حلاوتها بالعسل، ومن ذلك قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالكا[2]:

وكنـــتَ إلـــى نفســـي أشـــدَّ حـــلاوةً مـن المـاء بالمـاذيِّ مـن عسَلِ النّحـلِ[3]

- **الذّباب:**

ذكر شعراء بني تميم الذباب في أشعارهم، فقد كان فيه إشارة إلى قلة النوم، فقد شبه أوس بن حجر طباع السوء التي تجلب الهمّ لصاحبها به؛ في أنها تصيبه بالأرق فتُذهب النوم عنه، وكأنها ذباب يحلق فوق رأسه، في قوله[4]:

ولـــيسَ بطـــارق الجـــاراتِ منّـــي ذُبـــــابٌ لا يُنـــــيم ولا يَنـــــامُ[5]

كما أن عدي بن زيد العبادي، راح يشبّه انتشار الشيب في لحيته، بالذباب المنتشر، يظهر فجأة، ثم ينتشر فيضيء ببياضه سواد لحيته كما يلمع ضوء اليراع وسط الظلام، فقال[6]:

وابيضـاضُ السّـوادِ مـنْ نُـذُرِ الشّـــ ـــرِّ وهـــلْ بعْـــدَهُ لأنْـــسِ نـــذيرُ

---

[1] . فا فأرة: يريد صغر أفواههما وضيقهما كفم الفأرة.
[2] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 132.
[3] . الماذي: العسل الأبيض.
[4] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 115.
[5] . يعني بالذباب هنا: السوء والفاحشة.
[6] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 85.

وسْـطُهُ كـاليراع أوْ سُـرُج المجْـ ـدلِ حينـا يخبـو وحينـا يُنيـرُ[1]

- **الجراد:**

إنّ الجراد من الحشرات التي تخاف الشعوب عامة من وجودها وانتشارها، فهي ترمز إلى الفناء، وما دخلت أسراب الجراد منطقة إلّا وأفنت الزرع، وغدا أخضرها يابساً. وقد روى الجاحظ أخباراً كثيرة عن أكل الجراد وطيب لحمه[2]. وسُمّيت الأرض التي لا نبت فيها مجرودة، أي كأنها أصبحت عرضة للجراد، وقد جاء استخدام الشعراء التميميين للجراد في معرض التشبيه، إذ راح أوس بن حجر يشبه كثرة عدد الجيش وكيف أنه يغطي الأرض بالجراد في قوله[3]:

كـأنَّ جيادنـا فـي رعْـن زُمٍّ جـرادٌ قـدْ أطـاع لـهُ الـوَرَاقُ[4]

كما عاد الشاعر نفسه وشبّه أثر السيف وبهاء رونقه وماءه بالأثر الذي يتركه الجراد على الأرض حين يدبّ إليها وهو منحدر من سفح التلة إلى السّهل، فقال[5]:

وذو شُـطُباتٍ قـدَهُ ابـن مُجَـدَّعٍ لـهُ روْنـقٌ ذِرّيُّـهُ يتأكّـلُ[6]

وأخـرجَ منـهُ القـيْنُ أثـرا كأنّـهُ مَـدَبٌ دَبـا سـودٍ سَـرَى وَهْـوَ مُسْـهِلُ[7]

وقد ذهب المخبّل السعدي إلى تشبيه أهل القريّة من بكر بن وائل بصغار الجراد الطريدة، فقال[8]:

إنّ اليمامـة شـرٌّ سـاكنها أهْـلُ القريَّـةِ مـن بنـي ذهْـلِ[9]

قـوْمٌ أبـارَ اللهُ سـادتهمْ فشريدُهم كالقمّلِ الطُّحْـلِ[10]

---

[1] . اليراع: ذباب يطير في الليل كأنه نار، المجدل: جمع مجادل وهو القصر.
[2] .انظر: الجاحظ، الحيوان، 5: 565-566.
[3] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 79.
[4] . الوراق: خضرة الأرض من الحشيش والنبات. أطاع له المرعى: اتسع وأمكن الرعي منه. .
[5] . المصدر نفسه، ص 95.
[6] . الشطبات: جمع شطبة، وهي الطريقة من طرائق السيف، قدّه: قطعه وصنعه، ابن مجدع: قين مشهور بصنع السيوف، الرونق: ماء السيف وصفاؤه وحسنه، الذري: التلأ لؤ واللمعان، يتأكل: يبرق وليمع بشدة.
[7] . الأثر: الفرند والجوهر، الدبا: الجراد، مدبه: طريق زحفه.
[8] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 138.
[9] . القرية: لبني سدوس من بني ذهل من بكر بن وائل، بنو ذهل: هم بنو ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل.
[10] . أبار: أهلك، القمل: صغار الجراد، الطحل: ما كان لونه لون السواد.

- **الطيور:**

عاشت في الجزيرة العربية طيور شتّى، بعضها أرضيّ وبعضها جويّ، وكان للعرب كلف بصيدها، وخبرة بشؤونها، وكثيراً ما تناولوها بالوصف، وكثيراً ما استمدّوا منها ألواناً من الخيال، كما رأينا في وصفهم للإبل والخيل مثلاً، ومن الطير التي ورد ذكرها في أشعار بني تميم:

- **العُقاب:**

العقاب من جوارح الطير[1]، فهي تصطاد الأرانب والثعالب، وتطارد الذئاب والظباء، وهي من الجوارح التي لها شرف ومكانة في مخيّلة العرب، فهي طائر قويّ لا تأكل إلّا من صيدها، وتنقضّ على طرائدها من أعلى، معروفة بحدّة النظر وقوّة السمع[2]، وقوّة الأجنحة، وسرعة الطيران، وتعدّ من الطيور الجارحة شديدة الوحشيّة، تعتصم في دُرى الجبال الشاهقة، وتقترب من النّدى والطلّ والغيم، وقد اشتهرت بوقفتها الشامخة على قمم الآكام، وهي تنفض الضريب والنّدى عن ريشها المتكاثف، استعداداً للانقضاض على الفريسة.

ولسرعة العقاب وشدة طيرانه، راح سلامة بن جندل يشبه انقضاء الشباب وسرعة انتشار الشيب في رأسه به، في قوله[3]:

أودى الشّبابُ حميدا ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأوٌ غيرُ مطلوبِ[4]

ولّى حثيثا وهذا الشيْبُ يطْلُبُهُ لو كانَ يُدركه ركْضَ اليعاقيبِ[5]

وقد شبّه عميرة بن طارق سرعة الخيل في جريها بسرعة العقبان في طيرانها، فيقول[6]:

فما ذُقتُ طعْم النوم حتى رأيتُني أعارضُهُمْ ورْد الخَماسِ النَّواهلْ[7]

بفتيانِ صدْقٍ فوقَ جُرْدٍ كأنَّها طوالِبُ عُقبانٍ عليها الرَّحائلْ[8]

---

[1] . انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 177.
[2] . المصدر نفسه، ص113.
[3] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 91.
[4] . أودى: هلك، التعاجيب: العجائب .
[5] . يطلبه: يتبعه، اليعقوب: ذكر العقاب.
[6] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 223.
[7] . الخماس: الإبل التي ترد في اليوم الخامس من ورودها الأول، وهو أخبث الأوراد، النواهل: العطاش.
[8] . الجرد: الخيل.

- **النُّسور:**

النسر من سباع الطير[1] التي أشار إليها الشعراء كثيراً، وليس من جوارحها، فهو لا يصيد إلّا في النُدر، فلا مخالب له، بل أظفار، ولا يقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته، كما تفعل العقاب بمخالبها، وليس له سلاح سوى مناقيره وأظفاره، وإنّما يقوى بقوّة بدنه[2].

وقد عرفت العرب النّسر وذكروه في شعرهم، وعرفوا أنّه يتتبّع الجيوش، ليطعم من لحوم القتلى[3]، وقد أورد شعراء بني تميم عددا من الصور التي تظهر كيف أن النسر كان يتتبع هذه الجيوش فتكون جثث القتلى طعاما له، ومنها قول أوس بن حجر[4]:

وقتْلــى كمثْــلِ جُــذوع النخيــلِ تغَشّــاهُمُ مُسْــبلٌ مُنْهَمِــرْ[5]

وأحْمَــرَ جعْــدا عليــهِ النّســورُ وفــي ضِــبْنِهِ ثعْلَــبٌ مُنْكَسِــرْ[6]

وكذلك يبيّن عدي بن زيد أن هذه النسور كان تغنم بقتلى الحروب ليكونوا طعاما لها في قوله[7]:

وصَــريعٍ مُضــرَّجٍ بــدماءٍ أجْزَرَتْــهُ قنــا الحــروبِ النســورا

- **الصّقر:**

الصقر من جوارح الطيور، وعدّه الجاحظ من جوارح الملوك، وهو من الحيوان الذي يدرّب فيستجيب[8]، وتسمّي العرب كلّ طائر يصيد صقراً خلا النسر والعقاب[9]، وتسمّيه الأجدل والأكدر، وقد ذهب الشعراء إلى التشبيه بالصقر؛ إذ شبه متمم بن نويرة عيني أخيه مالك لمّا رثاه بقوله[10]:

---

[1] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 1: 28-29، و 2: 231.
[2] . المصدر نفسه، 6: 334-402.
[3] . المصدر نفسه، 7: 21.
[4] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 30.
[5] . الجذوع: جمع جذع وهو ساق النخلة، المسبل: المطر..
[6] . أحمر: رجل أبيض. الجعد: المجتمع الخلقة الشديد. الضبن: الجنب أو الإبط.
[7] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 66.
[8] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 6 : 478.
[9] . انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص185، وانظر أيضاً: الصالحي، عباس مصطفى، الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ص173.
[10] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 126.

فلمّـا اسـتوى كالبـدْر بـين شُـعوبهِ وأمَّـتْ بهادِيهـا فجـاج المهالـكِ[1]
بعينـيّ قطـاميّ تـأوَّبَ مَرْقبـا فبـات بـهِ كأنَّـهْ عـين فـاركِ[2]

فهو يصف مالكا بأنه متيقظ؛ لذا عمد إلى تشبيه عينيه بعيني الصقر الذي يرقب ما حوله ليلا.

كما ذهب الأسود بن يعفر إلى تشبيه عينيه بعيني الصقر المراقب في قوله[3]:

تلقَّنـي الـرّيحُ علـى رأسِـهِ كـأنَّني صـقْرٌ علـى مَرقـبِ

- **الغُراب:**

للغراب تاريخ طويل في الشعر، فهو من الطيور الشائعة، فلصوته وللونه الأسود دلالات عميقة، وقد استخدمه الشعراء في مواضع عدة، إلّا أنّ أغلب الحديث عنه كان في باب التشاؤم، وكان من أشأم الطيور عند الجاهليين، وليس في الأرض شيء يتشاءم به إلّا والغراب أشأم منه وأنكد، قال الجاحظ: "وليس في الأرض بارح ولا نطيح، ولا قعيد، ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه"[4]، وكانوا يتطيّرون به، ويتشاءمون بكلّ جزء منه، ولذا؛ اشتقّوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب، وتشاءموا من صوته وصياحه، واعتبروا هذا الصياح نذير البعد، كما سمّوا الغراب "حاتماً"؛ لأنه يؤذن بالفراق المحتّم إذا نعب، ولأنه لا يوجد في موضع خيامهم يتقمّم، إلّا عند مباينتهم لمساكنهم، ومزايلتهم لدورهم[5]، ومن إشارات الشعراء للتشاؤم من الغراب قول علقمة الفحل[6]:

ومـنْ تعـرَّضَ للغربـانِ يزْجُرُهـا علـى سـلامتهِ لابُـدَّ مشـؤومُ[7]

كما أن بعضهم اتخذ من صوت الغراب تذكيراً بحالة الغربة والفرقة التي ألمّت بالشاعر بعد رحيله عن الأهل والديار، يقول لقيط بن زرارة[8]:

---

[1] . شعوبه: أطرافه. الفجاج: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين.
[2] . القطامي: الصقر. تأوب مرقبا: أتاه ليلا. الفارك: المرأة التي تبغض زوجها.
[3] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 22.
[4] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 3: 438.
[5] . انظر: المصدر نفسه، 3: 438.
[6] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 67.
[7] . يزجرها: يتفاءل بها، ويتطير.
[8] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 312.

أمِـــنْ دِمْنَـــةٍ أقفـــرتْ بالجِنـــابِ إلـــى السَّـفْح بـين المَـلا فالهضـابِ[1]
بكيـــــتَ لعرْفـــــان آياتِهـــــا وهـــاجَ لـــك الشـــوقَ نعْـــبُ الغـــرابِ

- **البوم:**

البوم طائرٌ يَنشَطُ بصورةٍ رئيسيةٍ ليلاً[2]، ويسكن الخراب، ويضرب به المثل في الشؤم وقُبح الصورة والصوت، يستعينُ بحاسةِ سمعِهِ القويّةِ وبعينيهِ الكبيرتين اللتين توفرّان له رؤيةً ليليّةً جيّدةً في اصطيادِ الفئران والأرانبِ وغيرها من الحيوانات الصغيرة.

واعتقدت العرب أنّها من جنس الصدى والهامة، وهما من أدلّة الموت، ولهذا كان يأتي ذكرها في الحديث عن الصحاري الموحشة التي يخشى الرّحالة السير فيها، فيجعلون البوم وما شاكله من الحيوانات أنيساً لسالكها[3]، وقد اتّخذ بعض الشعراء من ذلك دليلاً من أدلّة الفخر والبطولة، لقدرته على ارتياد هذه الأماكن التي يخشاها الكثير من الناس، ومن ذلك قول الأسود بن يعفر[4]:

وسـمْحةِ المشـي شـملال قطعتُ بهـا أرْضـا يحـارُ بهـا الهـادونَ ديْمومـا[5]
مهامهـــا وخروقـــا لا أنـــيس بهـــا إلا الضـــوابحُ والأصـــداءُ والبـــومُ

- **الحمام:**

اقترن ذكر الحمام في الشعر الجاهليّ غالباً مع البين والفراق، وحديث البكاء والنواح، فكثير من الشعراء صوّروها على الغصون تشجو، فكانت تذكرّهم بغربتهم، وبأشخاص رحلوا عنهم وفارقوهم، فمنهم من أثارت شجونه وأحزنته، ومنهم من تعاطف معها، وكانت بينهما ألفة وشجن[6]، ومنه قول عبدة بن الطبيب الذي جعل الحمام يغرد باكيا[7]:

---

[1] . الجناب: موضع من منازل بني مازن في تميم. الملا: قرية لبني مالك بن عمرو بن ثمامة، وهي أرض ليست فيها حجارة.
[2] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 5: 402.
[3] . انظر: الحوفي، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 193،194.
[4] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 60.
[5] . الشملال: السريعة.
[6] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 3: 147.
[7] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 37.

تـداركتُ عبـد الله قـد ثُـلَّ عرشُـهُ وقـدْ علِقـتْ فـي كفّـه الحابـل اليـدُ[1]

سـمَوْتُ لـهُ بالرّكْـبِ حتـى لقيتُـهُ بتيمـارَ يبكيـهِ الحَمـامُ المغـرِّدُ[2]

ويذكر عميرة بن طارق في معرض وصفه لرحلته على ناقته، أنه أوردها ماء لتشرب، ثم راح يصف أن هذا الماء قد كسي من ريش الحمام التي شبّهها بالسهام التي سقطت من السماء في إشارة لكثرتها، يقول[3]:

وكلَّفْـتُ مـا عنـدي عـلاةً رجيلـة مراحـا وفيهـا جُـرْأةٌ وتخايـلْ[4]

مُـذْكَّرَةٌ تَمْضـي إذا الليـلُ جنَّهـا تَنـائفَ فيهـا معْلـمٌ ومَجاهـلْ[5]

فأوردْتهـا مـاءً كسـى الـدِّمْنُ فوقـهُ وريـشُ الحمـامِ كالسِّـهامِ النَّواصـلْ[6]

- **القطا:**

القطا طير معروف، شبيه بالحمام[7]، وهو من الطيور التي تعيش على شكل جماعات متصلة، وقد ضُرب المثل به للقدرة على الهداية وعدم الضياع، فقالوا: "أهدى من قطاة"[8]، ومن الأمثال المشهورة التي قالها العرب: "أصدق من قطاة"؛ لأن لها صوتاً واحداً لا تغيّره، و"أنسب من قطاة"؛ لأنها إذا صوّتت عُرفت[9].

وقد وجد الشعراء في القطاة مادة ثرّة للوصف والتشبيه، وذلك لما تتمتّع به من خصائص فريدة بعضها يرجع إلى هيئة تكوينها، والبعض الآخر يعود إلى صفاتها كالسرعة في الطيران، والهداية في المجاهل ومعرفة مواضع المياه، والتؤدة في المشي، والتبكير في الورد إلى الماء.

---

[1] . الحابل: الذي ينصب الحبال للصيد. ثل عرشه: ذهب عزه، وهدم ملكه.
[2] . تيمار: جبل بنواحي تيمن.
[3] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 223.
[4] . علاة: ناقة شديدة. رجيلة: سريعة وقوية.
[5] . جنها: أظلم عليها. تنائف: الأرض فيها معالم ومجاهل. مذكرة: ناقة مذكرة الخلق.
[6] . النواصل: الساقطة.
[7] . انظر: الحوفي، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص119. وانظر أيضاً: الصالحي، عباس مصطفى، الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ص131 - 132.
[8] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 5: 573، و 7: 10، وانظر أيضاً: الحوفي، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص200.
[9] . انظر: الجاحظ، الحيوان، 1: 573، و 7: 10.

وقد جاء حديث بعض الشعراء عن القطا في مقدماتهم الطللية، إذ تناولوا روضة كانت تعجّ بأسراب القطا تشرب منها، إلا أنها الآن باتت خالية ممن سكنها، حتى إن هذه القطا لم تعد تردها، يقول أوس بن مغراء في ذلك[1]:

عفتْ روْضةُ السَّقيا من الحيِّ بعْدنا فأوقتهـــا فكتلـــة فخُـــدورها
فـروضُ القطـا بعْـدَ التّسـاكن حقْبـة قفـارا كـأن لـم تلـقَ حيّـا يرودهـا

وقد كان صوت القطا من الأشياء التي كان الشعراء يحنون إليها، لاسيما إذا ابتعدوا عن ديارهم وفارقوها؛ فقد ذكر عُميرة بن طارق حنينه إلى أرض نجد وصوت القطا في قوله[2]:

وإنـي أحـبُّ الرَّمْـثَ مـن أرْضِ عاقـلٍ وصوتَ القطا في الطَّلِّ والمَطرِ الضَّرْبِ[3]
فـإن أكُ مـن نجْـدٍ سـقى اللهُ أهلـهُ بمَنانِـةٍ منْـهُ فقلبـي علـى قُـرْبِ[4]

كما ذكرها أوس بن حجر في ورودها الماء، فشبه بها ناقته؛ إذ راح يجعل ناقته ترد الماء بعد ضروب مختلفة من السير، وذلك؛ لبعده كفعل القطا التي تنعطف ثانية لوروده، يقول[5]:

لـــهُ ثـــأدٌ يهتـــزُّ جعْـــدٌ كأنَّـــهُ مُخـالِط أرجـاءِ العيـون القراطِـفُ[6]
فأوردهـا التّقريـبُ والشـدُّ مـنْهلا قطـاهُ مُعيـدٌ كـرَّةَ الـورْدِ عـاطِفُ

وراح عبدة بن الطبيب يصف الموضع الذي تبيض فيه القطا، أثناء حديثه عن فرسه التي أخذت تقطع الفلوات المقفرة، فيقول[7]:

ومـــا يـــزالُ لهـــا شـــأوٌ يُـــوقّرُهُ مُحـرَّفٌ مـن سـيور الغـرْفِ مجـدولُ[8]
إذا تجاهـدَ سـيْرُ القـومِ فـي شَـرَكٍ كإنـــه شَـــطبٌ بالسَّـــرو مرْمـــولُ[9]
نهْجٍ تـرى حوْلـهُ بـيْضَ القطـا قُبَصَـاً كأنَّـــهُ بالأفـــاحيص الحواجيـــلُ[10]

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 99.
[2] . المصدر نفسه، ص 227.
[3] . الرمث: نبات في الفلوات.
[4] . منانة: سحابة كثيرة المطر.
[5] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص69.
[6] . الثأد: الثرى والندى نفسه، التراب الجعد: هو الندى اللين. القراطف: جمع قرطفة وهي القطيفة المخملة.
[7] . عبدة بن الطبيب، ديوان عبدة بن الطبيب، ص 61.
[8] . الشأو: الطلق، يوقره: يكف عنه، المحرف: الزمام والجديل، الغرف: ما دبغ بالتمر ودقيق الشعير.
[9] . تجاهد: اشتدّ، الشرك: الطريق المنقاد، الواحدة: شركة، الشطب: سعف النخل تتخذ من ليطه الحصر تعملها النساء.
[10] . النهج: الطريق البين، القبص: جمع قبصة، وهي الأخذ بأطراف الأصابع، الأفاحيص: الموضع الذي تبيض فيه القطا، الحواجيل: القوارير، الواحدة حوجلة.

- **الديك:**

حاز الديك على شطر من الوصف عند شعراء بني تميم، فقد كان واحدا من أدوات الطبيعة الصائتة التي عمدوا إلى توظيفها على نحو مختلف عمّا سبق، فقد وقفوا على صياحه، وجمال ريشه، واختياله في المشي.

وقد جاء توظيف الديك عند أوس بن حجر من خلال وصفه ناقته، فهي لا تهدأ، ولا تسكن، وقد أجهدها، فغدت كأنما ديك يناوشها فلا تثبت على حال، فيقول[1]:

تُلقي الجِرانَ وتَقْلَوْلي إذا بركتْ كما تيسَّرَ للنَّقْر المها النُّورُ[2]

كأن هرّاً جَنيباً تحتَ غُرْضَتِها واصطكّ ديكٌ برجْليْها وخِنْزيرُ[3]

بل إن الديك في أشعارهم أخذ طابع الدلالة على استيقاظ الشاعر باكرا، وعلى نشاطه وتفوقه في ميدانه، فعَبدة بن الطبيب يفخر بأنه يغدو قبل صياح الديك في قوله[4]:

وقد غدوتُ وقِرنُ الشمس مُنفتقٌ ودونهُ من سوادِ الليل تجليلُ[5]

إذا أشرف الدّيكُ يدعو بعضَ أسْرتهِ لدى الصّباح وهم قومٌ معازيلُ[6]

وهو المعنى ذاته الذي راح عدي بن زيد العبادي يذكره في قوله[7]:

قدْ تبطَّنْتُ وتحتي جسْرةٌ تخْلِطُ المشْيَ تُعادي كالفرَدْ[8]

مصْرَخَ الدّيكِ بكفّيْ جُرْشُعٍ سابغٌ أسْفلُهُ ضخْمُ الكتَدْ[9]

فهو يتفاخر أنه دخل إلى بطن هذا الوادي على هذه الناقة الجسرة في السّحر وقت صياح الديك، غير أن الأسود بن يعفر النهشلي أخذ يوظف صياح الديك في دلالته على البكور ليس في قطع

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 42.

[2] . الجران: مقدمة العنق من المذبح إلى النحر. تقلولي: تقلق في موضعها وتتجافى عنه وتريغ النفور. النفر: النفار. النور: جمع نوار، وهي النافرة.

[3] . جنيب: مجنوب، وجنب الدابة أي قادها إلى جنبه. الغرض والغرضة واحد وهو حزام الرحل. اصطك: احتك. يريد كأن هذه الحيوانات تنهشها وتثيرها فهي لا تهدأ ولا تفتر.

[4] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 78-79.

[5] . تجليل: الباس، كأنه متعظ بجلال من سواد الليل.

[6] . أسرته: قومه ويعني الديوك. المعازيل: الذين لا سلاح لهم، وهم الدجاج هنا.

[7] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 44.

[8] . تنبطن الشيء: دخل بطنه. الفرد: الواحد.

[9] . الجرشع: عظيم الصدر. سابغ: واسع. الكتد: الكتف.

المفازات والفلوات على ناقة جسرة، وإنما في شرب الخمر ومباكرة اللذات قبل صياح الدّيكة، إذ يقول[1]:

وقهْـــــوةٍ صـــــهْباءَ باكرْتُهـــــا بجُهْمـــــةٍ والـــــديكُ لـــــم ينعـــــبِ[2]

وقد ذكر بعض شعراء بني تميم طيوراً أخرى في أشعارهم، إلا أن ورودها كان نادراً، فقد أشار عبدة بن الطبيب إلى الدجاج عندما كان يصف فرشاً اتكأ عليها، وكانت موشّاة ببعض الصّور والرسوم؛ ومنها رسم الدجاج[3].

وبهذا، فإنّ الطيور قد نالت نصيباً وافراً من شعر الدراسة، حيث استمدّ الشعراء التميميون في العصر الجاهلي من أوصافها وأشكالها، وألوانها، وطباعها ما وجدوه ملائماً للمواضيع المناسبة التي أرادوا الحديث عنها، ووظفوا صورها المتنوّعة في خدمة معانيهم.

---

[1] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 22.
[2] . الجهمة: بقية من سواد الليل في آخره. ينعب: يصوت.
[3] . انظر: عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 80.

الفصل الثالث

الخصائص الفنية

المبحث الأول: النسيج اللغوي:

- **أولا: الألفاظ:**

الكلمة هي عنصر أساسيّ من عناصر البناء الفنيّ، ولأنّها عامل من أقوى العوامل التي تتوقف عليها القيمة الجمالية لأيّ عمل أدبيّ، فقد حرص الشعراء منذ القدم على أن تكون أعذب لفظاً، وأصحّ معنى، وأكثر اتساقاً مع الجملة التي ترد فيها، " فالأداء الفنيّ الجميل أساسه الدقّة في اختيار الكلمة، ووضعها في بيئتها، وامتزاجها مع معناها، إذ ليس هو في مجموعه إلّا طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبّرة"[1].

والشاعر المبدع والأديب الصادق هو ذلك الذي يستطيع أن يوفّر للكلمة بيئة صالحة، ومناخاً مناسباً من التلاؤم، بحيث يكون للكلمة الواحدة من الفضل والمزية في موقع من مواقع الكلام ما ليس للكلمة ذاتها في موقع آخر، وبهذا يستطيع الشاعر الموهوب " أن يؤلّف من الكلمات العاديّة قطعاً سحريّة يهبها من إبداعه، ويضفي عليها من فنّه وروحه ما يمدّها بزخمٍ حيويٍّ يؤهلها لأن تلامس مشاعره، وتعانق عواطفه، وتمسّ شغاف قلبه، وتدور حول مداره"[2].

ومن هنا، يجد الباحث حرص الشاعر على اختيار ألفاظه، وانتقاء مفرداته، لأنّ الكلمة هي مادّة الأدب، ووحدة البناء الفنّيّ للشعر، وهي تؤدّي دورها في ترجمة العواطف الوجدانية، والتعبير عنها بصورةٍ دقيقة وأمينة، يساعدها في ذلك كلّه ما تتمتع به من أبعاد نفسيّة، وبما تضفي من إيحاءاتها على النصّ أبعاداً تُغنيه.

إنّ انتقاء الألفاظ، وتخيّر الكلمات، والعناية بالأسلوب الشعريّ موضوع حظي باهتمام النّقاد العرب منذ أمد طويل، فابن طباطبا في عيار الشعر، يرى أن الشعر يجب أن يكون: " كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمنم، والعقد المنظم، واللباس اللائق، فتسابق ألفاظه معانيه "[3]، ونجد مثل هذه العناية بالألفاظ والاهتمام بالمفردات عند أبي هلال العسكريّ، فيقول: " وليس الشأن في إيراد المعاني، لأنّ المعاني يعرفها العربيّ، والعجميّ، والقرويّ، والبدويّ، وإنّما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحّة السبك والتركيب، والخلوّ من أود

---

[1] . بلبع، عبد الحكيم (1975)، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، ط2، القاهرة: طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ص 214.
[2] . بدوي، عبده (1975)، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 275.
[3] . ابن طباطبا، عيار الشعر، ص4.

النظم والتأليف، وليس يطلب من المعنى إلّا أن يكون صواباً "[1]، وعليه؛ فإنّ النقّاد العرب قد تنبّهوا إلى ضرورة الاهتمام بالكلمة؛ لما لها من أثر بالغ وأهميّة كبرى في العمل الأدبي، والأدب الجيّد والشعر الخالد لا تصنعه الكلمة وحدها، بل هو ذلك الذي يحرص فيه صاحبه على التوفيق بين اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون، والعناية بهما على المستوى نفسه، " بحيث يتعذّر الفصل بينهما لشدّة تلاحمهما وانسجامهما لتحقيق القيمة الجماليّة الي تحقق الإمتاع الفني، الذي هو غاية الأدب ومبتغاه"[2].

فالكلمة المجرّدة ليست قادرة على صنع الأدب الجيّد، فلا بُدّ لها من التضافر مع عدّة عناصر، مثل؛ الموسيقى والصور والمضمون؛ لتكون قادرة على إعطاء الأسلوب للقصيدة الشعرية باتّساقها مع مجاوراتها من المفردات، وتآلف حروفها وموسيقاها الداخليّة والخارجيّة، ولذلك؛ فإنّ الحديث عن لغة شاعر لا ينفصل عن الحديث عن باقي عناصر القصيدة، وما عمليّة الفصل بين هذه الأمور سوى عملية استوجبتها متطلّبات الدراسة فقط.

ولا شكّ أنّ شعراء بني تميم أدركوا كلّ هذا، وأولوا اختيارهم للألفاظ، وانتقاءهم للمفردات والكلمات عناية كبيرة، واستطاعوا أن يمنحوها ظلالاً موحيةً لتعبّر عن سابق انفعالاتهم، وعميق إحساسهم بتجربتهم الشعريّة.

وسيتناول هذا المبحث ظاهرة لغوية نلحظها في شعر الطبيعة عند شعراء الدراسة، وهي: وعورة الألفاظ، وكثرة الغريب في شعر الطبيعة عندهم.

لقد كثُرت الألفاظ الوعرة والغريبة في شعر شعراء بني تميم، ولعلّ هذا ما فرضته طبيعة موضوعات الدراسة ذاتها، ففي موضوعات الوصف عامة، ووصف الحيوان بصورة خاصة، تطالعنا وعورة الألفاظ وغرابتها بشكل لافت للنظر، ولعلّ ذلك يعود إلى طبيعة العلاقة في الشعر بين اللغة والموضوع، فثمّة علاقة بين الألفاظ والموضوع؛ بحيث تختلف الألفاظ سهولة وصعوبةً باختلاف الموضوع الذي ينظم فيه.

---

[1] . العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت بعد 395هـ)، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، (تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء االكتب العربية، القاهرة، 1952م، ص57 - 58.

[2] . بلبع، عبد الحكيم، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، ص 224.

ومن الأمثلة الدالة على وعورة الألفاظ عند شعراء بني تميم في وصفهم للطبيعة بشقيها الصائت والصامت قول متمم بن نويرة اليربوعي مادحاً أخاه مالكاً؛ إذ راح يصف ناقته للدلالة على كرم أخيه، فغدت الناقة وكأنها هي أداة الممدوح في الكرم، فيقول[1]:

وراحتْ لقاحُ الحيّ جُدبا تسوقها شآميةٌ تزوي الوجوهَ سفوعُ[2]

وكذلك قول علقمة الفحل الذي راح يطلب من ناقته أن تحمله ليلحق بالقوم الذين ابتعدوا عنه، ولعلمه أن الطريق شاقة وطويلة ووعرة؛ أراد من ناقته أن تكون ناقة شديدة مكتنزة اللحم، فيقول[3]:

هل تُلحقني بأولى القومِ، إذ شحطوا جُلذيةٍ كأتانِ الضّحلِ عُلكومُ[4]
تُلاحظ السوط شَزْرا وهي ضامزة كما توجَّس طاوي الكشح موشومُ[5]

ومنه أيضاً، قول عمرو بن الأهتم في ناقته، إذ اختار أن يجوب الصحاري وتسفعه حرور الصيف على ظهرها، فيقول[6]:

وكائنْ من مصيف لا تراني أعرّسُ فيه تسفعني الحَرورُ[7]
على أقتادِ ذعْلبةٍ إذا ما أدِيثَتْ مَيَّثتْ أخرى حَسِيرُ[8]

ومن أمثلة هذه الألفاظ الغريبة ما قاله عدي بن زيد العبادي واصفاً فرسه[9]:

ولقدْ أغدو ويغْدو صُحْبتي بكميْتٍ كَعُكاظيِّ الأدْمِ[10]
فضلَ الخيْلَ بعرْقٍ صالحٍ بيْنَ يعْبوبٍ ومن آلِ سَحَمِ[11]
فتنامتْ أفحُلٌ نُجْبٌ بهِ فهوَ كالتمثالِ جيَّاشٌ هَزِمِ[12]

---

[1] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 104.
[2] . اللقاح: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب. وراحت: أي راحت اللفاح إلى أهلها من ذدة الريح والبرد وذلك أيام الجدب. شآمية: ريح شآمية. تزوي: تقبض من شدتها. السفوع: التي تسفع الوجه.
[3] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 37.
[4] .أوللي القوم: أولهم. شحطوا: بعدوا. جلذية: ناقة شديدة. الأتان: صخرة تكون في الماء، فهو أصلب لها. العلكوم: كثير اللحم.
[5] . تلاحظ السوط شزرا: تنظر إليه بمؤخر عينها خوفا منه. ضامزة: أي ضامة لحييها لا تجتر وذلك أسرع لها.
[6] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 172.
[7] . المصيف: حيث يقيم في الصيف. التعريس: النزول من آخر الليل. تسفعني: تغير لوني. الحرور: الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار.
[8] . الأقتاد: خشب الرحل. الذعلبة: الناقة الخفيفة التامة الخلق. أديثت: لينت بالرياضة، ميثت: سارت سيرا سهلا، الميثاء: الأرض السهلة.
[9] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 74.
[10] . الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأحمر والأسود. الأدم: جمع أديم، وهو الجلد. وأديم عكاظي: منسوب إلى سوق عكاظ، وهو مما إليها فبيع بها.
[11] . اليعبوب: صفة للفرس العداء.
[12] . فرس هزم: له صهيل مثل هزمة الرعد.

فطبيعة الحيـاة العربية، وقسوة الظروف الطبيعيـة فـي جزيرة العرب جعلت العربـي يستحبّ فـي خيله الصفات الكريمة؛ لتكون قادرة على تلبية كل مطلب، فراح يختار ألفاظه من هذه البيئـة التـي يعاينها، ويعيش فيها.

وكذلك ذهب علقمة الفحل إلى التفصيل في وصف فرسه لتناسب الغزو الذي يزمع عليه، فقال[1]:

وقـدْ أقـودُ أمـامَ الحـيِّ سـلْهبةً ... يهدي بها نَسَبٌ فـي الحيِّ معلومُ[2]

لا فـي شـظاها ولا أرسـاغها عَنَـتٌ ... ولا السَّـنابكُ أفنـاهنَّ تقلـيمُ[3]

سُـلّاءةٌ كعصـا النهـديّ غُـلَّ بهـا ... ذو فيئـةٍ مـن نـوى قُـرّانَ معجـومُ[4]

ومنه قول أوس بن حجر في فرسه التي راح يصفها بالمطواعة التي لا تجبر صاحبها على أن يضربها بالسوط في قوله[5]:

وخـارجيٍّ يَـزُمُّ الألْـفَ مُعترضـا ... وهوْنَـةً ذاتِ شِـمراخٍ وأحْجـالِ[6]

وكذلك قول عدي بن زيد العبادي يصف بياض حمار وحشي [7]:

فـانبرى أحْقَـبُ يتلـو أربعـا ... لاحـقُ الأيطـلِ فـي قـاعٍ جَلَـدْ[8]

صـيِّبُ التعشـير زمـزامُ الضّـحى ... ناسِـلٌ عِقَّتَـهُ مثْـلُ المَسَـدْ[9]

يُغْـرقُ المطـرودَ منـهُ وابـلٌ ... ضابطُ الوعْثِ ضَبُوعٌ فـي الجَدَدْ[10]

والأمثلة كثيرة ومتعددة على وعورة الألفاظ وغرابتها في وصف الطبيعة، ولقد عرضتها الدراسة في الفصول السابقة، ولعل طبيعة هذه الألفاظ بما تمتاز به من هذه الوعورة وتلك الغرابة تأتي منسجمة مع البيئة التي عاش فيها شعراء بني تميم، كما أنها تأتي متّسقة مع طبيعة موضوع الوصف هنا.

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 73-74.
[2] . السلهبة: الفرس الطويلة.
[3] . الشظى: عظم لاصق بالذراع. السنابك: جمع سنبك، وهو مقدم طرف الحافر.
[4] . سلاءة: شوكة النخلة. النهدي: شيخ فني وكبر.
[5] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 103.
[6] . الخارجي من الخيل هو ما لاعرق له في الجودة يخرج سابقا، وهو أيضا كل من فاق جنسه. الهونة: الفرس المطواعة. والشمراخ: غرة الفرس إذا اتسعت وطالت.
[7] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 44.
[8] . الأحقب: الحمار الوحشي في بطنه بياض. يتلو: يطارد. الأيطل: الخاصرة.
[9] . الصيب: الحسن. التعشير: نهيق الحمار. الثقة: الأصواف والأوبار. المسد: حبل من ليف أو الحبل المحك الفتل.
[10] . الوعث: المكان السهل الكثير الدهس. ضبع البعير ضبوعا: أسرع في سيره فمد ضبعيه. الجدد: طرق تخالف لون الجبل.

ويتّضح من دراسة ألفاظ شعراء بني تميم، أنهم كانوا يؤثرون في وصف حيواناتهم اللفظ الجزل والغريب، كما كانت أغلب ألفاظهم في وصفهم للطبيعة بشقّيها الصامت والصائت ألفاظاً وعرةً شائكةً، منتزعةً من لغة البادية بما فيها من خشونة وجفاء – كما يبدو لنا – ولا شكّ بأنّ ألفاظهم تلك كانت مألوفةً مستعملةً لديهم، بدليل كثرة ورودها في أشعار أبناء القبيلة عامة، حيث يؤكد أحد الباحثين أنّ اللفظ الغريب في شعر الجاهليين: " وإذا كان فيه غرابة، فليس منشؤها التعقيد، وإنّما غرابة قاموسهم اللغوي بالقياس إلى قاموسنا، وبعدنا عن مألوف الحياة العربية"[1].

ويعزز عبد العزيز نبوي هذا الرأي بقوله: " وجلّ ما يمكن قوله أن ما يبدو من الألفاظ الجاهلية صعباً لا يعدو أن يكون ألفاظاً ماتت من الاستعمال اليومي أو الأدبي في عصرنا، إمّا لأنها أسماء لمسمياتٍ اختفت من الحياة الجديدة التي ابتعدت عن البادية، كالنباتات أو أجزاء الحيوانات، أو لأنها اختفت نتيجةً للتطور الحضاري للغة "[2]

- **ثانيا: التكرار:**

يُعدّ التكرار سمة من السمات الأسلوبية التي شاعت في الشعر العربي؛ قديمه وحديثه، وتذهب المعاجم اللغوية إلى أنّ التكرار من كرّر الشيء، تكريراً وتكراراً، وكركرة وتِكرّة، بمعنى إعادته مرة بعد أخرى، ويقال: كررتُ عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه، وكركرته عن كذا كركرة؛ إذا رددته، والكرّ: الرجوع على الشيء، والتكرار مصدر والتكرير اسم[3].

أما التكرار في الاصطلاح فهو" إعادة عناصر العمل الأدبي مرةً أو مرات عديدة، وهو أساس الإيقاع بصوره جميعها"[4].

وعن أهمية التكرار يقول محمد مفتاح: " إنَّ تكرارَ الأصوات والكلمات والتراكيب ليس ضرورياً لتؤدِّي الجمل وظيفتها المعنوية والتداولية، ولكنه (شرط كمال) أو "محسِّنٌ" أو "لعبٌ لغويّ "[5]،

---

[1] . نوفل، سيد، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص70

[2] . نبوي، عبد العزيز (2002)، دراسات في الأدب الجاهلي، القاهرة: مؤسسة المختار، ص233.

[3] . ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرر).

[4] . وهبه، مجدي وكامل المهندس (1979)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت: مكتبة لبنان، ص66.

[5] . مفتاح، محمد، (1992)، تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص، ط3، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص 39.

ثم يستدرك على بيان هذه الأهمية فيقول: " ومع ذلك فإنَّ التكرار يقوم بدور كبير في الخطاب الشعريّ أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعية "[1].

أما عن دوافع التكرار لدى المحدثين فإننا نجد مصطفى السعدني يقسمها إلى قسمين: دوافع نفسية، وأخرى فنية، أما النفسية " فإنها ذات وظيفة مزدوجة تجمع الشاعر والمتلقي على سواء، فمن ناحية الشاعر يعني التكرار الإلحاح في العبارة على معنى شعوري يبرز من بين عناصر الموقف الشعري أكثر من غيره، وربما يرجع ذلك إلى تميزه عن سائر العناصر بالفاعلية، ومن ثم يأتي التكرار لتميزه بالأداء"[2]، أما الدوافع الفنية فإنه يرى أنها تكمن في " تحقيق النغمية والرمز لأسلوبه "[3].

فالتكرار إذن، ظاهرة أسلوبية يلجأ إليها الشاعر لمعالجة موضوع أو فكرة ما، والكشف عما في داخله من قضايا مخبوءة يريد إيصالها إلى المتلقي والتأثير فيه، وبقصد التأكيد والتقرير وزيادة التنبيه، وتذكّر ما بَعُد بسبب طول الكلام، والتهويل وزيادة الاستبعاد، وزيادة المدح والتعظيم، والتلذذ بذكر المكرّر والتنويه بشأن المذكور، والوعد والوعيد والتهديد والتوجع والاستغاثة والتهكم والازدراء، وغيرها من الأغراض البلاغية التي تحدث عنها البلاغيون القدامى[4]، كما أن طبيعة اللغة قد تقتضي التكرار، فالمعاني " أوسع مدى من الألفاظ، وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات والدلالات المجازية والرمزية لاستيفاء المعاني"[5].

1. تكرار الألفاظ:

يعدّ تكرار الألفاظ المفردة – سواء أكانت حرفاً، أم فعلاً، أم اسماً – من أبسط أنواع التكرار اللفظي، وربما أكثرها شيوعا في الشعر العربي، وهذا النوع من التكرار لا يتحقق الجمال فيه بتحققه في القصيدة وحسب، وإنما بمناسبته لما يحيطه من مفردات سابقة ولاحقة، وما يثري من دلالات، تخدم الوظيفة التي ينهض بها السياق العام للبيت أو القصيدة، ويمكن أن نقف عند شعر بني تميم على الأنماط الآتية من التكرار:

---

[1] . المصدر نفسه، ص 39.
[2] . السعدني، مصطفى (1987)، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، القاهرة: منشاة المعارف، ص 172.
[3] . المصدر نفسه، ص 173.
[4] . انظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة، 2 : 73 – 74.
[5] . السيد، عز الدين علي (1978)، التكرير بين المثير والتأثير، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ص4.

أ. تكرار الحروف:

شاع في شعر شعراء بني تميم ظاهرة تكرار الحروف، ولا يمكن تجاهل ما لهذه الظاهرة من أثر في المتلقي ونفسيّته، وهو تكرار له "مزية سمعية وأخرى فكرية: الأولى ترجع إلى موسيقاها، والثانية إلى معناها "[1].

ويحمل تكرار حرف معين من الحروف دلالات متباينة تختلف باختلاف الحرف، واختلاف موقعه وتكراره، وقد يرتبط ذلك "بتكرار حرف داخل القصيدة الشعرية يكون له نغمته التي تطغى على النص لأن الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان أن لا وجود لشعر موسيقي دون شيء من الإدراك العام لمعناه أو على الأقل لنغمته الانفعالية "[2] ، وهذا ما يجعلنا لا نستهين بالحروف وقدراتها التعبيرية، فنجد الشاعر يتكئ على تكرار بعض الحروف في التراكيب المكونة للبيت الشعري محققاً التجانس بين المفردات على مستوى اللفظ والمعنى، كقول عدي ين زيد العبادي شعرا يوم أن أغارت خيل لأهل الشام على إبل كانت لأبيه فأخذتها، فلما أتاه الخبر انطلق يستنجد بأهل الصنايع فاستنقذوها منهم، فقال حينها[3]:

للشّـــــرفِ العَـــــوْدُ فأكنافُـــــهُ	**مـــا بـــينَ جُمـــران وينصـــوبِ[4]**
خيْـــرٌ لهـــا إنْ خَشـــيتْ حجْـــرَةً	**مـــنْ ربِّهـــا زيـــدِ بـــنِ أيـــوبِ**
متَّكئـــــا تُقْـــــرعُ أبوابُـــــهُ	**يســـعى عليـــهِ العبـــدُ بـــالكوبِ**
لا يتفيـــقُ الـــدهرُ مـــن شـــربها	**مـــا حنّـــتِ النيـــبُ إلـــى النِّيـــبِ[5]**

يطالعنا في المقطعة السابقة تكرار حروف المد واللين التي وقعت في كلمات مثل؛ (العود، أكنافه، ينصوب، لها، ربّها، أيوب، أبواب، يسعى، بالكوب، شربها، النيب) ليكشف عن تناغم تكرار الحروف التي تحمل صفات مشتركة، ورؤية الشاعر ومضمون القصيدة؛ مما أشاع جرساً موسيقياً متوازناً – إلى حد كبير – على امتداد البيت، كما أتاحت هذه الصوائت امتداداً كافياً ليحمل أبعاد الحالة الشعورية التي في داخله، فالشاعر في هذه الأبيات يستنجد، ولهذا؛ عمد إلى

---

[1] . السيد، عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، ص 58.
[2] . ويليك، رينيه (1985)، نظرية الأدب، (ترجمة محي الدين صبحي)، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 165.
[3] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص67.
[4] . جمران: جبل أسود بين (وفيد) من ديار تميم.
[5] . النيب: الناقة المسنة. سموها بذلك حين طال نابها وعظم.

تكثيف أصوات المد في أبياته السابقة؛ لأنها أكثر قدرة على إيصال الصوت إلى المتلقي، كما أنها تحمل في داخلها طاقة مشحونة شعورياً، قادرة على أن توصل مناداة الشاعر واستنجاده.

ومن أمثلة تكرار أصوات المدّ عند شعراء بني تميم قول متمم بن نويرة اليربوعي[1]:

وراحتْ لقاحُ الحيّ جُدبا تسوقها شآميةٌ تزوي الوجوهَ سفوعُ[2]

فيظهر هذا الحضور المكثف لأصوات المد في هذا البيت، فأغلب ألفاظه كان المد مكوناً رئيساً في بنيتها، وكأن هذا الصوت الممدود يتعاضد مع حالة المدح التي يعبّر عنها الشاعر في إظهار صفة ممدوحه.

ومنه أيضا قول سلامة بن جندل عندما تفاخر بأنه يمتطي ناقته لإغاثة الملهوف وتلبية المحتاج، والصارخ، إذ يقول[3]:

وشدَّ كُورٍ على وجناءَ ناجيةٍ وشدَّ لِبْدٍ على جرداءَ سرحوبُ[4]

وكذلك قول السُّليك بن عَمرو لمّا ذكر فرسه (النحام) في شعره، فوصفه بالسرعة والرشاقة معتمدا على تكرار وتكثيف واضح لأصوات المد في قوله[5]:

كأنّ قوائمَ النَّحامِ لمّا تحمّلَ صُحبتي أصُلا مَحَارُ[6]

على قرماءَ عاليةً شواهُ كأنَّ بياض غُرَّتِهِ خِمارُ[7]

وممّا يميّز حروف المدّ " أنّها بالشعر ألصق؛ لأنّ الشعر في الأعمّ وخاصة العربيّ، يمثل غناء النفس وأشواقها وآلامها وأفراحها التي تناسبها مدّات الشجا والأسى والحنين والأنين والسرّاء والضرّاء، وهذه المدّات دخلت في حسبان النقد الأدبي وسيلة من وسائل تصوير المشهد الذي ينقلنا إليه الشاعر بنشيده"[8].

---

[1] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 104.

[2] . اللقاح: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب. وراحت: أي راحت اللفاح إلى أهلها من ذدة الريح والبرد، وذلك أيام الجدب. شآمية: ريح شآمية. تزوي: تقبض من شدتها. السفوع: التي تسفع الوجه.

[3] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 129.

[4] . ناجية: سريعة تقطع الأرض بسيرها. اللبد: ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج.

[5] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 58.

[6] . الأصل: جمع أصيل، وهو العشي. المحار: الصدفة ويريد بها الملامسة.

[7] . قرماء: من قرى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم في اليمامة. شواه: قوائمه. الغرة: بياض في مقدمة الفرس.

[8] . السيد، عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، ص65.

ومن هذا النوع من التكرار عند شعراء بني تميم نجد أن بعضهم كان يلحّ على تكرار أصوات ذات سمات متقاربة في الجهر والهمس في تناولهم لمظاهر الطبيعة المتعددة، ومن ذلك تكرار صوت الجيم في قول أوس بن حجر يصف قوة ناقته، ويجعلها كقوة الفحل، إذ هي عقيم لا تحبل، وهذا أقوى لها وأشد، إذ يقول[1]:

وقدْ تُلافي بيَ الحاجاتِ ناجيةٌ أجْدُ الفقارِ وإدلاجٌ وتهْجيرُ[2]

فقد كرّر الشاعر صوت الجيم وهو صوت يمتاز بالجهر والشدة في هذا البيت خمس مرات، وكأن هذا التكرار لهذا الصوت يأتي متسقاً ومنسجماً مع الصورة التي أراد الشاعر أن يبيّن عليها ناقته، وقد استطاع الشاعر تجاوز تحقيق هذا التناسق إلى الإبداع في اختيار ألفاظ ذات بنية صوتية متوافقة في صفاتها مع تلك الدلالات والصور التي يتكون منها البيت الشعري.

ومن تكرار الأصوات المجهورة قول علقمة الفحل الذي راح يشبّه ناقته بالثور الوحشي في قوله[3]:

تُلاحظُ السَّوط شَزرا وهْي ضامزةٌ كما توجَّس طاوي الكَشح موشومُ[4]

فالشاعر يعمد في هذا البيت إلى جملة من الأصوات المجهورة التي تتكرر وتتعاضد فيما بينها لتظهر قوة هذه الناقة؛ إذ تكرر صوت الزاي المجهور مرتين، وكذلك؛ الطاء مرتين، كما ظهرت بعض الأصوات المجهورة التي جاء اختيارها لتدعم البنية الصوتية الإيقاعية في الأبيات، لتحقق العمق الدلالي الذي أراده الشاعر، فهو يريد أن تبدو ناقته في أقوى صورة، فعمد إلى أصوات تتسم بالشدة والجهر؛ لتتناسب مع شدة ناقته وقوتها.

وقد جاء تكرار الأصوات المجهورة في أشعار بني تميم في وصف السحب؛ فقد ذكر شعراء بني تميم أنواعاً عديدة للسحب في قصائدهم، فقد تكرر صوت الطاء عند عُميرة بن طارق بالمَنَانة، لأنها سحابة كثيرة المطر، يقول[5]:

وإنّي أحِبُّ الرَّمْثَ من أرضِ عاقِلٍ وصوتُ القطا في الطَّلِّ والمَطر الضربِ[6]

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 40-41.
[2] . الناجية: الناقة السريعة تنجو بصاحبها. الوجناء: الناقة الشديدة. العيسور: الناقة الشديدة التي لم تروض كالعيسرانة.
[3] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 57.
[4] . الطاوي: الضامر. الكشح: يعني ثوراً وحشياً، شبه ناقته به.
[5] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص227.
[6] . الرمث: نبات من الفلوات.

ولعل حالة الاستعلاء التي يمثلها صوت الطاء المجهور يأتي متناسباً مع الاستعلاء المتمثل في هذه السحابة التي تغطي السماء فتأتي محملة بالمطر الكثير، فجاء وقع الطاء بتكراره في البيت ثلاث مرات منبهاً على أن المطر المنبعث من هذه السحابة مطر كثير سيغطي الأرض.

وقد تكرر صوت القاف بشكل لافت عند المُخبَّل السعدي الذي راح يصف ناقته وصفاً دقيقاً، مظهراً قوتها وشدتها وصلابتها، من خلال وصفه الطريق الذي سارت فيه، وكيف أنها استطاعت أن تجتازه وتتغلب عليه فيقول[1]:

عارضــــثْهُ مَلَــــثَ الظَّـــلامِ بمـــدْ ... عـــــانِ العشـــــيِّ كأنهـــا قـــــرْمُ[2]

تـــذرُ الحصـــى فلقـــا إذا عصَـــفتْ ... وجـــرى بحَـــدٍّ سَـــرابها الأكَـــمُ[3]

قلقـــت إذا انحـــدرَ الطَّريـــقُ لهـــا ... قلـــقَ المحالـــةِ ضـــمَّها الـــدِعمُ[4]

لحقـــتْ لهـــا عَجُـــزٌ مُؤيَّـــدة ... عقْـــدَ الفقـــار وكاهـــلٌ ضـــخمٌ[5]

وقـــوائمٌ عـــوجٌ كأعمـــدة الـــ ... بُنيـــانِ عـــولى فوقهـــا اللحـــمُ[6]

وتَسُـــدُّ حاذيْهـــا بـــذي خُصَـــلٍ ... عُقِمـــتْ فنـــاعمَ نبتـــه العُقْـــمُ[7]

ولهـــا مناســـمُ كـــالمواقع لا ... مُعْـــــرٌ أشـــــاعرُها ولا دُرْمُ[8]

فالشاعر أراد في هذه المقطوعة أن يظهر حسن صفات ناقته، وشدتها وصلابتها، لذا؛ اختار أن يعبّر عن هذه الصورة التي تمتاز بالقوة والصلابة من خلال أصوات لها الوقع ذاته، فجاء تكرار صوت القاف في هذه المقطوعة متناسباً أشد التناسب مع الصورة الكلية للأبيات، فغلبة صوت القاف _وهو صوت شديد الجهر_ يجعل منه صوتاً ذا حضور مكثف في الأبيات، ولكن اللافت أن الشاعر لم يعتمد على الشدة في صوت القاف وحده؛ وإنما راح يدعم هذا الصوت بأصوات مجهورة أخرى مثل؛ الضاد، والعين، والراء، التي أضفت مع تعاضدها مع القاف جواً من الإيقاع الصاخب الشديد الذي ينسجم بدوره مع صورة الناقة التي راح الشاعر يرسمها.

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 112- 113.
[2] . عارضته: سرت فيه. ملث الظلام: اختلاطه. مذعان: ناقة أذعنت السير. القرم: الفحل المتروك عن العمل من الإبل.
[3] . عصفت: اشتد عدوها. فلق: تكسر الحصى لصلابتها.
[4] . قلق: سير حثيث. المحالة: بكرة البئر. الدعم: العودان اللذان اكتنفا البكرة.
[5] . لحقت لها عجز: لم يخنها عجزها. مؤيد: مشدد مكتنز.
[6] . القوائم العوج: أسرع لها.
[7] . تسد خلفها بذنبها. عقمت: لم تحمل فزاد في قوتها وسرعتها.
[8] . المنسم: طرف خف البعير. المواقع: المطارق. معر: قلة الشعر.

ومن أمثلة تكرار الأصوات المجهورة في أشعار بني تميم قول المُخبَّل السَّعدي يصف حماراً وحشياً مع أتانه، إذ يقول[1]:

حتّـــى إذا أخـــذَ المِـــراغ تســـيلهُ ... مـــن مِـدْمجٍ مـــنْ خلقـــهِ وَشَـوار[2]

ورمـــى أنـــابيش السَّـــفا أرســـاغُهُ ... مـــن كـــلِّ ظـــاهرةٍ وكـــلِّ قـــرار[3]

وتجنّـــبَ القرْيـــانَ واختـــار الصّـــوى ... يعـــدو بهـــنَّ كفـــارسِ المضْـــمار[4]

ذكـــر العيـــون وعارضـــتْهُ ســـمْحَجٌ ... حملَـــتْ لـــه شـــهْرين بعـــدَ نَـــزار[5]

يرضـــى بصـــحْبتِها إذا بـــرزت لـــهُ ... وأشـــدَّ عنهـــا إلـــفَ كـــلِّ حِمـــار

فيلاحظ تكرار صوت الراء في هذه المقطعة بشكل لافت، فقد جاء روياً لها، كما وقع في قعر الأبيات بصورة تظهر إلحاح الشاعر على عليه، لاسيما أنه يمتاز بصفات التكرار والتردد التي تجعل من المعنى متردداً ومكرراً داخل الأبيات، ومما يلفت الانتباه أيضاً في هذه الأبيات أن الشاعر لم يكتف بصورت الراء المجهورة وحده لتحقيق التردد السمعي الذي أراد، وإنما عمد إلى أصوات مجهورة أخرى راحت تتعاضد مع تكرار الراء لإحداث هذا الوضوح السمعي داخل الأبيات ذاتها.

ويأتي تكرار صوت الراء منسجماً مع المعنى الذي يقصده الشاعر، بل يعبر عنه أصدق تعبير؛ إذ يشبّه ذي الخِرَق الطهوي تيه المرتحلين بالصحراء بعوم الملاحين وسط الأمواج العاتية، فيقول[6]:

عَوْمَ الصَّراري في غَبْراءَ مُظْلِمَةٍ ... تَعْلوهُ طوْراً ويَعلوا فوقها تِيَـرا[7]

فتكرار صوت الراء بما يمتاز به من صفة التكرار والتردد في نطقه، تنسجم مع حالة التيه التي يصفها الشاعر، كما أنها تعبر عن الصورة التشبيهيّة التي يأتي الشاعر على ذكرها، إذ إن هذا الطرق الماثل في تكرار الراء الذي تردد في البيت خمس مرات يشبه في ترددد هذا تلاطم الأمواج التي عبر عنها الشاعر في البيت.

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 106.
[2] . المراغ: اللعاب، والروضة كثيرة النبات. النسيل: أطراف النبات وما تساقط منه. شوار: سمنة.
[3] . أنابيش السفا: رؤوس النبات. ظاهرة: مرتفعة. قرار: منخفض.
[4] . القريان والصوى: موضعان في اليمامة.
[5] . سمحج: أتان طويلة بيضاء العجيزة.
[6] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص420.
[7] . الصراري: الملاحون. تير: الموج (فارسي معرب).

وكما كان لتكرار الأصوات المجهورة حضورة في شعر بني تميم، فقد كان للأصوات المهموسة حضوره أيضاً، وإن قلّت نسبة تواتره عن الأصوات المجهورة في معظم أشعار بني تميم، وقد تناسب حضوره الأصوات المهموسة وطبيعة الوصف الذي كان الشعراء يقدمونه في أشعارهم، ومن ذلك تكرار صوت السين، وهو من الأصوات المهموسة عند عدي بن زيد العبادي الذي ذهب إلى تشبيه عيني امرأته بعيني جؤذر في قوله[1]:

لستُ في سلمى ولا جاراتها ... سامعا فيها إلى قول أحدْ

تسْرُقُ الطَّرْف بعينيْ جؤذرٍ ... مستحيلٍ بينَ رمْلٍ وجَلَدْ

إذ تكرر صوت السين في هذه المقطعة خمس مرات، بما يحمله من همس ورخاوة تتناسب والحالة النفسية التي تصيب الشاعر في حديثه عن امرأته التي راح يشبّه عينيها بعيني جؤذر، فعمد إلى اختيار صفة الهمس لتكون هي الغالبة على البيتين؛ لأنها أكثر التصاقاً وقرباً إلى حالته النفسية.

وقد جاء تكرار الأصوات المهموسة معبّراً عن لوحة يملؤها السكون فتنعدم الحركة الآدمية فيها، ويظهر فيها كيف أن النسور كانت تتبع الجيوش فتكون جثث القتلى طعاماً له، في قول أوس بن حجر[2]:

وقتْلى كمثْلِ جُذوع النخيلِ ... تغشّاهُمُ مُسْبلٌ مُنْهَمِرْ[3]

وأحْمَرَ جعْدا عليهِ النّسورُ ... وفي ضِبْنِهِ ثعْلَبٌ مُنْكَسِرْ[4]

فعلى الرغم من أن الروي مجهور هنا إلا أن غلبة الأصوات المهموسة على هذا المشهد تأتي منسجمة مع مشهد الانكسار الذي أصاب هؤلاء الجنود فأصبحوا جثثاً هامدة، لتأتي عليها النسور فيما بعد.

وكما ظهر أن الأصوات المجهورة كانت تتعاضد فيما بينها لتساهم في تشكيل البنية الإيقاعية الصوتية للأبيات، وتنسجم مع المعنى المراد التعبير عنه، كان للأصوات المهموسة في تعاضدها وتآزرها معا دور مهم أيضا في استنطاق بعض اللوحات والتعبير عن مكنوناتها من خلال السمات

---

[1] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 42.
[2] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 30.
[3] . الجذوع: جمع جذع وهو ساق النخلة. المسبل: المطر..
[4] . أحمر: رجل أبيض. الجعد: المجتمع الخلقة الشديد. الضبن: الجنب أو الإبط.

الصوتية للأصوات ذاتها، ففي وصف عدي بن زيد العبادي للسقيا التي تأتي بها ريح الجنوب يتكرر صوت الحاء تكراراً لافتا، ويتعاضد معه في هذا النوع من تكرار الأصوات المهموسة تكرار صوت السين لينسجم التكرار مع المعنى، يقول عدي[1]:

فَسَقَى البَطْنَ فالبَسيطةَ فالحِرْ نَيْنِ يَهْدِي لوَجْهِهِ وَيَحورُ[2]

فاسْتَدَرَّتْ بهِ الجَنوبُ على الحِر ثَّةِ فالحنْوِ سَيْلُهُ مَقْصورُ[3]

فقد تكرّر صوت السين في هذين البيتين أربع مرات، فيما تكرر الحاء أربع مرات أيضاً، فصفات الهمس والرخاوة في هذين الصوتين وتكرارهما في البيتين يأتي منسجماً مع حالة ريح الجنوب التي تهب محمّلة بالمطر للسقيا، كما أن صوت الصفير في السين يعبّر عن صورة سمعية تفصح عنها الأبيات، إذ إن هذا الصوت الذي تكرر أربع مرات يعبّر عن الصوت التي كانت تحدثه الريح وقت هبوبها.

ب. تكرار الكلمات:

استثمر شعراء بني تميم الطاقة الكامنة في التكرار، فلم يقتصر وروده في شعر الطبيعة عندهم على تكرار الأصوات فقط، وإنما تعدى الأمر عندهم إلى تكرار الكلمات ذاتها في البيت الشعري أو المقطّعة الشعرية، ومنه قول سلامة بن جندل عندما راح يشبّه انقضاء الشباب وسرعة انتشار الشيب في رأسه بسرعة العقاب وشدة طيرانه، في قوله[4]:

أودى الشّبابُ حميدا ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأوٌ غيرُ مطلوبِ[5]

فتكرار كلمة (أودى) في هذا البيت يجعل منها كلمة مركزية في البيت، إذ إن تكرارها يؤكد الهمّ الذي يحمله الشاعر بين ضلوعه، ويعكس الحالة النفسية له آنذاك.

---

[1]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص86.

[2]. البطن والبسيطة والحرنين: أسماء أماكن.

[3]. استدرت الريح السحاب: استحلبته. الجنوب: الريح التي تهب منها. الحرنة: بحاء وكسرتين، قرية باليمامة وفي وسط العارض لبني عدي بن حنيفة.

[4]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 91.

[5]. أودى: هلك. التعاجيب: العجائب .

كما ورد هذا النوع من التكرار عند أوس بن حجر حين شبّه نفسه وقومه بالحيات العظام وبالأسود، للتعبير عن قوة قومه وبأسهم في قوله[1]:

نُبيحُ حِمى ذي العزِّ حينَ نُريدُهُ ونحْمي حمانا بالوشيجِ المُقوَّمِ[2]

يرى النّاسُ منّا جِلْدَ أسودَ سالخٍ وفَرْوةَ ضَرْغامٍ من الأُسْدِ ضيغمِ[3]

فتكرار كلمة (حمى) في البيتين يأتي منسجماً مع المعنى الذي تريد الأبيات التعبير عنه، بل إن هذه التكرار للبنية الصوتية (ح،م،ى) في ثلاث كلمات يعطي البيت جرساً موسيقياً خاصاً من خلال التكرار ذاته.

كما جاء التكرار في وصف أوس بن حجر لقطيع من النعام، الذي اتخذ من ديار الأحبّة مقرّاً له، فقال[4]:

حلَّتْ تُماضِرُ بعْدنا ربَبَا فالغمْرُ فالمُرَّيْنِ فالشَّعَبا[5]

حلّتْ شآميةً وحلَّ قسَا أعلي فكانَ طِلابها نَصَبا[6]

فتكرار كلمة (حلّت) في البيتين يأتي متّسقاً مع المواشع الكثيرة التي راح الشاعر يذكرها في البيتين، كما أن تكرارهما يجعل من دلالة الثبات والاستقرار في المكان أمراً رئيساً في المشهد الذي راح الشاعر يصف فيه ارتحال المحبوبة، وإحلال النعام في ديارها بدلاً عنها، وهو أمر يؤكد عليه التكرار في مقدمة البيتين.

كما جاء تكرار الكلمات في وصف علقمة الفحل الصحراء في قوله[7]:

وحَلّوا من مَعيْنٍ يومَ حَلّوا لِعِزِّهِمُ لدى الفجِّ العَميق[8]

فالشاعر يكرّر كلمة (حلّوا) مرتين في البيت ذاته لتأكيد حالة الانتقال إلى الصحراء.

---

1. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 124.
2. نبيح: نستبيح. الوشيج: الرمح.
3. الأسْود: العظيم من الحيات، يقال له سالخ لأنه يسلخ جلده كل عام.
4. المصدر نفسه، ص 1.
5. ربب: وادي بنجد من ديار عمر بن تميم، الغمر: غمر بني جذيمة بالشام. المريان: مثنى مر، وهما ماءان لغطفان. الشعب: ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة على ثلاثة أميال من العقبة.
6. قسا: موضع ببلاد بني تميم.
7. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص129.
8. معين: حصن باليمن. الفج العميق: الطريق الواسع في الجبل، البعيد.

كما جاء التكرار معبّراً عن معنى التفاخر الذي يريده الشاعر التميمي الزّبرقان بن بدر، بقوله [1]:

نحنُ الكِرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنـــــا مِنّا المُلوكُ وفيْنا تُنْصَبُ البيَـعُ[2]

ونحنُ نُطْعِمُ عند القَحْطِ مَطْعَمَنا مِن الشِّواءِ إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ[3]

فتكرار كلمة (نحن) العائدة على جماعة الشاعر وقبيلته مرتين في مطلع البيتين يؤكد أن الوصف متمركز حول قبيلة الشاعر دون سواها، إذ اختار الشاعر أن يجعل المطلع في البيتين واحداً أمام المتلقي ليجعل المعاني التي يذكرها متمركزة حول قومه، وهو أفخر له ولقومه.

ومن تكرار الكلمات قول علقمة الفحل الذي يذكر خلال عتابه لمحبوبته سحاب المزن الذي يأتي قبل الصيف، وهو أحسن السحاب، ويدعو لها بسقيا السحاب الذي يهب من الجنوب وقت الغروب، فهو أكثر وأغزر مطراً، ولأن رياح الجنوب ألقح الرياح، وأجلبها للغيث، فيقول [4]:

فلا تعْدِلي بيني وبينَ مُغَمَّــرٍ سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حيثُ تَصوبُ[5]

سقاكِ يمانٍ ذو حَبيٍّ وعارضٍ تروحُ بهِ جُنْحَ العَشِيِّ جَنـــوبُ[6]

فتكرار (سقى) في البيتين يأتي مفصحاً عن بؤرة المعنى الذي يقصده الشاعر وجوهره؛ إذ إن الشاعر لم يأت بالحديث عن السحاب ها هنا إلا لأنه أراد من هذه السحاب أن تكون سقيا لمحبوبته، فعمد إلى التكرار لبيان هذا المعنى، فلا ينصرف الذهن لسواه.

ويأتي التكرار أيضاً مسيطراً على المعنى الذي يقصده الشاعر، فقد عمد تميم بن نويرة اليربوعي إلى تكرار كلمة (عبرة) في بكائه مالكاً؛ ليجعل من عبراته هذه ماء يفيض من الدلاء التي تسقى بها أصول النخل وجذوعه، فيقول [7]:

إذا عبرَةٌ ورَّعْتها بعد عبـــرةٍ أَبَتْ واستَهَلَّتْ عَبْرَةٌ ودموعُ[8]

---

[1]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص187.
[2]. البيع: مواطن الصلوات والعبادات. واحدتها: بيعة.
[3]. القزع: السحاب الرقيق، يريد إذا خلفهم المطر فأجدبت أرضهم.
[4]. علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص34.
[5]. لا تعدلي: لا تساوي. المغمّر: الجاهل الذي لم يجرّب الأمور، كأن الجهل غمره واستولى عليه. روايا المزن: ما حمل الماء منه. الراوية: البعير يستسقى عليه. يصوب: يقصد وينزل.
[6]. عارض: سحاب معترض في الأفق متراكب. المزن: سحاب أبيض يأتي قبل الصيف، واحدته: مزنة. الحَبيّ: السحاب المتصل بعضه ببعض والقريب من الأرض. سقاك يمان: أي سحاب نشأن من ناحية اليمن، من مهب الجنوب. جنح العشي: يريد حين جنحت الشمس للغروب، وإنما خصّ العشي؛ لأن شأبيبه أكثر وأغزر، وخصّ الجنوب لأنها ألقح الرياح، وأجلبها للغيث.
[7]. الصفار، ابتسام، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص102.
[8]. ورّعتها: كففتها. استهلت: انصبّت ولها وقع. العبرة: الدمعة.

كما فاضَ غَرْبٌ بينَ أقْرُنِ قامَةٍ يُرَوِّي دِياراً مــاؤهُ وزُروعُ[1]

فهو يكرر كلمة (عبرة) ثلاث مرات في البيت الأول؛ ليجعل من الدموع هي الحالة المسيطرة عليه، حتى إن الكلمات الأخرى التي جاء بها الشاعر في بقية البيتين كانت منبثقة من تكرار كلمة عبرة، فالعبرات راحت تفيض من كثرتها فتسقي أصول النخول وجذوعه.

ومن أمثلة التكرار الذي جاء مؤكداً للمعنى ومنسجماً معه في تشبيه شعراء بني تميم العطايا الجزلة بالنهر الهائج، أو الوادي المتراكب الموج، أو بالغدير وبالخليج الدافق. ويتجلّى ذلك في شعر عدي بن زيد العبادي، إذ يصف عطاء أحدهم وجوده، فهو يفيض كرماً كما يفيض البحر، وتتلاحق أفضاله وأعطياته كتلاحق أمواج البحر[2]:

عَفُّ المَكاسِبِ ما تَكْدِي خُساسَتُهُ كالبَحْرِ يُلْحِقُ بالتَّيَّارِ تَيَّارا

فتكرار كلمة (تيار) مرتين في نهاية البيت يوحي بأن هذا العطاء ما يلبث أن يتوقف حتى يعود من جديد، كما أن هذا التكرار يتناسب مع الصورة الفنية في البيت إذ إن التكرار يوحي بتعاقب الأمواج التي تشير إلى عطاء الممدوح.

ولم يقتصر التكرار عند شعراء الدراسة على تكرار الكلمة ذاتها، وإنما تكرار البنية الصوتية للكلمات؛ من خلال اشتقاقات الجذر المختلفة، ومنه وصف أوس بن حجر مشهداً لعلاقة حمار الوحش بأتانه، فيقول[3]:

كـأنّي كسـوتُ الرَّحْـلَ أحْقَـبَ قاربـا لــهُ بجنــوبِ الشــياطينِ مَســاوفُ[4]

يقلّــبُ قيــدودا كــأنَّ ســراتها صـفا مُـدهُنٍ قـد زحلفتْـه الزَّحـالفُ[5]

فقد جاء التكرار في (زحلفته) و (الزحالف) فالشاعر يعمد إلى البنية الصوتية الأساسية ذاتها، فيقلب في تصريفاتها واشتقاقاتها، فياتي بالفعل منها، ثم يعود إلى الاسم الذي اختار أن يجمعه على جمع التكسير، وهو نوع من التكرار يضفي على البيت نغماً موسيقيا خاصاً، كما أنّ له أثراً على الناحية التوكيدية للمعنى المراد.

---

[1]. الغرب: الدلو العظيمة. القامة: بكرة البئر. وأقرن: جمع قرن، يريد ةقرن البكرة. الديار: سواق تكون في أصول النخل.
[2]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص54.
[3]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 67.
[4]. الأحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض. قارب: حمار يعجل ليلة الورد.
[5]. المدهن: نقرة في الجبل يتنقع فيها الماء. الوحلوفة: مكان منحدر مملس لأنهم تيزحلفون عليه.

وكذلك كان لهذا النوع من التكرار حضور عند عدي بن زيد العبادي، إذ راح يشبّه انتشار الشيب في لحيته، بالذباب المنتشر، يظهر فجأة فيخبو، ثم يعود ليظهر مرة أخرى، فقال[1]:

وابيضاضُ السّوادِ منْ نُدُرِ الشّـ ـــرِّ وهلْ بعْدَهُ لأنْسٍ نذيرُ

وسْطُهُ كاليراع أوْ سُرُجُ المجْـ ـــدلِ حينا يخبو وحينا يُنيرُ[2]

فالشاعر يعمد إلى تكرار كلمتين لهما الجذر نفسه؛ (نذر) و (نذير)، ولعل هذا التكرار ينسجم مع المعنى الذي يسعى الشاعر لتأكيده في البيتين، وهو أن انتشار الشيب الذي يعدّ نذير شؤم عليه.

وفي تأكيد أوس بن حجر على أن الذباب كان يسبب له الأرق؛ فيذهب النوم عنه، راح يكرر معنى النوم من خلال استخدامه لكلمتين متماثلتين صوتياً في قوله[3]:

ولـيسَ بطارق الجاراتِ منّي ذُبابٌ لا يُنيم ولا يَنامُ[4]

2. تكرار المعاني والأفكار:

ولم يكتفِ شعراء بني تميم بتكرار الألفاظ لخدمة المعاني التي اشتملها شعر الطبيعة عندهم توضيحاً وتأكيداً، وإنّما لجأوا إلى تكرار بعض المعاني والأفكار في بعض قصائدهم، وتتأتى القيمة الجمالية لهذا النمط من التكرار في الكشف عن قدرة كلّ شاعر وبراعته في تكرار تجربته الشعرية، بأسلوب متجدّد من حيث البناء والتشكيل، فكل شاعر له أسلوبه الخاص في التعبير عن المعنى من خلال اختياره للألفاظ التي تناسب الحالة الشعورية التي تنتابه، ولعل هذا الأمر يعدُّ دليلاً على حذاقة الشاعر وقدرته الفنية على تشكيل المعني على النحو الذي يريد.

ومن المعاني والأفكار والصور التي برز تكرارها على نحو لافت في شعر بني تميم وصف الطبيعة، فقد عمد شعراء بني تميم إلى وصف تلك البيئة التي عاشوا فيها بموجوداتها الساكنة والمتحركة، ويكشف شعرهم عن براعتهم في تكرار وصف الناقة والفرس، وصلتهم الوثيقة بهما، كما أبدع كلّ منهم في وصف حيوانات الصحراء ومشاهد الصيد فيها؛ مما خلق صلة بين الشعراء والبيئة الساكنة من حولهم، مثل؛ الصحراء ورمالها، والوهاد، والجبال، وغيرها.

---

[1] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 85.
[2] . اليراع: ذباب يطير في الليل كأنه نار. المجدل: جمع مجادل وهو القصر.
[3] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 115.
[4] . يعني بالذباب هنا: السوء والفاحشة.

ومن الأفكار التي تكرر ورودها عندهم، أن الناقة مثلا كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بكرامة العربي وشرفه ورفعة مكانه؛ فراح يدافع عنها، ويضحي بالغالي والنفيس لأجلها، ومنه قول عدي ين زيد العبادي شعرا يوم أن أغارت خيل لأهل الشام على إبل كانت لأبيه فأخذتها، فلما أتاه الخبر انطلق يستنجد بأهل الصنايع فاستنقذوها منهم، فقال حينها[1]:

للشّـــــرفِ العَـــــوْدُ فأكنافُـــــهُ ... مـــا بـــينَ جُمـــران وينصـــوبِ[2]

خيْـــرٌ لهـــا إنْ خَشـــيتْ حجْـــرَةً ... مـــنْ ربِّهـــا زيـــدِ بـــنِ أيـــوبِ

متَّكئـــــا تُقْـــــرعُ أبوابُـــــهُ ... يســـعى عليـــهِ العبـــدُ بـــالكوبِ

لا يتفيـــقُ الـــدهرُ مـــن شـــربها ... مـــا حنّـــتِ النيـــبُ إلـــى النِّيـــبِ[3]

وقد تكرر المعنى ذاته عند غيره من شعراء بني تميم الذين كانوا يرون الناقة جزءاً لا ينفصل عن كرامتهم وعزّتهم، فكانوا يستنهضون القبائل الأخرى للدفاع عن نوقهم واستردادها عندما تتعرض للسلب، بل إنهم كانوا يكرمون نوقهم ويتغنون بها، وقد بيّنت الدراسة في الفصل الثاني منها كثيراً من النماذج الشعرية التي تدور حول هذا المعنى وتعبّر عنه.

كما تكرر حضور الناقة عندهم للدلالة على صفة الكرم والعطاء، لاسيما في لوحتي المدح والفخر، إذ عدّ شعراء بني تميم عامة إطعام الناقة للضيوف صفة مهمة من صفات العربي الكريم، الذي راح يقري ضيفه، ويغيث من يستنجد به جوعاً، فهو يذبح لضيفه ناقته التي لم يكن ليفرّط بها لولا اتصافه بهذه الصفات، ومن ذلك قول أوس بن حجرفي رثاء عمرو بن مسعود، إذ كانت الناقة وسيلة الشاعر في ذكر مآثر المرثي؛ فقد كان هذا المرثي يطعم الناس النوق التي هي من خيرة نوقه، يقول[4]:

المُطْعـمُ الحـيَّ والأمـواتَ إن نزلـوا ... شحمَ السّنامِ من الكوم المقاحيدِ[5]

ومنه قول متمم بن نويرة اليربوعي للدلالة على كرم أخيه مالك،إذ غدت الناقة وكأنها هي أداة الممدوح في الكرم، فيقول[6]:

---

[1] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص67.
[2] . جمران: جبل أسود بين (وفيد) من ديار تميم.
[3] . النيب: الناقة المسنة، سموها بذلك حين طال نابها وعظم.
[4] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 25.
[5] . الكوم: جمع كوماء وهي الناقة السمينة. المقاحيد: جمع مقحاد: وهي الناقة العظيمة السنام.
[6] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 104.

وراحتْ لقاحُ الحيّ جُدبا تسوقها شآمية تزوي الوجوهَ سفوعُ[1]

وكان لتكرار المعاني والأفكار عندهم حضور في وصف الخيل، إذ تكررت المعاني والأفكار ذاتها عند غالبية شعراء بني تميم، ومن ذلك أن ألحّ معظمهم على ذكر صفة السرعة في خيولهم، فتكرر ذكرها عندهم، وإن اختلفت ألفاظهم في التعبير عن هذه الصفة [2].

وقد تكرر عند شعراء بني تميم اتخاذهم من الفرس وصفاته الكريمة وسيلة للفخر بأنفسهم، إذ كانوا يذكرون الفرس وصفاته متفاخرين به، وكأنهم راحوا يفخرون أمام الأقوام الأخرى بأنفسهم وصنيعهم، ومن ذلك قول سلامة بن جندل[3]:

وكرَّنا خيلنا أدراجها رُجُعا كسنَّ السنابكِ من بدءٍ وتعقيبِ[4]
والعادياتُ أسابيُّ الدماء بها كأنَّ أعناقها أنصابُ ترجيبِ[5]
منْ كلِّ حتٍّ إذا ما ابتلَّ مُلبدهُ ضافي السَّبيبِ، أسيلِ الخدِّ يعبوبِ[6]

فهذا المعنى الذي يمتدح الشاعر فيه أيام شبابه، ويتفاخر بنفسه في تلك الأيام، هو معنى متكرر عند غالبية شعراء بني تميم، فقد كان الفرس وسيلتهم للتفاخر به وبأنفسهم، وبفعالهم عليه[7].

كما نجد عندهم تكراراً آخر لواحدة من صفات حمار الوحش، فقد تكررت صفة الغلظة والشدة فيه عند غير شاعر منهم، ومن ذلك قول عدي بن زيد العبادي[8]:

مُشرفُ الهادي له غَسَنٌ يُوثِقُ العِلْجين إحضارا[9]

---

[1] . اللقاح: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب. راحت: أي راحت اللفاح إلى أهلها من شدة الريح والبرد؛ وذلك أيام الجدب. شآمية: ريح شآمية. تزوي: تقبض من شدتها. السفوع: التي تسفع الوجه.

[2] . لمزيد من الأمثلة حول هذا النوع من التكرار، انظر: عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 74. والصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 124. والنهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 22. وأوس بن حجر، ديوان أوس ابن حجر، ص 107. وسلامة بن جندل، ديوان سلامة جندل، ص 171.

[3] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 96.

[4] . وكرنا خيلنا: أي رجوعنا بها.

[5] . العاديات: الخيل. الأسابي: واحدتها إسباءة، وهو الدم المراق. الأنصاب: حجارة تنصب ليذبح عليها. الترجيب: أن تميل النخلة في أحد شقيها فيؤتى بحجارة فتدعم بها من الشق المائل.

[6] . فرسٌ حت: لا يجارى. ضافي: سابغ. السبيب: شعر الناصية والذنب. أسيل: سهل طويل. يعبوب: كثير الجري.

[7] . لمزيد من الأمثلة حول هذا النوع من تكرار هذا المعنى، انظر: علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 77. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 209. والصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 80.

[8] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 130، ولمزيد من الأمثلة حول تكرار هذا المعنى، انظر: الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 95.

[9] . العلجان: مثنى علج، وهو الحمار الغليظ. الغسن: شعر الناصية.

ولابد من الإشارة إلى أن الفصول السابقة لهذه الدراسة تظهر هذا النوع من التكرار على نحو جليّ، فمن خلال تناول مظاهر الطبيعة بشقيها الصامت والصائت، يظهر أن بعض شعراء بني تميم إنما كانوا يكررون الأفكار والمعاني في أشعارهم؛ فقد وجد الباحث عدداً من الأفكار والمعاني التي يرد ذكرها متكرراً عند غالبية شعراء بني تميم، وقد اكتفى الباحث في هذا الفصل إلى الإشارة إلى بعض الأمثلة لتجنب تكرار ما ورد في الفصلين السابقين.

- **ثانيا: الصورة الفنية:**

تعدّ الصورة من أهم الجزئيات التي تتشكّل منها القصيدة، وتتعدّد الصور في القصيدة وتتنوّع، إلا أنها تتوحّد مع بعضها لتشكّل المعنى الكليّ للقصيدة، " الصورة تعني أيضاً ذلك البناء الواسع الذي تتحرك فيه مجموعة الصور المفردة بعلاقاتها المتعددة، حتى تصير متشابكة الحلقات والأجزاء بخيوط دقيقة بعضها إلى بعض في شكل اصطلحنا على تسميته بالقصيد"[1].

وتعدّ الطبيعة بصامتها وصائتها واحدة من أهم البواعث التي كانت تمدّ شعراء بني تميم بالصور الفنيّة، فكأنها كانت المهلم الأول لهم، الذي يستلهمون منهم أفكارهم ومعانيهم؛ ليشكّلوا منها صورهم المتنوعة، فظهر الحشد الكبير لمختلف أنماط الصور الفنية والحسيّة التي تشمل كل ما يُدرك بالحسّ، أو البصر، أو السمع، فظهرت الصور اللونيّة، والسمعيّة، والشميّة، والحركيّة، وغيرها، بأسلوب شعري متنامٍ؛ لذلك؛ أتت صورة الطبيعة في أشعارهم "خلفيّة لحركة الإنسان والحيوان، وما تتضمنه من صراع بين الحياة والموت، وما توحي به من قدرة، أو جمال، أو تناسق، أو عجز أو قبح، أو غير ذلك من المشاعر أو المعاني"[2].

---

[1] . الرباعي، عبد القادر (1995)، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، ط1، إربد: مكتبة الكتاني، ص10.
[2] . القط، عبد القادر (1979)، في الشعر الإسلامي والأموي، بيروت: دار النهضة العربية، ص390.

- **الصور الحسيّة :**

تشكّل الحواسّ النافذة التي يستقبل بها الذهن رياح الحياة والتجربة، والذهن في كثير من اعتمالاته واجتهداته، فيحتاج إلى هذه الحواسّ لترجمة تلك الاعتمالات، فتكون الحواسّ بهذا المنحنى أهمّ وسائل الذهن في الاستقبال والبثّ [1].

والصور الحسيّة هي تلك الصور الفنية المتخذة جماليات للمعاني المراد توظيفها في النص الأدبي، والمستمدة من مكتسبات الحواسّ الخمس: السمع، والبصر، والذوق، والشمّ، واللمس. وقد يستثمر الشاعر حاسّة البصر ومعطياتها لديه في رسم معالم الصورة الشعرية، فيسمّى ذلك النمط من الصور بالصور البصرية، وإذا ما استثمر حاسة الشمّ، فإننا نسمّي تلك الصورة بالصورة الشميّة، وإذا ما كانت حاسة السمع في الصورة هي الأساس، فإننا نسمّي تلك الصورة بالصورة السمعيّة، وإذا ما استثمر حاسة اللمس، فإننا نسمّي الصورة المترشحة من ذلك بالصورة اللمسيّة، وإذا ما استثمر حاسة الذوق، فإننا نسمّي تلك الصورة بالصورة الذوقيّة. فالشاعر يبلور بخياله الواسع، وشاعريته الذاتيّة كل ما تدركه وتتمثله المحسوسات من حوله، مبدعاً بصياغتها، وتوظيفها بوصفها جماليات تضفي رونقاً جمالياً، وعمقاً معنويّاً، يُكسب معانيه رسوخاً في نفوس المتلقّين؛ إذ إنّ الصورة الحسيّة أقوى من غير شكّ في الدلالة على المعنى والإحساس به، من الصور البرهانية العقليّة التي تهدف إلى الإقناع.

وهذا ما وجده الباحث في شعر الطبيعة لدى شعراء بني تميم، فقد أتت الصور الحسية جليّة في وصفهم وتوظيفهم للطبيعة في شعرهم، حين استمدّوا ممّا حولهم من الطبيعة الصائتة والصامتة، ووظّفوا كافّة ما تراءى لبصرهم من حركة، وسكون، ولون، وضوء، وما وقر في آذانهم من أصوات متنوّعة من غناءٍ، وأنينٍ، وصادح، وغيرها، إضافة لما هناك من ملموسات تنوعت بين النعومة، والخشونة، والحرارة، والبرودة. وفيما يأتي تبيان ذلك:

---

[1] . الصائغ، عبد الإله (1987)، الصورة الفنية معياراً نقدياً " منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ص406.

1. الصور البصريّة:

المُراد بها تلك الصور التي تتكئ على حاسّة البصر، فالعين هي الأداة الأقرب للإحساس بالجمال وتصويره. والصورة البصريّة هي الأكثر وروداً في الشعر عامة قديمه وحديثه، فالطابع الأعمّ للصور هو كونها مرئية، وكثير من الصور التي تبدو غير حسية، لها في ذلك ترابط مرئيّ باهت ملتصق بها.

ويلاحظ الباحث كثرة الصور البصريّة في شعر شعراء بني تميم؛ إذ وصف شعراؤهم الإبل، والخيل، والحمار الوحشيّ، وغيره، في أغلب قصائدهم، وكانوا يلجأون في صورهم البصرية إلى التجسيم، فأوس بن حجر يصف ناقته بأنها ناقة جلذية، وهي التي راحت تحمله على ظهرها، لذا؛ راح يصوّرها من خلال صورة بصرية تظهرها صلبة قوية في قوله[1]:

وقد أراني أمامَ القومِ تحملُني جُلْذيّة وصلتْ دأيا بألواح

وقد ذهب عَبَدة بن الطبيب إلى وصف أعضائها وأجزاء جسمها بدقة بالغة، فراح يصف ناقته التي أرادها أن ترحل به بعيداً عن المرأة التي تركته ورحلت عنه، فقال[2]:

فعدِّ عنها ولا تشغلكَ عن عَمَلٍ إنَّ الصّبابة بعد الشبِّ تضليل[3]
بجسرةٍ كعَلاة القينِ دوْسَرَةٍ فيها على الأينِ إرقالٌ وتبغيلُ[4]
عنْسٍ تشيرُ بقِنوانٍ إذا زُجِرتْ منْ خصبَةٍ بقيتْ فيها شماليلُ[5]
قرواءَ مقذوفةٍ بالنَّحْضِ يشعَفُها فرْطُ المراحِ إذا كلَّ المراسيلُ[6]

فالشاعر يلجأ إلى رسم هذه الصورة الحسية البصرية في تفصيل الوصف في ناقته، فهي ناقة صلبة، طويلة على الأرض، ضخمة، وظهرها طويل يشبّه صلابته بسندان الحداد، وهي مكتنزة باللحم من كل جوانبها، فهو يذكر هذه الصفات المحببة للناقة عند الإنسان العربي، ليجعل من ناقته ناقة متفردة في صفاتها.

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 18.
[2] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 59.
[3] . عدّ عنها: اصرف عنها، يأمر نفسه بالسلو عنها. الصبابة: رقة الجزع ورقة الشوق وما يصيبه منه.
[4] . الجسرة: الناقة الصلبة، أو الطويلة على الأرض. العلاة: سندان الحداد شبهها بها في صلابتها. القين: الحداد، الدوسرة: الصلبة الضخمة. الأين: الاعياء.
[5] . عنس: صلبة. تشير بقنوان: أي بذبها. القنوان: جمع قنو وهو العذق. الخصبة: الدقلة،
[6] . قرواء: طويلة الظهر، وهو مستحب في الإبل. النحض: اللحم. فرط المراح: ما تقدم منه. يشعفها: ينزع فؤادها، ويستخفها. المراسيل: السراع السهلات في السير، واحدها مرسال. مقذوفة: مرمية باللحم من كل جانب منها.

وقد كان شعراء بني تميم مولعين بتصوير قوة الناقة وضخامتها، وسرعتها، وجلدها، وقوة تحمّلها، ومقاومتها ظروف الحياة القاسية، وقدرتها على اجتياز المفاوز الرهيبة، من خلال الاعتماد على الصور البصرية، فيصف علقمة الفحل ناقته الصبور، التي تنطلق في سيرها بصمت، وتمضي مسرعة في الهجير لا تبالي بما يصيبها وكأن همّها الوحيد أن توصل الشاعر إلى المقام الذي يريد، يقول[1]:

وناجيـــة أفنـــى ركيـــبُ ضـــلوعها ... وحاركهـــــا تهجّـــــرٌ فـــــدؤوبُ[2]
وتصـبحُ عـن غِـبِّ السُـرى وكأنهـا ... خبـتٌ بعيـدٌ نيـاطُ المـاءِ مجهـولُ[3]
تعلّـــقَ بـــالأرطى لهـــا، وأرادهـــا ... رجـــــالٌ نـــــبلهم وكَليـــــبُ[4]

فهو يصف ناقته التي أتعبها السير في حرّ الهجير، فصارت ضامرة من شدة سرعة سيرها، حتى إن سنامها قد انحط لشدة ضمورها، وإلحاحها السير دونما توقف، وكأنها غدت بقرة مذعورة في نشاطها وحدتها، إلا أنها على الرغم من حالة التعب التي أصابتها، قد استطاعت أن تصل بالشاعر إلى الوجهة التي أرادها.

كما يظهر هذا النوع من التصوير جلياً واضحاً عند المخبَّل السَّعدي، إذ راح يعمد إلى وصف ناقته وصفاً دقيقاً، مظهرا قوتها وشدتها وصلابتها، من خلال وصفه الطريق الذي سارت فيه، وكيف أنها استطاعت أن تجتازه وتتغلب عليه، فيقول[5]:

عارضـــتْهُ مَلَـــثَ الظَّـــلامِ بمـــدٍّ ... عـــانِ العشـــيِّ كأنهـــا قـــرْمُ[6]
تـــذرُ الحصـــى فلقـــا إذا عصَـــفتْ ... وجـــرى بحَـــدٍّ سَـــرابها الأكَـــمُ[7]
قلقـــت إذا انحـــدرَ الطَّريـــقُ لهـــا ... قلـــقَ المحالـــةِ ضـــمَّها الـــدِعمُ[8]
لحقـــتْ لهـــا عَجُـــزٌ مُؤيَّـــدة ... عقْـــدَ الفقـــار وكاهـــلٌ ضـــخمٌ[9]
وقـــوائمٌ عـــوجٌ كأعمـــدة الـــ ... بُنيـــانِ عـــولى فوقهـــا اللحـــمُ[10]

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 37.
[2] . ناجية: يريد سريعة. ركيب ضلوعها: مقدم السنام، وإذا هزل البعير انحط سنامه. التهجر: السير في الهاجرة.
[3] . القنيص: الصيد، الشبوب: المسنة.
[4] . التعفق: اللواذ. بذت: سبقت. الكليب: جماعة الكلاب.
[5] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 112- 113.
[6] . عارضته: سرت فيه. ملث الظلام: اختلاطه. مذعان: ناقة أذعنت السير. القرم: الفحل المتروك عن العمل من الإبل.
[7] . عصفت: اشتد عدوها. فلق: تكسر الحصى لصلابتها.
[8] . قلق: سير حثيث. المحالة: بكرة البئر. الدعم: العودان اللذان اكتنفا البكرة.
[9] . لحقت لها عجز: لم يخنها عجزها. مؤيد: مشدد مكتنز.
[10] . القوائم العوج: أسرع لها.

وإذا رفعتَ السوط عنها أفزعهَا تحْتَ الضلوع مُروَّعٌ شهْمُ[1]
وتَسُدُّ حاذيْها بذي خُصَلٍ عُقِمتْ فناعمَ نبته العُقْمُ[2]
ولها مناسمُ كالمواقع لا مُعْرٌ أشاعرُها ولا دُرْمُ[3]

فهو يصوّر قوة الناقة ويظهرها على أحسن حال، إذ إنها ناقة سريعة، يشتدّ عدوها كلما أحسّت بالتعب، بل إنها راحت تفلق الصخر لصلابة خطوها على الأرض وشدّته، ثم راح الشاعر يعرض لبعض صفاتها الخلقية، فوصف قلبها الذي كان يفزعها لقوته وسرعة نبضه، في دلالة على قوة الناقة ذاتها وشدّتها، كما أنه وصف ذنبها، فجعله ذنب طويل يسدّ فرجها، فهي لا تحمل وهذا إمعان في قوتها، ويجعل الشاعر قوتها هذه نابعة من قوائمها التي راح يصفها وكأنها أعمدة بنيان صلبة شامخة، فالصورة البصرية في هذه اللوحة شكّلت عماد التصوير الفني الذي لجأ إليه الشاعر في رسم أبرز ملامح ناقته، حتى غدا المشهد ماثلاً أمام المتلقي وكأنه حاضر متواجد فيه، يعيش أحداثه، ويتفاعل معها.

وكما كان للصورة البصرية حضورها في وصف الناقة، كان لها حضور لافت أيضاً في مشهد وصف الفرس، فقد افتخرعدي بن زيد العبادي بفرسه، فذكر صفاته وعدد مناقبه في قوله[4]:

ولقدْ أغدو ويغْدو صُحْبتي بكميْتٍ كَعُكاظيِّ الأَدْمِ[5]
فضلَ الخيْلَ بعرْقٍ صالحٍ بيْنَ يعْبوبٍ ومن آلِ سَحَمِ[6]
فتنامتْ أفحُلٌ نُجْبٌ بهِ فهوَ كالتمثالِ جيَّاشٌ هَزِمِ[7]

فهو يصف فرسه، ويتباهى به على أنه فرس أصيل غير مهجّن (كميت)، ويأتي على ذكر صفة العدو والجري السريع في فرسه، وهي من الصفات التي كان الشعراء التميميون يلحّون عليها، ففرسه عداء لا يتفوق عليه غيره، وقد أراد الشاعر أن يظهر قوة فرسه وصلابته فجعل صوته يشبه هزيم الرعد، وكأنه يدب الرعب في قلوب منافسيه.

---

[1] . المروع: الفؤاد. شهم: شديد قوي.
[2] . تسد خلفها بذنبها. عقمت: لم تحمل فزاد في قوتها وسرعتها.
[3] . المنسم: طرف خف البعير. المواقع: المطارق، معر: قلة الشعر.
[4] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 74.
[5] . الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأحمر والأسود. الأدم: جمع أديم، وهو الجلد. وأديم عكاظي: منسوب إلى سوق عكاظ، وهو مما إليها فبيع بها.
[6] . اليعبوب: صفة للفرس العداء.
[7] . فرس هزم: له صهيل مثل هزمة الرعد.

وقد ذهب شعراء بني تميم إلى التفصيل في صفات الخيل، فوقفوا على صفاتها الجسمية، وضخامتها وقوتها، فصوروا هيأتها وحالها، يقول متمم بن نويرة اليربوعي[1]:

ولقدْ غدوتُ على القنيصِ وصاحبي ... نهْـدٌ مراكِلُـهُ مِسـحٌ جُرْشُـعُ[2]

ضـافي السـبيب كـأنّ غصـنَ أبـاءةٍ ... ريّـان ينفُضُـها إذا مـا يُقْـدَعُ[3]

تئِـقُ إذا أرسـلتَهُ مُتقـاذِفٌ ... طمّـاحُ أشـرافٍ إذا مـا يُنْـزعُ[4]

فيظهر من هذه الأبيات كيف أن الشاعر عمد إلى التفصيل الدقيق في صفات فرسه معتمدا على التصوير الحسي من خلال الصورة البصرية، فراح يصفه بالطول والخفة لتأكيد صفة العدو فيه، ثم أتي على وصف ذنبه وناصيته فشبّه خصائل عرفه إذا نفضه بقصبة رطبة، فإذا دفع نفسه نحو الجري تفجّر من قوته.

وقد صوّر شعراء العصر الجاهلي عموما ضمور خيلهم وسرعتها بصور شتّى، سواء أكانت هذه الصور من الحيوان، أم من الطير، أم من الجمادات [5]. ولقد دأب بعضهم على تشبيه الفرس بالجرادة، وأمعنوا في إبراز سرعته بتلك التشبيهات الحسية، التي لم تخل من حركة وقوة، ومن أمثلة ذلك قول أوس بن حجر[6]:

لعمـرك مـا آسـى طفيـلُ بـن مالـكٍ ... بنـي عـامرٍ إذ ثابتِ الخيلُ تدّعي[7]

تقبّـلَ مـن خيفانـةٍ جُرْشُـعية ... سـليلةِ معْـروق الأباجـل جُرْشُـع[8]

فالشاعر يشبه الفرس في خفته وسرعته بالجرادة، فهو يمتدحه على هذه الصفات، ويلحظ أن الشاعر اختار المشبه به من البيئة الصحراوية التي يراها العربي في حياته ويعي دقائقها، لتكون هذه العلاقة التشبيهية بين الفرس والجرادة ذات أثر نفسي عندما يتلقاها من يسمع هذه الأبيات، فمبعث هذا التصوير هو الصورة البصرية التي تقع عليها عين العربي في بيئته الصحراوية التي يعاينها في حلّه وترحاله.

---

[1] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 97.

[2] .القنيص: الصيد. النهد: التام. المراكل: جمع مركل، وهو موضع رجل الفارس من جنب الفرس. المسح: السريع العدو، وأصل السح الصب. جرشع: غليظ منتفخ.

[3] . الضافي: الطويل. السبيب: شعر الذنب. الناصية والإباءة: القصبة. يقدع: يكف.

[4] . التئق: السريع الجري. المتقاذف: الذي يقذف بنفسه في الجري. الأشراف: الأشواط.

[5] . انظر: القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 95-100.

[6] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 61.

[7] . آسى من المواساة.

[8] . الخيفانة: الجرادة. جرشعية: عظيمة الصدر. الأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ في الرجل أو اليد.

كما ظهرت الصورة البصرية عند الشعراء التميميين حينما وظفوا البقرة الوحشية في إطار التغزل بالمرأة، لاسيما في عيونها، فلطالما شبّهوا عيون محبوباتهم بعيون البقرة الوحشية، ومن ذلك قول علقمة الفحل[1]:

تـراءتْ وأسـتارٌ مـن البيـتِ دونهـا إلينـا وحانـت غفلـةُ المتفقّـدِ[2]

بعينـي مهـاةٍ يحـذُرُ الـدمع منهمـا بـريمين شتّى مـن دمـوع وإثمـدِ[3]

فهو يشبّه عيني محبوبته بجمالها لحظة بروزهما بعد أن غاب الرقيب بعيني بقرة، وزاد من جمال الصورة أن جعل العينين متلألئتين بفعل الدموع التي كنّى بها عن البكاء في هذا الموضع، وهي صورة معتمدة على العين في إظهار صفة الجمال في المرأة عن طريق موجودات الطبيعة.

وقد ذهب عدي بن زيد العبادي إلى تشبيه عيني امرأته بعيني جؤذر في قوله[4]:

لستُ فـي سـلمى ولا جاراتهـا سـامعا فيهـا إلـى قـول أحـدْ

تسْـرُقُ الطَّـرْف بعينـيْ جـؤذرٍ مسـتحيلٍ بـينَ رمْـلٍ وجَلَـدْ

وتتبدّى الصورة البصرية في لوحة المدح أيضاً؛ إذ لطالما وصف الشاعر الجاهلي ممدوحه بالنجوم والكواكب لعلوه وسمو منزلته ورفعته، ومن ذلك قول لقيط بن زُرَارة مفاخراً برفعة قومه بني دَارم الذين كانوا سادة كرام النسب، أسود الحرب، وقادة الكتائب إلى حومة الوغى، فهم كالنجوم والكواكب المضيئة في حلكة الليل [5]:

وإنّي من القوم الذين عَرَفْتَهـم إذا مات منهم سيِّدٌ قام صـاحِبُهْ

نجومُ سماءٍ كلّما غار كوكـبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليهِ كَـواكِبُهْ

أضاءتْ لهم أحسابُهُم ووُجوهُهُم دُجى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعُ ثاقِبُهْ [6]

فالشاعر يركن إلى التصوير المعتمد على حاسة البصر في المدح؛ فراح يشبّه ممدوحه بالكواكب المضيئة في حلكة الليل، وقد اختار الإضاءة في حلكة الليل؛ لأنها تكون أكثر بروزاً وإشراقاً، فتكون أكثر وقعاً على من يبصرها؛ لأنها تبهره بنورها.

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 105.
[2] . تراءت: برزت.
[3] . المهاة: بقر الوحش. ريمين: لونين مختلفين.
[4] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 42.
[5] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص318.
[6] . الجزع: الخرز اليماني.

كما تتبدى الصورة البصرية أيضا في تصوير مالك بن نويرة اليربوعي للسراب في قوله [1]:

لَعَمْري إنّي وابن جارودَ كالذي أرَاقَ شعيب الماءِ والآلُ يبْرُقُ[2]

فهو يصوّر السراب بهذه الصورة البرّاقة، فيجعله أكثر بروزاً لمن يبصره.

كما كان للصورة البصرية حضورها في الحديث عن السحاب، والمطر، والرياح وآثارها على الديار؛ إذ ربط شعراء بني تميم بين السحاب، والمطر، والرياح، كما اقترن ذكر السحاب بذكر الريح التي تسفي الآثار والرمال، فإذا ساقت الريح سحاباً فنزل المطر، كان المطر سبباً في انمحاء تلك الآثار. قال المخبّل السَّعدي يصف ما سبّبته الرياح والأمطار التي ساقتها السحب من اندثار ومحو لآثار الديار[3]:

وأرى لها داراً بأعْدِرَةِ الـ ـسيْدلن لم يَدْرُسْ لها رَسْـمُ[4]
إلا رماداً هامِداً دَفَعَـتْ عنهُ الرِّياحُ خَوالِدٌ سُحْـمُ[5]
وبقيَّةُ النُّؤيِ الذي رُفِعَـتْ أعْضَادُهُ فثْوَى لهُ جِـدّمُ[6]
فكَأنَّ ما أبقى البَـوارحُ والأمطارُ من عَرَصاتِها الوَشْمُ[7]

فالتصوير في هذه المقطّعة يعتمد أساساً على التصوير البصري، وكأن الشاعر يصف للمتلقي ما فعلته الرياح بالديار، فهو يشعر المتلقي بأنه يقف على هذه الآثار المطموسة ويصف ما تقع عليه عيناه، فهو تصوير بصري لأثر الطبيعة على الديار، والطمس الذي حلّ بها.

وقد جاءت الصورة البصرية في معرض حديث شعراء بني تميم عن البرق من خلال أحاديثهم عن الشوق والبعاد، فارتبط ذكره بذكر أحبّتهم، فها هو ذا أوس بن حجر يشبّه البرق بضوء المصباح الذي يرقبه طوال ليله، فيسهره ويقضّ مضجعه، وهو في الوقت ذاته مبشّر بالمطر الغزير، فيقول [8]:

قدْ نِمْتَ عنّي وباتَ البَرْقُ يُسْهِرُني كما اسْتضاءَ يهوديٌّ بمِصْبـاح

---

[1]. الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص76.
[2]. الشعيب: الزادة والرواية. الآل: السراب.
[3]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص110.
[4]. أغدرة السيدان: مكان في ديار بني تميم. الرسم: الأثر.
[5]. هامد: خامد. خوالد: بواقي. سحم: ضاربة إلى السواد.
[6]. النؤي: الحاجز حول البيت. أعضاد: جوانب. ثوى: أقام. الجذم: البقية تبقى من الشيء.
[7]. الوشم: الخضرة تكون في اليد. البوارح: الرياح الشديدة. العرصات: الأماكن والساحات.
[8]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص15.

يا مَن لِبَرْقٍ أبيتُ الليلَ أرْقُبُـــــهُ في عارضٍ كَمُضيْءِ الصُّبْح لمَّاح[1]
دانٍ مُسِفٍّ فوَيْقَ الأرض هَيْدَبُــهُ يكادُ يَدْفَعُهُ مَن قامَ بالـــــــرَّاح[2]
كأنَّ رَيِّقَهُ لمّا علا شَطِبـــــــــاً أقرابُ أبْلَقَ يَنْفي الخَيْلَ رَمَّـــــاح[3]

فالشاعر يصوّر ضوء البرق وشدّة لمعانه بضوء المصباح الذي يرقبه.

وقد صور عدي بن زيد العبادي البرق في سرعة وميضه بالنار في الأشنان[4]:

مِثْلُ نارِ الحَرَّاضِ يَجْلو ذُرَى المُزْ نِ لِمَنْ شامَهُ إذا يَسْتَطيرْ[5]

كما شبّه بعض شعراء بني تميم منظر النخلة وقد تدلّت عذوقها بظعون الأحبّة، وفي ذلك يقول أوس بن حجر في صورة بصرية [6]:

وكأنَّ ظُعْنَ الحيِّ مُدْبِرَةٌ نَخْلٌ بزَارَةَ حَمْلُهُ السُّعُدُ[7]

2. الصورة الحركية:

يُراد بها تلك الصور الفنية التي غلبت الحركة على أجزائها وتراكيبها، وهي التي تمتاز عن بقية الصور بعنايتها بإبراز الفاعلية والنشاط الحركيّ الذي ينساب على سلسلة من لحظات متعاقبة، الحركة في الصورة تكسب المعنى بعداً جمالياً؛ لما تضفيه من نشاط وحيوية ينعكس على النص، ممّا يتولد عنه قبول المتلقين.

وقد أتى هذا النوع من الصور الحسيّة الحركيّة في شعر شعراء بني تميم مرتبطاً أشد الارتباط بعناصر الطبيعة التي راح الشعراء يعبّرون عنها، فيصفون حركاتها وسكناتها، ومن ذلك قول

---

[1]. العارض: هو السحاب الذي يتعرض على وجه السماء، أو الذي يسبقه برق شديد الوميض.
[2]. هيدب السحاب: هو ما تهدّب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط.
[3]. شطب: اسم جبل في بلاد بني تميم. أقراب أبلق: يعني أن البرق إذا برق رأيت الذي يضيئه لم من السحاب أبيض والباقي أسود. ينفي الخيل: يطردها.
[4]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص85.
[5]. الحراض: الذي يحرق الجص ويوقد النار. المزن: السحاب. شام البرق: نظر إليه إلى أين يتّجه وأين يمطر.
[6]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص22.
[7]. زارة: حي من أزد السراة، أو هي الأجمة عامة. السعد: ضرب من رديء التمر.

المخبّل السّعدي يصف حماراً وحشياً مع أتانه فيصف مشهد اللقاء بين هذا الحمار وأتانه، فيصوّر الحركة الدؤوبة بينهما؛ وكيف أنها تبتعد عنه وتهرب منه في مشهد غاية في الدقة، فيقول[1]:

فأقالهـــا بقـــرارةٍ فيهـــا السَّـــفا ... ظمـــأى وظـــلَّ كأنـــه بئســـار[2]

وتفقـــدا مـــاء القـــلاةِ فلـــمْ يجـــدْ ... إلا بقيـــــة آجـــــنٍ أصـــــفار[3]

فأدارهـــا أصـــلا وكلَّـــفَ نفسَـــهُ ... تقريـــبِ صـــادقةٍ النَّجـــاء نـــوار[4]

يغشـى كريهتهـا علـى مـا قـد يـرى ... فـــي نفســـها مـــن بغضـــة وقـــرار

ترمـــــي ذراعيـــــهِ وبلْـــدَةً نحْـــرهِ ... بحصـــى يطيـــر فضاضـــة وغبـــار

وتفوتُـــهُ نَشَـــزا فيلْحَـــقُ معْجِـــلا ... ربْـــذ اليـــدينِ كفـــايض الأيســـار[5]

يعلـــو فـــروعَ قطاتهـــا مـــن أنْســـهِ ... بملاحِـــكٍ كرحالـــة النجـــار[6]

وقد وقف الشعراء التميميون على لوحة صيد حمار الوحش، فصوّروا فيها حركة هذا الحمار التي تظهر حالة الترقب والحذر التي يكون فيها مع أتانه، وكيف أن الصياد يراقبهما، ومن ذلك قول المخبّل السّعدي[7]:

فتـــذكرا عينـــا يطيـــرُ بعوضُـــها ... زرقـــاء خاليـــة مـــن الحضّـــار[8]

والأزرق العجلـــيُّ فـــي ناموســـهِ ... بـــاري القـــداح وصـــانعُ الأوتـــار[9]

مـــن عيشـــةِ الفتـــراتِ أحســـنَ صـــنْعها ... بحصـــــايد القصْـــــباءِ والخبَّـــــار

فـــدنتْ لـــهُ حتـــى إذا مـــا أمكنـــتْ ... أرســـاغهُ مـــن معطـــمِ التيّـــار

وأحســـن حسّـــهما فيسَّـــر قبضـــة ... صـــفراءَ راشَ نضـــيُّها بظْهـــار

فرمـــى فأخطأهـــا ولهّـــفَ أمّـــه ... ولكـــلِّ مـــا وقـــى المنيّـــة صـــاري

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 106-107.
[2] . أقالها: من القيلولة والراحة.
[3] . القلاة: ماء الجبل، والقلات موضع في ديار تميم. آجن: متغير، أصفار: جمع صفرة وهي الخالية من الماء.
[4] . النجاء: السرعة. النوار: النفور.
[5] . ربذ اليدين: متلاحق وسريع.
[6] . القطاة: موضع الردف من المؤخرة.
[7] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 107.
[8] . مولعة: بقرة فيها خطوط سود. القنيص: الصائد.
[9] . التعفق: اللواذ. بذت: سبقت وغلبت.

في النعام، وهي ما يتميز به النعام، فنجد أوس بن حجر يصف النعامة والظليم، وهما مندفعان في سيرها، فيقول[1]:

وتبْـري لــهُ زعـراءَ أمّــا انتهارُهــا ففـوتٌ وأمــا حـينَ يعْيـى فتلحـقُ[2]
كــأنّ جِهــازا مــا تميــلُ عليهمــا مقاربــةٌ أخْصــامُهُ فهْـوَ مشْـنَقُ[3]
إذا اجتهــدا شــدّا حســبْتَ عليهمــا عريشـا عَلَتْـهُ النـارُ فهـو يحـرَّقُ[4]

فهو يصف النعامة خفيفة الريش في هذا الموضع، ويبيّن سرعتها وشدّة عدوها، فلا يلحق بها لاحق، وقد شبه خفة عدوها بحفيف ظلة من ثمام أو غيره قد اشتعلت فيها النار، فالمشهد هنا يعتمد كلّياً على تصوير حركة النعامة التي تظهر خفتها وسرعتها.

وقد وظّف شعراء بني تميم الصفة الغالبة على النعامة، وهي سرعة عدوها، في صور مختلفة من شعرهم، واستغلوا هذه الخصلة، فشبّهوا بها مطاياهم وسرعة سيرها في الأرض، ومن ذلك تشبيه علقمة الفحل ناقته بالظليم في قوله[5]:

هل تُلحقنـي بـأولى القومِ، إذ شحطوا جُلذيــة كأتــان الضّــحلِ عُلكــومُ[6]
كأنّهــا خاضِــبٌ زُعْــرٌ قوائمُــهُ أجنـى لـهُ بـاللّوى شـرْيٌ وتنُّـومُ[7]

فالشاعر راح يصوّر حركة ناقته وسرعتها وخفتها مشبّها إياها بسرعة هذا الظليم قليل الريش، فهو يذكر الظليم والنعام الذي احمرّت ساقاه وأطراف ريشه، لكثرة رعيه العشب؛ لأنه يكون أسرع في هذه الحالة وأنشط، فلا تتمكّن الخيل من طلبه، ولعل الباحث هنا يلاحظ كيف تبدو الصورة عند الشاعر متداخلة، إذ تتعاضد الصورة البصرية مع الصورة الحركية في إبراز مشهد الوصف، فاحمرار لون ساقي النعامة والظليم وريشهما، وهو تصوير يعتمد على حاسة البصر، يأتي ممهّداً للصورة الحركية التي تنبني على الصورة السابقة؛ فاحمرار الساقين هو ما يجعل الحركة تتبدّى في النعامة والظليم فتجعل حركتهما سريعة نشطة، ومن هنا؛ ذهب الشاعر لتشبيه ناقته بهما.

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 78.
[2] . تبري: تتعرض. الزعراء: النعامة الخفيفة الريش.
[3] . الجهاز: المتاع. يريد كأن على كل واحد منهما حملاً من جناحه. أخصامه: نواحيه، واحدها خصم. مشنق: مرفوع عليهما.
[4] . العريش: ظلة من ثمام أو غيره.
[5] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 57.
[6] .أوللي القوم: أولهم. شحطوا: بعدوا. جلذية: ناقة شديدة. الأتان: صخرة تكون في الماء، فهو أصلب لها. العلكوم: كثير اللحم.
[7] .الخاضب: الظليم الذي أكل الربيع. الزعر: القليلة الريش. الشري: شجر الحنظل .

وكما وصف الشعراء حركة مظاهر الطبيعة المتعددة، مثل؛ سرعة النعام وخفة عدوه، فقد وصفوا سكونه وهدوءه أيضا، فعَبَدة بن الطبيب يصف سكون الضواري ومنه النعام في لوحة شعرية فيقول[1]:

وعازبٍ جادَهُ الوسميُّ في صَفَرٍ ... تسْري الذّهابُ عليهِ فهو موبولُ[2]
ولم تسمَّع به صوتا فيفْزعها ... أوابد الرُّبْدِ والعينُ المطافيلُ[3]
كأنّ أطفال خيطان النّعام بهِ ... بَهْمٌ مُخالطهُ الحفَّانُ والحولُ[4]
أفزعتْ منه وحوشا وهي ساكنةٌ ... كأنها نَعَمٌ في الصُّبْح مشلولُ[5]

فالشاعر في هذه اللوحة يصف لنا مشهداً من الطبيعة التي كان يعاينها في سفره وترحله، فيذكر أنه نزل في منطقة ليلاً لا ينزل إليها أحد عادة، وكان المطر قد بللها، فوجد فيها أنواعاً من الحيوانات البرية الساكنة الهادئة التي كانت ترعى، فذكر النعام التي ترعى برفقة أولادها، إلا أنها فزعت لنزوله بعد حالة السكينة التي كانت تغلب عليها.

وقد ربط الشعراء التميميون في بنائهم للصورة الحركة بين عناصر الطبيعة المتعددة، سواء أكانت صامتة، أم صائتة، فقد جعلوا للمطر أهميّة كبيرة في قصة الظليم والنعامة، فقد رسم الشعراء حركة الظليم وفزعه من المطر، إذ كان يشعر بالخوف والهلع، فيعمد إلى الهروب ليفرّ من العاصفة والمطر والريح الباردة، فينطلق مسرعاً إلى بيضه ليحفظه من المطر، وما إن يصل هو والنعامة إلى عشّهما حتّى تحتضن النعامة البيض، وتبعث فيه دفء الحياة، وقد فصّل علقمة الفحل القول في هذا المشهد المليء بالحركة، فقال[6]:

كأنها خاضبٌ زُعْرٌ قوائمُهُ ... أجنى لهُ باللّوى شرْيٌ وتنُّومُ[7]
يظلُّ في الحنظلِ الخُطْبانِ ينقُفُهُ ... وما استطفَّ من التَّنُّومِ مخذومُ[8]
فوهٌ كشَقّ العَصا لأيا تبيَّنهُ ... أسكُّ ما يسْمعُ الأصواتَ مصلومُ[9]

---

[1] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 75- 76.
[2] .العازب: المنتحي، يريد كلأ عزب عن الناس فلم يرعه أحد. جاده: أصابه بجود. الوسمي: المطر الذي يسم الأرض بشيء من النبت. تسري: تسير بالليل. الذهاب: جمع ذهبة، وهي الدفعة من المطر. الموبول: الذي أصابه الوبل، وهو مطر عظام القطر شديد الوقع.
[3] . أراد أنه في قفر لا تمر به أحد فالوحش تعتاده. الأوابد: الوحش التي تسكن البيداء. الربد: النعام. العين: البقر. المطافيل: التي معها أولادها .
[4] . الخيطان: قطعان النعام. البهم: أولاد الغنم. الحفان: أولاد النعام. الحول: جمع حائل، وهي التي لم تحمل صغيرها.
[5] . المشلول: المطرود.
[6] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 58-64.
[7] . الخاضب: الظليم الذي أكل الربيع، واحمرّت قوائمه، وأطرف ريشه. الزعر: القليلة الريش. اللوى: ما التوى من الرمل. الشري: شجر الحنظل.
[8] . الخطبان: من الحنظل الذي صارت فيه خطوط صفر وحمر.
[9] . أسك الأذنين: صغر الأذن وضيقها. المصلوم: المقطوع الأذن.

حتّـــى تـــذكَّرَ بيضـــاتٍ وهيَّجَـــهُ ... يـــومُ رذاذٍ عليـــه الـــريحُ مغيـــومُ[1]
فـــلا تزيُّـــدُه فـــي مشْـــيه نَفِـــقٌ ... ولا الزَّفيـفُ دويـنَ الشـدِّ مسْـؤومُ[2]
يكـــادُ منســـمه يختـــلُّ مُقْلتـــهُ ... كأنـــه حـــاذرٌ للـــنَّخْسِ مشْـــهومُ[3]
يـــأوي إلـــى خُـــرَّقٍ زُعْـــرٍ قوادمُهـــا ... كـــأنّهنَّ إذا بـــرَّكْنَ جُرْثـــومُ[4]
وضّـــاعة كعصـــيّ الشـــرْعِ جؤجـــؤهُ ... كأنَّـــهُ بتنـــاهي الـــرّوضِ عُلجـــومُ[5]
حتّـــى تلافـــى قـــرْنَ الشـــمسِ مُرتفـــعٌ ... أدْحـــيَّ عرسينِ فيـه البيضُ مركـومُ[6]
يـــوحي إليهـــا بإقـــاصٍ ونقْنَقَـــةٍ ... كمـــا تـــراطن فـــي أفـــدانها الـــرومُ[7]
صَـــعْلٌ كـــأنّ جناحَيـــهِ وجؤجـــؤه ... بيـــتٌ أطافـــتْ بـــه خرقـــاءُ مهجـــومُ[8]
تحُفُّـــهُ هِقْلـــة ســـطعاءُ خاضـــعةٌ ... تجيبُـــهُ بزمـــارٍ فيـــه تـــرنيمُ[9]

فهذه لوحة تصف جانباً من الحياة التي كان الظليم وأفراخه يعيشونها، وقد سلّط الشاعر الضوء على نفسية هذا الظليم الذي راح يدافع ويكافح في دفاعه عن أفراخه وبيضه، في يوم ماطر ذي ريح، لعلمه أن الريح والرذاذ سيغير البيض ويفسده، ومن هنا شرع الشاعر في تصوير مشهد الظليم الفزع، حيث أخذ يركض ويجدّ في عدوه حتى يحمي فراخه، حتى إن ظفره كاد ينخس عينه لأنه من شدة عدوه راح يمد رقبته ليسرع أكثر وأكثر، إلى أن وصل إلى فراخه التي وجدها ملتصقة بالأرض، وقد شبهها الشاعر بالجراثيم للصوقها بالأرض واجتماعها، فهي رحلة كفاح ومعاناة إذن، عمد الشاعر إلى رسم دقائقها بدقة متناهية.

وقد جاءت الصورة الحركية رابطاً بين موجودات الطبيعة ومكوناتها الصائتة والصامتة عند سلامة بن جندل أيضاً؛ فقد ربط في شعره بين حركة المطر وحركة السحاب وحركة النعام، إذ يقول[10]:

---

[1] . الرذاذ : القطر الصغار.
[2] : التزيّد: فوق المشي. النفق: الذاهب المنقطع. الزفيف: دون العدو. الشد: العدو الشديد. المسؤوم: المملول،
[3] . منسمه: ظفره. يختل مقلته: يريد أنه يزج برجليه زجا شديدا، ويخفض عنقه، ويمدها في عدوه. المشهوم: الفزع.
[4] . الخرّق: الفراخ اللازقة بالأرض. زعر قوادمها: أي أن ريش قوادمها لم ينبت بعد.
[5] . وضاعة: ضرب من العدو. عصي الشرع: العود. الجؤجؤ: الصدر.
[6] . تلافى: تدارك. الأدحي: مبيض النعام. العرسين: الظليم والنعامة. المركوم: الذي ركب بعضه بعضا لكثرته.
[7] . الأفدان: جمع فدن، وهو القصر.
[8] . الصعل: الرقيق العنق، الصغير الرأس من الظلمان، وبذلك توصف. الخرقاء: المرأة التي لا تحسن العمل.
[9] . تحفه هقلة: تغشى الظليم، وتحيط به هقله، وهي النعامة. السطعاء: الطويلة العنق. السطاع: عمود في وسط البيت أو مقدمه، وقد شبه عنقها به. الخاضعة: التي أمالت رأسها ووضعته للرعي. الزمار: صوت النعامة. العرار: صوت الظليم.
[10] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص 136.

ومَجَــرٌّ ســـاريةٍ تجـــرٌّ ذُيولهـــا نـــوْس النعـــام تنـــاط بالأعنـــاق[1]
مصـــريّةٍ نكبـــاءَ أعـــرض شـــيمُها بأشـــــابةٍ فـــــزَرودَ فـــــالأفلاق[2]

فالشاعر يستثمر حركة هذه السحابة التي راح يخبر عنها بأنها قدمت ليلاً من مصر لتحمل المطر الكثير، وقد راح يشبّهها بالنعامة في تذبذبها وتحرّكها، ولعل الشاعر جاء بهذا التشبيه في هذا الموضع؛ لأنه راح يستدعي صورة النعام الحاضرة في الذهن العربي، وما يصيبها من هلع وفزع من الطر، مما يحدث فيها حركة متذبذبة، فراح يعقد هذه المشابهة في حركة السحاب وحركة النعام من خلال هذه الصورة الحركية.

ومن الصور الحركية وصف عدي بن زيد العبادي للمطر الغزير الذي جادت به سحابة ليلية مثقلة بالماء، فهي تسير مثل الكسير بكل أناة وهدوء، وقد استفرغتها ريح الشمال، فأسبلت مطرها الغزير، وذلك في قوله [3]:

وحَبيٍّ بعدَ الهُدُوِّ تُزَجِّيـــ ـــهِ شَمَالٌ كما يُزَجَّى الكَسيرُ[4]
مَرِحٌ وَبْلُهُ يَسُحُّ سُيولَ الـ ـسماءِ سَحّاً كأنّهُ مَنْحـــورُ[5]

فهو يصوّر حركة هذه السحابة الليليّة المثقلة بالماء، فيجعلها تسير ببطء وهدوء لثقل حملها، ثم سرعان ما تصل إلى مقصدها بفعل حركة الريح التي تجرّها معها، فتفرغ حملها، فجاءت حركة المطر المنهمر على الأرض متناسبة والثقل الذي كان واقعاً في حركة السحاب.

وفي الإطار ذاته يصف أوس بن حجر بدقة وروعة حالة جويّة هبّت فيها ريح الجنوب المحملة بالمطر الغزير الذي يسوق أمامه كل ما يعترضه، وما يسبقه من وميض البرق ودويّ الرعد، يقول[6]:

هَبَّتْ جَنوبٌ بأعلاهُ ومالَ بـــهِ أعْجازُ مُزْنٍ يَسُحُّ المـــــاءَ دَلَّاح[7]
فالْتَجَّ أعلاهُ ثمَّ ارْتَجَّ أسْفَلُـــــهُ وضاقَ ذَرْعَاً بحمْلِ الماءِ مُنْصاح[8]

---

[1] .سارية: سحابة تأتي ليلا. ذيولها: مآخيرها. النوط: التعليق.
[2] . مِصْرية: قادمة من نحو مصر. شيمها: مطرها.
[3] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص86.
[4] . الحبي: السحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض. تزجيه: تسوقه.
[5] . مرح السحاب: إذا أسبل المطر. والمرح : خروج الدمع إذا كثر. سح المطر: إذا تتابع غزيراً.
[6] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص16.
[7] . الجنوب: ريح تأتي بمطر غزير. الأعجاز: جمع عجز، وهو مؤخر الشيء. المزن: السحب الأبيض. دلاح: مثقل بالماء.
[8] . التجّ: صوّت، وهو من اللجة. منصاح: منشق الماء.

كأنَّما بينَ أعلاهُ وأسْفلِـــــــهِ رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضوءُ مصبـــــاح[1]

يَنْزِعُ جلدَ الحَصى أحجَشَّ مُبْترِكٌ كأنَّهُ فاحِصٌ أو لاعِبٌ دَاحـــــي[2]

فمَنْ بنَجْوَتِهِ كَمَنْ بمَحْفِلِـــــــهِ والمُسْتَكِنُّ كمن يمشي بـــقِرْواح[3]

فالتصوير في هذه المقطعة تتداخل فيه الصور بأنواعها المتعددة، إذ إن الصورة البصرية تتبدّى في وميض البرق الذي يملأ الأفق لمعاناً وضوءاً، إلى جانب ذلك تظهر الصورة السمعية الصوتية التي تتمثل في صوت الرعد الذي يأتي مدويّاً، أما الصورة الحركية فتظهر من خلال حركة الرياح التي تجر السحب المحملة بالأمطار.

ويعدّ موضوع الصيد من المواضيع التي تظهر فيها الصورة الحركية جلية واضحة، إذ أكثر شعراء بني تميم من وصف مشهد الكلاب وهي تطارد الصيد؛ وهو مشهد تملؤه الحركة الدؤوبة بين كر وفر، فقد وصف أوس بن حجر مشهد كلاب الصيد تطارد ثوراً في قوله[4]:

لَهَقـــا كـــأنَّ سَـــرَاتَهُ كُســـيتْ خـــرزا نَقـــا لـــم يعْـــدُ أنْ قشَـــبا[5]

حتّـــى أتـــيحَ لـــهُ أخـــو قـــنَصٍ شـــهْمٌ يُطِـــرُّ ضـــواريا كُثُبـــا[6]

فالشاعر يصوّر حركة الكلاب في مشهد الصيد، وهي مسوقة أمام الصياد تلاحق ذلك الثور الوحشي، وهو من المشاهد المتكررة في الشعر الجاهلي عموماً، وقد صور متمم بن نويرة اليربوعي فرسه في شدة عدوه وسرعته وكأنه ظبي تلاحقه كلاب الصيد في قوله[7]:

ولقدْ غدوتُ على القنيصِ وصاحبي نهْدٌ مراكِلُهُ مِسحٌ جُرْشُعُ[8]

ضافي السبيب كأنّ غصنَ أباءةٍ ريّان ينفُضُها إذا ما يُقْدَعُ[9]

تئِقُ إذا أرسلتَهُ مُتقاذِفٌ طمّاحُ أشرافٍ إذا ما يُنْزعُ[10]

---

[1] . الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين. منشرة: منشورة.

[2] . أجش: غليظ الصوت، وهو صفة للرعد الذي يصحب هذا السحاب. المبترك: من الترك، أي أسرع في العد وجدّ فيه. الفاحص: هو الذي يقلب وجه التراب كما تفعل القطاة حين تشق أفحوصتها. الداحي: هو الذي يلعب بالمدحاة، وهي خشبة يدحي بها الصبي فتمر على وجه الأرض لا تأتي على شيء إلا اجتحفته.

[3] . النجوة: ما ارتفع من الأرض. المحفل: مستقر الماء. القرواح: الأرض المستوية الظاهرة. المستكن: الذي في بيته. والمعنى المراد إطباق الأرض، فمن كان في الارتفاع كمن كان في الاستواء، ومن كان في ظهر الصحراء كمن هو في بطنها.

[4] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 3.

[5] . اللهق: الأبيض، وهو صفة في الثور. السراة: الظهر. نقا: خيار الشيء. قشب: جلي.

[6] .أخو قنص: صياد. يطر: يسوق كلابه ويدفعها أمامه. كثبا: مجتمعة.

[7] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 97.

[8] .القنيص: الصيد. النهد: التام. المراكل: جمع مركل، وهو موضع رجل الفارس من جنب الفرس. المسح: السريع العدو، وأصل السح الصب. جرشع: غليظ منتفخ.

[9] . الضافي: الطويل. السبيب: شعر الذنب. والناصية والإباءة: القصبة. يقدع: يكف.

[10] . التئق: السريع الجري. المتقاذف: الذي يقذف بنفسه في الجري. الأشراف: الأشواط.

وكأنّهُ فوتَ الجوالبِ جانئا رَئِمٌ تضايفهُ كلابٌ أخضعُ[1]

فقد أراد أن يظهر حال فرسه في سرعته وشدة عدوه، فجاء بصورة الظبي الذي تلاحقه كلاب الصيد، فتأخذ به هنا وهناك للدلالة على شدة جريه، وهي من الصور التي تشعّ حركة وحيوية، إذ إن عناصرها الثلاثة، وهي؛ الكلب، والفرس، والظبي، راح الشاعر يمثلها في حركة دؤوبة مستمرة.

وكذلك ذهب علقمة الفحل إلى تصوير حركة ناقته، وسرعتها، ونشاطها، فجاء بمشهد كلاب الصيد معها، إذ يقول[2]:

وناجيةٍ أفنى ركيبُ ضلوعها وحاركها تهجّرٌ فدؤوبُ[3]
وتصبحُ عن غِبِّ السُرى وكأنها خبتٌ بعيدٌ نياطُ الماءِ مجهولُ[4]
تعفّقَ بالأرطى لها، وأرادها رجالٌ نبلهم وكَليبُ[5]

فهو يرسم مشهداً تبدو فيه ناقته وكأن كلاب الصيد تلاحقها، وتريد النيل منها، إلا أنه يجعلها تبذل جهداً عظيما فتسبق الكلاب والصياد الذي معها، فهو يجعلها تتفوق على كلاب الصيد هذه.

وقد ظهرت الصورة الحركية في مشهد وصف الحية وسرعتها، وما تمتاز به، فقد راح بعض الشعراء التميميين يستخدمونها في تشبيه حيواناتهم بها، إذ ذهب حذيفة بن بدر[6] إلى تشبيه فرسه السريعة بالحية مفتتحاً بمقدمة غزلية، إذ يقول[7]:

كَلَفْني قلبي وماذا كلّفا
هوازنياتٌ حللْنَ غريفا[8]
أقمْنَ شهْرا بعدما تصَيَّفا[9]

---

[1] . الجوالب من قولهم: جلب الفارس على الفرس إذا أرصد له قوما في طريقه يصيحون به في الرهان. جانئا: مكبا. الرئم: الظبي الأبيض.
[2] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 38.
[3] . ناجية: يريد سريعة. ركيب ضلوعها: مقدم السنام، وإذا هزل البعير انحط سنامه. التهجر: السير في الهاجرة.
[4] . القنيص: الصيد. الشبوب: المسنة.
[5] . التعفق: اللواذ. بذت: سبقت. الكليب: جماعة الكلاب.
[6] . هو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، شاعر عالم في اللغة والنسب، لقبه الخطفي، وابنه عطية شاعر، وحفيده جرير الشاعر الكبير زمن بني أمية. انظر: الأصفهاني، الأغاني، 8 : 2. والمعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص251.
[7] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 252.
[8] . هوازنيات: من هوازن. الغريف: موضع في ديار بني بني سعد.
[9] . تصيف: أقام زمن الصيف.

حتـى إذا مـا طـرد الهيـفُ السَّـفا[1]
قــرَّبَ شــولا ودلــيلا مُخْشــفا[2]
يــرفعْنَ بالليــلِ إذا مــا أسْــدفا[3]
أعنــاقَ جنــانٍ وهامــا رجَّفــا[4]
وأعينــا بعْــدَ الكَــلال ذرَّفــا
وعنْقــا بــاقي الرَّســيم خيطفــا[5]

فهو يشبّه هذا الفرس في هذا الموضع بالحية (الجنان) لشدة سرعته وخفة حركته، ويُلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الشعراء كانوا يختارون النوع من الحيات بدقة شديدة ليقيموا هذه العلاقة من المشابهة بينها وبين ما يريدون التشبيه به، إذ إن هذا النوع من الحيات التي تأتي في الأبيات ربما كانت معروفة بصفة السرعة والخفة أكثر من غيرها من الحيات الأخرى، ولهذا؛ أراد الشاعر تشبيه الفرس بها لتأكيد صفة السرعة والخفة في فرسه.

كما يظهر التصوير المعتمد على الحركة من خلال لوحة بديعة يرسمها عدي بن زيد في حديثه عن حتمية الموت؛ إذ راح يشبه الأموات بالورق الجاف الذي تحرّكه الرياح وتنقله من مكان لآخر، فيقول[6]:

ثمَّ بعدَ الفلاح والمُلْكِ والـ ـإمَّةِ وارَتْهُمُ هناكَ القُبُـورُ[7]
ثمَّ أصبَحوا كأنَّهُمْ ورَقٌ جَـ ـفَّ فألْوَتْ بهِ الصَّبا والدَّبور[8]

فهو يجعل من الأموات أوراق أشجار سقطت عن الأغصان لتعلن عن نهاية رحلتها في الحياة، ومن هنا يستثمر عدي بن زيد العبادي هذه الصورة البصرية لينشئ منها صورة حركية بديعة، إذ يجعل هذه الأوراق الجافة المتساقطة هدفاً سهلاً للرياح التي راحت تحركها كيفما شاءت، فغدت حركتها لا إرادية فلا حول لها ولا قوة؛ وفي هذا تصوير فني بديع لحالة الموت، وكيف أن الإرادة أصبحت معدومة.

---

[1] . الهيف: ريح حارة تأتي من اليمن، وهي نكباء تيبس النبات وتعطش الحيوان. السفا: النبات.
[2] . الشول: جمع شائلة، الذنب. والشائلة من الإبل: هي التي حملت سبعة أشهر. مخشف: ذاهب في الأرض. الخشف: الحركة والصوت.
[3] . أسدف: أظلم. والسدفة من الأضداد بمعنى الضوء والظلمة.
[4] . الجنان: نوع من الحيات يضرب إلى الصفرة. رجف: كثير الحركة والسير.
[5] . عنق: ضرب من سير الإبل. الرسيم: السير بسرعة. الخيطف: سرعة انجذاب السير.
[6] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص89 – 90.
[7] . الفلاح: البقاء. الإمة: النعمة.
[8] . ألوت: ذهبت به. الصبا: ريح، ومثلها: الدبور.

3. الصور السمعيّة :

هي تلك الصور الفنية التي تتّكئ على حاسة السمع، مصدراً لها، وسبيلاً لتوظيفها في معاني الشعراء عقب التقاطها بحاسة السمع.

وقد ألفت الدراسة صوراً سمعيّة متعددة، فرصدت صوت الرعد، وصوت الطيور، وصوت الحيوانات، مثل؛ الإبل، والخيل، والحمر الوحشيّة، وغيرها، والصوت الناتج عن حركتها، فهذا علقمة الفحل يرسم صورة سمعية لناقته التي راح يشبّهها بالثور الوحشي في قوله[1]:

تُلاحظُ السوط شزرا وهي ضامزة كما توجَّس طاوي الكشح موشوم[2]

ففي اللحظة التي راحت الناقة فيها تصغي إلى صوت السوط وتتسمّع حسه أخذ الشاعر يشبّهها بالثور الوحشي، ويبدو أن الشاعر خص الثور بهذا التشبيه؛ لأنه أكثر الحيوان تسمّعا، وأصدقها سمعا.

كما أن بعض شعراء بني تميم اتخذ من صوت الغراب تذكيراً بحالة الغربة، والفرقة التي ألمّت به بعد رحيله عن الأهل والديار، يقول لقيط بن زُرَارة[3]:

أمِنْ دِمْنَةٍ أقفرتْ بالجِنابِ إلى السَّفْح بين المَلا فالهضابِ[4]

بكيتَ لعرْفانِ آياتِها وهاجَ لك الشوقَ نعْبُ الغرابِ

فنعيب الغراب في هذين البيتين راح يذكّر الشاعر بحالة الغربة وألم الفراق الذي يعانيه جرّاء ابتعاده عن أهله وأحبائه، فالصورة السمعية هنا لها ارتباط نفسي بالشاعر؛ إذ إنها تصور الأزمة النفسية التي يعاني منها.

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 57.
[2] . الطاوي: الضامر. الكشح: يعني ثوراً وحشياً، شبه ناقته به.
[3] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 312.
[4] . الجناب: موضع من منازل بني مازن في تميم. الملا: قرية لبني مالك بن عمرو بن ثمامة، وهي أرض ليست فيها حجارة.

وقد وظّف شعراء بني تميم صوت الديك في أشعارهم للدلالة على نشاطهم وحيويتهم ومباكرتهم الأشياء، فأخذ طابع الدلالة على استيقاظ الشاعر باكراً، وعلى نشاطه وتفوقه في ميدانه، فعَبَدة بن الطبيب يفخر بأنه يغدو قبل صياح الديك في قوله[1]:

وقد غدوتُ وقِرنُ الشمس مُنفتقٌ ودونهُ من سوادِ الليل تجليلُ[2]

إذا أشرف الدّيكُ يدعو بعضَ أسْرتهِ لدى الصّباح وهم قومٌ معازيلُ[3]

وهو المعنى ذاته الذي راح عدي بن زيد العبادي يذكره في قوله[4]:

قدْ تبطَّنْتُ وتحتي جسْرةٌ تخْلِطُ المشْيَ تُعادي كالفرَدْ[5]

مصْرَخَ الدّيكِ بكفّيْ جُرْشُعٍ سابغٌ أسْفلُهُ ضخْمُ الكتَدْ[6]

فهو يتفاخر أنه دخل إلى بطن هذا الوادي على هذه الناقة الجسرة وقت صياح الديك، غير أن الأسود بن يعفر النهشلي أخذ يوظف صياح الديك في دلالته على البكور ليس في قطع المفازات والفلوات على ناقة جسرة، وإنما في شرب الخمر ومباكرة اللذات، إذ يقول[7]:

وقهْوة صهْباءَ باكرْتُها بجُهْمةٍ والديكُ لم ينعبِ[8]

فالصورة السمعية في الأبيات السابقة كان لها حضورها اللافت، إذ إن الشعراء اتخذوا من الملمح الصوتي البادي فيها مرتكزاً رئيساً لإظهار صفاتهم، والخصال التي يتمتعون بها.

وقد افتخرعدي بن زيد العبادي بفرسه، فذكر صفاته وعدد مناقبه، فجعل صوته كهزيم الرعد يدب الرعب في نفوس أعدائه في قوله[9]:

ولقدْ أغدو ويغْدو صُحْبتي بكميْتٍ كَعُكاظيِّ الأدْمْ[10]

فضلَ الخيْلَ بعرْقٍ صالح بيْنَ يعْبوبٍ ومن آلِ سَحَمْ[11]

---

[1] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 78-79.
[2] . تجليل: الباس، كأنه متعظ بجلال من سواد الليل.
[3] . أسرته: قومه، ويعني الديوك. المعازيل: الذين لا سلاح لهم، وهم الدجاج هنا.
[4] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 44.
[5] . تنبطن الشيء: دخل بطنه، الفرد: الواحد.
[6] . الجرشع: عظيم الصدر. سابغ: واسع، الكتد: الكتف.
[7] . النهشلي، الأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، ص 22.
[8] . الجهمة: بقية من سواد الليل في آخره. ينعب: يصوت.
[9] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 74.
[10] . الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأحمر والأسود. الأدم: جمع أديم، وهو الجلد. وأديم عكاظي: منسوب إلى سوق عكاظ، وهو مما إليها فبيع بها.
[11] . اليعبوب: صفة للفرس العداء.

فتنامـــتْ أفحُـــلٌ نُجْـــبٌ بـــهِ فهـــوَ كالتمثـــالِ جيَّـــاشٌ هَـــزِمِ[1]

فقد أراد الشاعر أن يظهر قوة فرسه وصلابته فجعل صوته يشبه هزيم الرعد، وكأنه يدب الرعب في قلوب منافسيه، فالصورة السمعية في هذا الموضع تتآزر في مضمونها مع صفات الفرس الأخرى التي راح الشاعر يذكرها في أبياته.

كما كان للصورة السمعية حضور في الطبيعة الصامتة؛ إذ أخذ الشعراء يستخدمون أحد الألفاظ الدالة على الصحراء، وهو لفظ (دوية)، وهو لفظ ذو دلالة صوتية سمعية في أساسه، وتسمى الصحراء دويّة لدويّ الصوت الذي يسمع فيها، أو لأنها تدوّي بمن صار فيها، وتذهب به، وبها يصفها سلامة بن جندل قائلاً[2]:

ودَوِيَّةٍ لا يُهْتَدى لِفَلاتِها بعِرْفانِ أعلامٍ ولا ضوءِ كَوْكَبِ[3]

وتظهر الصورة السمعية في الحديث عن شدّة صوت الرعد التي كانت ترعب العرب، وفي هذا المقام قال عدي بن زيد العبادي مشبّهاً صوت الرعد بقرع الدفوف في الأعراس[4]:

زَجِلٌ عَجْزُهُ يُجـــــــلو بُهُ دَفٌّ لخُونٍ مَأدوبَةٍ وَزَمِـــيرْ[5]

وشبّه أوس بن حجر صوت قوسه إذا أرسلت بصوت الرعد لقوتها ومتانتها، فقال[6]:

وَصَفْراءَ مِن نَبْعٍ كأنّ نَذيْرَها إذا لمْ تُخَفِّضْهُ عن الوَحشِ أفْكَلُ [7]

كما وظّف المخبّل السعدي صوت الرعد في صور وتشبيهاتٍ عديدة، فنجده يشبّه صوت الخيل حول حياضها بوقع المطر ودويّ الرعد، فيقول[8]:

لها لَجَبٌ حول الحِياضِ كأنَّهُ تجاوبُ أغْياثٍ لَهُنَّ هَزِيْمُ[9]

---

[1]. فرس هزم: له صهيل مثل هزمة الرعد.
[2]. سلامة بن جندل، ديوان سلامة بن جندل، ص120.
[3]. الدوية: المفازة البعيدة الأطراف، وقيل: الدوّ: الفلاة الواسعة، الأعلام: جمع علم، وهو شيء ينصب في الفلوات، تهتدي به الضالة.
[4]. عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص85.
[5]. زجل: طرب وغنى، والزجل: سحاب ذو زجل، أي ذو رعد. الخون: جمع خوان، وهو الذي يؤكل عليه (أعجمي معرب). المأدوبة: المأدبة التي يدعى إليها الناس.
[6]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص96.
[7]. النبع: شجر مرن تؤخذ منه القسي. نذيرها: صوتها. الأفكل: الرعدة. إذا لم تخفضه: من خفض الصوت، وهو كناية عن الضرب بها وإرسالها، فإنها إذا أرسلت صوتت.
[8]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص124.
[9]. أغياث: جمع غيث. هزيم: صوت الرعد.

4. الصور اللّمسيّة:

يُراد بها الصور الفنية المستمدّة من حاسة اللمس، إذ تتخذ من هذه الحاسة مصدراً لماهيّتها، كما تتميّز الصورة اللّمسية باتخاذها من الملموسات الخشنة، والناعمة، وما اتصفت به من برودة، وحرارة، وصلابة، وليونة؛ سمة لبيانها.

فأوس بن حجر مثلا يتغنى أمام قومه بصفات ناقته فراح يصفها بأنها صلبة قوية في قوله[1]:

وقد أراني أمامَ القوم تحملُني جُلْذيّة وصلتْ دأيا بألواح

وقد اختار متمم بن نويرة اليربوعي الصورة اللمسية ذاتها، إذ راح يصوّر صلابة ناقته وقتها لتساعده على الرحيل في قوله[2]:

ولقدْ قطعتُ الوصلَ يوم خلاجِهِ وأخو الصريمة في الأمور المزمعُ[3]
بمجدّةٍ عنْسٍ كأنّ سراتها فدَنٌ تطيفُ به النبيطُ مَرفَّعُ[4]
قرَبتُها للرحّلِ لمّا اعتادني سفرٌ أهِمٌّ به وأمرٌ مُزمِعُ

فهو يعلن عن القطيعة بينه وبين امرأته، ولا يكتفي بذلك بل يقرر الرحيل على ناقة هي ليست كأي ناقة، إذ يختار الناقة القوية الصلبة السريعة التي ستجدّ في السفر به، وقد ذهب الشاعر إلى تشبيهها بالقصر المشيد العالي كناية عن قوتها وبأسها.

- **الصور اللونيّة :**

المراد بها تلك الصور التي غلب عنصر اللون على جزئياتها، وتعد من أكثر الصور دوراناً عند الشعراء، وتبرز في التصريح باللون، أو ممّا يذكر دلالةً عليه. وللون علاقة وثيقة بالشعر العربيّ وصوره؛ حيث أتى" جزءاً رئيسياً في الصورة الشعرية، ورافداً غنياً من روافدها"[5].

---

[1] . أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص 18.
[2] . الصفار، ابتسام مرهون، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص 94.
[3] . الخلاجة: الشك والجذب المخالفة. الصريمة: العزم والمزمع على الشيء المجمع عليه.
[4] . المجدة المسرعة في سيرها. العنس: الناقة الصلبة. سراتها: أعلاها. الفدن: القصر المشيد. تطيف: تدور حوله. المرقع: المعلى.
[5] . علي، إبراهيم محمد (2001)، اللون في الشعر العربي قبل الإسلام قراءة ميثولوجية، ط1، بيروت: جروس برس للطباعة والنشر، ص35.

وتجدر الإشارة إلى العلاقة الوثيقة بين اللون، والحسّ الإنساني؛ لما للون من تأثير في الذات الإنسانية، وقد تجلّى عنصر اللون في شعر شعراء بني تميم؛ وذلك باستخدام شعرائهم الألوان بطبيعة مسمّياتها التي عُرفت بها، أو مشتقاتها التي تدل عليها، أو تصفها.

وقد راح عَبَدة بن الطبيب يذكر العير البيض في وصفه لناقته في قوله[1]:

عيرانـــة كأتـــانِ الضّـــحْلِ ناجيـــة إذا تـــرقَّص بـــالقوْزِ العســـاقيلُ[2]

مـن دونهـا لعتـاق العـيسِ إن طلبـتْ خبـتٌ بعيـدٌ نيـاطُ المـاءِ مجهـولُ[3]

فهو يجعل من ناقته جملاً لإظهار قوتها وشدة صلابتها ونشاطها، فهي سريعة تنجو بمن ركبها، بل إنها ليست كأي جمل، وإنما يجعلها الشاعر من الإبل الجياد، دلالة على قوتها، كما أنه يجعلها من الجمال البيض إمعاناً في إظهار جمالها.

ويبدو إلحاح شعراء بني تميم على أن يظهروا فرسهم بصورة الفرس الكريمة، فقد وصف عدي بن زيد العبادي فرسه فأظهره كريم الصفات، وجعل وجهه منزوفاً دلالة على حمرة لونه، وهو من الألوان المستحبة في الفرس، فقال[4]:

ولقـــدْ أغـــدو بطِـــرْفٍ زانـــهُ وجْـهُ مَنْـزوفٍ وخـدٍّ كالمِسـنْ[5]

كما جاءت الصورة اللونية بادية في تشبيهاتهم؛ فقد شبّه متمم بن نويرة اليربوعي الفرس بالظبي الأبيض في قوله[6]:

وكأنّـــهُ فـــوتَ الجوالـــبِ جانئـــا رَئِـــمٌ تضـــايفهُ كـــلابٌ أخضـــعُ[7]

فهو يشبّه فرسه في هذا الموضع بظبي خالص البياض تضايقه كلاب الصيد، وقد جعل الشاعر الظبي أبيضا لإظهار حسن فرسه وجماله.

---

[1] . عبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب، ص 84.

[2] . عيرانة: ناقة قوية تشبه العير في سرعتها ونشاطها. الضحل: الماء القليل. ناجية: سريعة. القوْز: الكثيب الصغير، والجمع أقواز، العساقيل: السراب.

[3] . عتاق العيس: الجياد من الإبل، والعيس: الإبل الأبيض، الخبت: ما اطمأن من الأرض واتسع، نياط الماء: حده ومكانه البعيد.

[4] . ديوان عدي بن زيد، 173

[5] . الطرف: بالكسر، الفرس الكريم، المنزوف: الذي قد نزف دمه وهو يستحسن من الألوان.

[6] . ديوان تميم بن نويرة، ص 97.

[7] . الجوالب من قولهم: جلب الفارس على الفرس إذا أرصد له قوما في طريقه يصيحون به في الرهان، جانئا: مكبا، الرئم: الظبي الأبيض.

وقد جاءت الصورة اللونية في معرض حديث شعراء بني تميم عن دور خيلهم في الحرب، ومن ذلك قول الكَلْحَبَة اليربوعي[1]:

تُســـائلني بنـــو جُشَـــمَ بـــنَ بكـــرٍ ... أغـــراء العَـــرادة أمْ بهـــيمُ؟[2]

هـــي الفـــرس التـــي كـــرّتْ علـــيهمْ ... عليْهـــا الشـــيخُ كلأســـدِ الكلـــيمِ[3]

إذا تمضـــــيهم عـــــادت عليهـــــا ... وقيَّـــدها الرِّمـــاحُ فمـــا تَـــريمُ[4]

تعـــادى مـــن قوائمهـــا ثـــلاثٌ ... بتحجيـــلٍ وقائمـــةٍ بهـــيمُ[5]

كُميـــتٌ غيـــر محلِفـــةٍ ولكـــنْ ... كَلَـون الصَّـرف علَّ بهـا الأديـمُ[6]

كـــأن مســـيحتي ورق عليهـــا ... نمـــتْ قُرطيهمـــا أذُنٌ خـــذيمُ[7]

وقد جعل الشاعر فرسه هنا في غاية الحسن، وغاية الصلابة والشدة؛ فهو يتباهى به في الظفر الذي حققه على أعدائهم، بل إنه راح يفصّل في وصفه ليجعله سبب الظفر الذي أصابه، وقد رسم الشاعر لفرسه صورة لونية تظهر حسنه وشدة جماله؛ فراح يشبّهه في نهاية اللوحة السابقة بالفضة من حيث صفاء لونها وبريقها.

وقد افتخرعدي بن زيد العبادي بفرسه، فذكر صفاته، وعدّد مناقبه، وذكر لونه متباهياً به على أنه من كريم صفاته في قوله[8]:

ولقـــدْ أغـــدو ويغْـــدو صُـــحْبتي ... بكميْـــــتٍ كَعُكـــــاظيِّ الأدْمِ[9]

فهو يصف فرسه، ويتباهى به على أنه فرس أصيل غير مهجّن (كميت)، فالشاعر يأتي على هذه الصورة اللونية لفرسه، ليظهره على أنه من أجمل الخيول وأحسنها لونا.

كما ذكرالكَلْحَبَة اليربوعي صفة البياض في غرة فرسه في قوله[10]:

---

[1] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 209.
[2] . الغراء: الفرس التي في جبتها بياض. البهيم: ما لونه واحد لايخلطه غيره. العرادة: فرس الشاعر.
[3] . الشيخ: الشاعر نفسه.
[4] . تمضيهم: تمضي وتنفذ فيهم. ما تريم: ما تغادر.
[5] . تعادي: توالي وتتابع. التحجيل: البياض في موضع القيد من قوائم الفرس.
[6] . كميت: ما لونه بين السواد والحمرة. غير محلفة: خالصة اللون.
[7] . خذيم: مثقوبة.
[8] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، ص 74.
[9] . الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأحمر والأسود. الأدم: جمع أديم، وهو الجلد. وأديم عكاظي: منسوب إلى سوق عكاظ، وهو مما إليها فبيع بها.
[10] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 209.

تُســـائلني بنـــو جُشَـــمَ بـــنَ بكـــرٍ أغـــراء العَـــرادة أمْ بهـــيمُ؟[1]

وقد وصف بعض شعراء بني تميم ألوان الحمر الوحشية، فوقفوا عند البيض منها، ومن ذلك قول عدي بن زيد العبادي[2]:

فـــانبرى أحْقـــبُ يتلـــو أربعـــا لاحـقُ الأيطـلِ فـي قـاعٍ جَلَـدْ[3]
صـــيِّبُ التعشـــير زمـــزامُ الضّـــحى ناسِـــلٌ عِقَّتَـــهُ مثْـــلُ المَسَـــدْ[4]
يُغْـــرقُ المطـــرودَ منـــهُ وابـــلٌ ضابطُ الوعْثِ ضَبُوعٌ في الجَدَدْ[5]

فالصورة اللونية هنا تظهر حماراً أبيض اللون، يصف الشاعر قوته وسرعته، ويذكر أن هذا الحمار إذا طلب الشيء أغرقه في جريه، وأدركه كما يغرق الماء الشيء.

وقد أكثر شعراء بني تميم من استخدام صفات الظبية لتصوير المرأة، فاختار سلامة بن جندل أن يجعل من الصورة اللونية واحدة من عناصر الجمال في الظبية التي راح يشبّه المرأة بها، في قوله[6]:

لأســماءَ إذ تهــوى وصــالكَ إنهــا كذي جُدَّة من وحش صاحة مُرْشِقُ[7]
لـــهُ بقِـــران الضُّـــلْبِ بَقْـــلٌ يَلُسُّـــهُ وإنْ يتقـــدَّمْ بالـــدَّكادكِ يـــأنَقُ[8]

فهو يجعل في ظهر الظبية لوناً مخالفاً للونها، وهو أظهر لصفة الجمال فيها، فأسقط هذا التصوير المعتمد على اللون لما فيه من حسن وجمال على صاحبته أسماء.

---

[1] . الغراء: الفرس التي في جبتها بياض. البهيم: ما لونه واحد لايخلطه غيره. العرادة: فرس الشاعر.
[2] . عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد، ص 44.
[3] . الأحقب: الحمار الوحشي في بطنه بياض. يتلو: يطارد. الأيطل: الخاصرة.
[4] . الصيب: الحسن. التعشير: نهيق الحمار. الثقة: الأصواف والأوبار. المسد: حبل من ليف أو الحبل المحك الفتل.
[5] . الوعث: المكان السهل الكثير الدهس. ضبع البعير ضبوعا: أسرع في سيره فمد ضبيعه. الجدد: طرق تخالف لون الجبل.
[6] . سلامة بن جندل، ديوان سلامة جندل، ص 156- 157.
[7] . الجدة: الخطة في ظهر الحمار تخالف لونه وقد أطلقها هنا على الظبية. المرشق الظبية المادة عنقها الناظرة وهي أحين ما تكون.
[8] . اللس: الأخذ باللسان.

وقد جاءت الصورة اللونية عنصراً مكملاً وفاعلاً مع عناصر التصوير الأخرى التي عمد إليها الشاعر التميمي في وصف الطبيعة، فقد ذكر علقمة الفحل ناقته وشبّهها بالظليم الذي احمرّت ساقاه وأطراف ريشه لكثرة رعيه العشب في قوله[1]:

هل تُلحقنّي بأولى القوم، إذ شحطوا — جُلذيةً كأتان الضّحل عُلكومُ[2]

كأنّها خاضِبٌ زُعْرٌ قوائمُهُ — أجنى لهُ باللّوى شرْيٌ وتنُّومُ[3]

فالصورة اللونية هنا ساهمت في إظهار المعنى الذي أراده الشاعر، بل إنها عملت على تأكيد الصفة التي راح الشاعر يسعى إلى إثباتها في ناقته، فاحمرار لون الساق والريش جاء دلالة على سرعة الناقة وخفتها.

وكذلك جاءت الصورة اللونية عند ذكر الذئب عند عمرو بن الأهتم لما قال في ذكر العداوة التي كانت تتأجج نارها بين بني تميم وقيس عيلان إثر الحروب المريرة بينهما[4]:

نَزَلُوا منْزِلَ الضِّيافةِ منها — فقرى القومَ غِلْمَةُ الأعرابِ[5]

وتركْنا عُميْرَهمْ رهْنَ ضبْعٍ — مسْلَحِبًّا ورهنَ طلسِ الذئابِ[6]

فهو يريد التقليل من شأن خصومه فراح يجعلهم على هذه الصورة التي جاء توظيف الذئاب التي يميل لونها إلى السواد فيها ليظهر ضعفهم واستسلامهم أمام قوم الشاعر.

وقد كان للتصوير المعتمد على اللون حضوره في حديث شعراء بني تميم في قصائدهم عن بعض الكواكب وبروج السماء التي كانوا يهتدون بها، والنجوم التي كانوا يستمطرون بنوئها، فوظفوها في صورهم وتشبيهاتهم، ومن ذلك علقمة الفحل الذي جاء على ذكر النجوم في رحلته التي تكبد فيها شدة الحر، وحرارة الشمس التي غيّرت لونه وأحرقت بشرته فاسودّ لونه، فقال[7]:

وقد عَلَوْتُ قُتودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُني — يوم تجيء به الجوزاءُ مسمومُ [8]

---

[1] . علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، ص 57.

[2] .أوللي القوم: أولهم. شحطوا: بعدوا. جلذية: ناقة شديدة. الأتان: صخرة تكون في الماء، فهو أصلب لها. العلكوم: كثير اللحم.

[3] .الخاضب: الظليم الذي أكل الربيع، الزعر: القليلة الريش، الشري: شجر الحنظل .

[4] . المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص 177.

[5] . قرى: أطعم.

[6] .عمر: رجل من قيس عيلان. مسلحب: مستلقي على الأرض. الطلس: التي يميل لونها إلى السواد. .

[7] . المصدر نفسه، ص73. ولمزيد من الشواهد: انظر: المصدر نفسه، ص44، ص113.

[8] . يسفعني: أي يحرقني، ويغير لوني. السفعة: سواد يضرب إلى الحمرة. تجيء به الجوزاء: أي تطلع عليه الجوزاء بمجيئه. المسموم: الشديد الحر.

حامٍ كأنَّ أوارَ النار شـــــامِلُهُ دون الثيابِ ورأسُ المرءِ مَعموم [1]

فالصورة اللونية في هذين البيتين تظهر معاناة الشاعر في ترحاله على ناقته، إذ إن السموم راحت تسفعه حتى تغير لونه إلى السواد من شدة الحر، فاللون هنا يظهر شدة هذا الحر، كما يظهر المعاناة التي كابدها الشاعر في رحلته هذه.

كما تظهر الصور اللونية أيضا في صورةٍ أخرى، إذ أخذ أوس بن حجر يمدح سيفه، فيصف بأنه أبيض هندي، ذو حد لامع متلألئ مثل البرق في السحب الليلية [2]:

وأبْيَضَ هنْدِيًّا كأنّ غِرارَهُ تَلَألُؤُ بَرْقٍ في حَبيٍّ تَكَلَّلا [3]

وفي معرض تشبيه السّليك بن عَمرو هامات العدو وقد شجّتها السيوف بالحنظلة التي اصفرّت فهي تبرق كأنها مصقولة، كان للصورة اللونية حضور، إذ يقول[4]:

كأنَّ مَفالِقَ الهاماتِ منهمْ صَرَايات تهاداها جَواري[5]

والملاحظ في الصور اللونية السابقة أنها تتداخل إلى حد كبير مع الصور البصرية؛ إذ إن الصورة البصرية تعتمد أساساً على حاسة البصر، وكذلك الصورة اللونية فإن أساسها الحاسة ذاتها، ولكن الصورة البصرية أكثر اتساعاً؛ فهي تشمل الصورة اللونية وغيرها، فيما تقتصر الصورة اللونية على ذكر اللون أو ما يتعلق به.

---

[1]. حام: أي مستحرّ كالنار الحامية. أورار النار: شدة حرها. شاملة: أي شامل اليوم. دون الثياب: أي يصل حرها من شدته دون الثياب والعمامة، أي يتجاوز ذلك في البدن.

[2]. أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص84.

[3]. الغِرار: حد السيف. الحبي: ما حبا من السحاب؛ أي ارتفع وأشرف. وتكلل السحاب: صار بعضه فوق بعض، وهو أشد لإضاءة البرق.

[4]. المعيني، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص63.

[5]. صرايات: جمع صراية، وهي الحنظلة التي اصفرت فهي تبرق لشدة لمعانها كأنها مصقولة.

الخاتمة:

هدفت هذه الدراسة إلى البحث في الطبيعة في شعر بني تميم في العصر الجاهلي، وسعت إلى إلقاء الضوء على عناصر الطبيعة ومكوناتها بشقيها الصامتة والصائتة، ولذا؛ فهي محاولة للكشف عن أهم مظاهر الطبيعة التي تناولها شعراء بني تميم في العصر الجاهلي، وقد حرصت الدراسة على امتداد صفحاتها على رصد مظاهر الطبيعة الصامتة والصائتة كما وردت في أشعار بني تميم في العصر الجاهلي، والوقوف عند أهم الخصائص الفنية التي امتاز بها شعر الطبيعة عند التميميين في العصر الجاهلي، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- إن الطبيعة عند شعراء بني تميم ميدان رحب، ومرعى خصب، أظهروا من خلالها براعتهم وقدرتهم الإبداعية، فكانت مؤثرة في أنفسهم، معبّرة عن أحاسيسهم، وعواطفهم، وانفعالاتهم، وجاءت الطبيعة لديهم جامعة لعناصرها الصامتة والصائتة، فوصفوا الصحراء المهلكة، وطرقها، وجبالها، ووديانها، وكثبانها الرملية، وسرابها، كما وصفوا الرياض الموجودة في بيئتهم، ووصفوا أشجارها ونباتاتها، ورسموا لوحات جميلة للكواكب والنجوم، ووصفوا من خلالها السماء، ووصفوا المياه، والرياح، والأمطار، والسحب، والبرق، والرعد، واعتنوا كذلك بوصف الطبيعة الصائتة، فوصفوا الإبل، والخيل، والأسود، الثور الوحشي، والنعام، وكلاب الصيد، وبعض الطيور، مثل؛ الحمام، والغراب، والقطا، والديك، وبعض الطيور الجارحة، مثل؛ النسر، والعقاب، وعرضوا في أشعارهم لبعض أنواع الزواحف والحشرات، ووظفوا الطبيعة في أغراض الشعر المختلفة، مستلهمين منها أروع الصور والتشبيهات.

- تحدث شعراء بني تميم عن الصحراء، ووصفوا طرقها الموحشة والمخيفة، وصوّروا شدة العقبات التي كانوا يتجشّمونها، وكثرة الصعوبات التي يلاقونها في طرق الصحراء، ومفاوزها المهلكة، وكانوا يستعظمون في أشعارهم صعوبة ولوجها، ووحشة ارتيادها، مظهرين في ذلك معاناتهم في سبيل الوصول إلى غايتهم، وتطرقوا إلى وصف رواحلهم القوية وهي تجتاز الصحراء الملتهبة، أو الجبال الشامخة التي يلفّها السراب.

- كان للمياه في شعر شعراء بني تميم حديث طويل، فقد افاض الشعراء التميميون في العصر الجاهلي في ذكرها، ووصفوا كل مصدر من مصادرها، كما اشاروا إلى السحب، وميّزوا بين كل نوع من أنواعها، وربطوا بينها وبين مقدار ما تحمله من المياه، واهتمّوا كذلك

بـالمطر وأنواعـه، وقـد وصـف شـعراء بنـي تمـيم المطـر الهـادي، والمطـر اللـين، والوابـل والهطّال، والمطر المنقطع والمتصل، ومطر كل ساعة من ساعات النهار والليل، وقد شكّل المطر للشاعر التميمي علامة للخصب، وكان المطر يعني له الحياة، ولذلك أفاض في ذكره، وتعددت أسماؤه لديه، كما ذكروا ما يصاحبه من برق ورعد وصواعق، كما دفعهم الاهتمام به إلى الاهتمام ببروج السماء، فورد ذكر بعض النجوم والبروج في أشعارهم، وجاؤوا على ذكر ذلك كله بصور وتشبيهات تدلّ على قدرتهم الفنية وبراعتهم في الوصف.

- في حديث شعراء بني تميم في العصر الجاهلي عن الرياح نجد أنهم وضعوا لكل ريح اسماً يختلف باختلاف مناطق هبوبها، فتحدّثوا عن الريح الجنوبية، والريح الشمالية، وريح الدبور، والنكباء، والسموم، وغيرها، كما ارتبطت الريح عندهم بموضوع الأمطار، وكان تعرّضهم لها من خلال وصفهم للأطلال وتعفيتها، فكانت الرياح والأمطار تمحو آثار ديارهم، وتزيل ذكرياتهم، كما جعلوا من الرياح وسيلة لنقل أشواقهم إلى أحبتهم، إلى جانب ذلك تعرّض الشعراء التميميون في العصر الجاهلي للرياح من خلال تغنّيهم بالكرم عند هبوب رياح الشمال؛ لبرودتها الشديدة، ولما كانت تحمله من القحط والجدب، وفي تلك الأوقات يقلّ الطعام ويتجلّى الكرم العربي، ومن أجل ذلك يتمادح الشعراء بالقِرى فيها.

- نالت الأشجار والنباتات بأنواعها نصيباً وافراً من حديث شعراء بني تميم في العصر الجاهلي؛ وذلك لطبيعة عيشهم، واعتمادهم عليها في مجابهة ظروف الحياة، فذكروا النخل في كثير من شعرهم، واستمدّوا من ألوانه وشكله كثيراً من صورهم وتشبيهاتهم، فشبّهوا الظعائن وهي تتوغل في الصحراء بالنخيل المتقارب، وجعلوا طول ذيل الناقة وغزارة شعرها كعسيب النخل، كما استعار شعراء بني تميم الكثير من أنواع الأشجار، مستفيدين من ألوانها، وأحجامها، وطبيعتها، فكان تعرّضهم لبعضها يأتي في أحاديثهم عن القسوة والصلابة، والشدة، كاتخاذهم من النبع والسرّاء قسيّهم ورماحهم، كما استفادوا من ألوان بعض الأشجار، وميّزات بعض النباتات، وروائح بعض الأزهار لعقد مشابهاتهم، وكانوا يستعملون كل نوع من أنواع تلك الأشجار، والنباتات، والأزهار في المكان المناسب لها، وبما يخدم المعنى المراد.

- أكثر شعراء بني تميم في العصر الجاهلي من ذكر الجبال، وارتبط ذكرها في أحاديث بعضهم عن السيول، وكيف كانت قوة تلك السيول تحطّ الوحوش من ذرى الجبال، إلى جانب

حديثهم عنها وهم يذكرون انتصاراتهم ومفاخرهم؛ لأنها كانت تقع عند هذه الجبال فتقترن بأسمائها، ووجدوا في ذكر الجبال أيضاً صور البقاء والخلود، فهي منيعة ثابتة لا تتغير، وخالدة تشهد فناء البشر.

- ذكر شعراء بني تميم في العصر الجاهلي الوديان، ووقفوا عندها بوصفها مناطق خصب تستقرّ فيها القبائل، وتقيم مرابعها، فكانت تمثل لهم أيام الاستقرار والصفاء، وجاء ذكرها عند بعضهم مقترنة بذكر الأحبة والاشتياق إلى الديار، وكانت الوديان السحيقة تثير الرهبة والهواجس العجيبة في نفوسهم، أما حديثهم عن الكثبان والرياض فكان قريباً من حديثهم عن الوديان بوصف هذه المناطق تشكل مواطن الخصب التي كانوا ينزلون فيها، فينعمون بخيرها وبمائها.

- تنوّع ورود الإبل عموماً، والناقة على وجه التحديد في أشعار شعراء بني تميم، بل إنهم أولوها عناية خاصة، فجاء حديثهم عنها متنوعاً معبراً عن كثير من صفاتهم وطبائعهم، فكانوا يلوذون بالدفاع عنها أمام هجمات السلب والنهب، ويستنفرون بعضهم بعضاً ليردوها، وكأنهم يدافعون عن شرفهم وكرامتهم، وقد فخر شعراء بني تميم بنحرهم لنياقهم كرماً وجوداً لضيوفهم، فذبحونها ليقروا الضيف، لاسيما في أوقات الشدة والحاجة، ووظّف الشعراء التميميون الناقة في لوحتي المدح والرثاء توظيفا جميلا بارعاً؛ إذ جعلوا منها وسيلة لذكر مآثر الممدوح، والمرثي، وعبّر الشعراء التميميون عن أهمية الناقة في حياتهم، وأنها وسيلتهم للسفر، وكأنها كانت الأداة التي تعينهم على تحقيق ما في أنفسهم؛ فكانت الناقة وسيلة الشاعر في تنقله عبر الفيافي، فكان يحمل عليها ما يريد، ويقطع بها الصحراء، وقد تغنّى شعراء بني تميم بنوقهم التي كانت تحملهم على ظهرها، فأخذ الشعراء يتغنون أمام قومهم بصفات نوقهم التي تتصف بالقوة، والسرعة، والصلابة، والقدرة على التحمل، وقد ذهب بعض شعراء بني تميم الى وصف أعضاء الناقة، وأجزاء جسمها بدقة بالغة، فجاء الشعر معبراً عن أدق أوصافها، فهي ناقة صلبة، طويلة على الأرض، ضخمة، وظهرها طويل يشبه في صلابته سندان الحداد، وهي مكتنزة باللحم من كل جوانبها، كما ذهب الشعراء التميميون إلى تشبيه نوقهم بحيوانات أخرى؛ لإظهار قوتها، وصلابتها، وسرعة سيرها، وتخطيها الصعاب، فشبهوها بثور الوحش، وبالظليم، وبالجمل.

- أولى شعراء بني تميم الخيل عناية خاصة في أشعارهم؛ فكثر الحديث عنها وعن صفاتها، وصوّروها بصور شتى، فقد فخر الشاعر التميمي بفرسه، فذكر صفاته وعدد مناقبه، كما وقف على صفاته الجسمية، وصور ضخامته، وعبّر عن قوته. وقد اتخذ شعراء بني تميم من الفرس وصفاته الكريمة وسيلة للفخر بأنفسهم، إذ كانوا يذكرون الفرس وصفاته متلاهين متفاخرين به، وكأنهم راحوا يفخرون أمام الأقوام الأخرى بأنفسهم وصنيعهم، وقد ارتبط ذكر الخيل عند شعراء بني تميم في كثير منه بالحرب، فتحدثوا عن إغارتها وتفاخروا بقوتها وبأسها التي تشير إلى قوتهم وشدتهم على أعدائهم، وكانت الخيل عموما عند الشاعر التميمي أداته الفاعلة في حروبه وغزواته، فكثرت أوصافها عنده لتناسب هذه الحالة الثائرة، ولهذا؛ برزت في أشعار التميميين صفات أحبوها في خيولهم، وكانوا يثنون عليها، مثل؛ السريعة، والمغيرة، والناجية، والجرداء، وغيرها.

- تنوعت عند شعراء بني تميم الصور التي ظهر من خلالها الحيوان الوحشي، مثل؛ الحمر الوحشية، والثور والبقرة الوحشيين في قصائدهم، فقد كان له حضور في أشعارهم، من خلال وصفهم لرواحلهم وهي تقطع بهم المفاوز المهلكة لتوصلهم غلى غايتهم، ولذا؛ لم يكن وصف شعراء بني تميم للثيران الوحشية غاية مباشرة، بل كانوا يستطردون إليها استطراداً؛ ليظهروا من خلالها قوة رواحلهم وسرعتها. أمّا صورة البقرة الوحشية، فإنها تختلف بعض الشيء عن قصة الثور الوحشي ، فتزيد عنه في الشخصيات والأحداث، وبعض التفصيلات، ولعل ما يميز ذكر البقرة الوحشية في شعر بني تميم هو ارتباطها بالمرأة عندهم. وقد تناول الشعراء التميميون الحمار الوحشي في قصائدهم، فوصفوا مشهد الحمار وأتانه في لوحة الصيد، وقد برعوا في إظهار معاناة الحمار وأتانه في هذه اللوحة، كما برعوا في إظهار لحظات الترقب التي يعيشها الصياد الذي يتحين الفرصة للنيل منهما، كما لم تغب الأوصاف الحسية الجسدية للحمر الوحشية عن شعر التميميين؛ إذ ذهبوا إلى وصف جسدها، وطباعها وألوانها، كما أنهم راحوا يشبّهون نوقهم بها في رحلاتها، وسفرها، لاسيما عندما كان التعب والإجهاد ينال منها.

- تحدّث شعراء بني تميم عن الظباء كثيراً في أشعارهم، فذكروا أوصافها، وأعجبهم فيها تناسق أعضائها، ورشاقتها، فراحوا يشبّهون بها كل ما وجدوه رائقا في نظرهم، جميلاً في نفوسهم، وقد رددوا في تشبيهاتهم هذه جوانب معينة من هذا الحيوان، بالإضافة إلى ذكرها

مقرونـة بـالأطلال، فقد وقـف الشـعراء عنـده وقفـات طويلـة، وهـم يسـتذكرون أيـام لهـوهم وصباهم لوداعتها وجمال صورتها، وتناسبها مع ما يحملون لهذه الديار من مكانة رفيعة.

- عرض شعراء بنـي تميم فـي العصـر الجـاهلي لـذكر النعـام فـي حـديثهم عن ديـار الأحبـة، وخلوّها من أهلها، ولم يجد الشعراء حيواناتٍ أكثر وداعةً من الظباء والآرام والنعام، ترود مثل هذه الأماكن التي يحفظون لها أحسن الذكريات؛ لتكون متناسبة مع عظم منزلـة الديار في نفوسهم.

- تحدّث شـعراء بنـي تميم فـي العصـر الجـاهلي عن الذئاب، والضبـاع، والثعالـب، ووصـفها بعضهم وصفاً دقيقاً، ولمس بعضهم الآخر فيها السرعة، وقوة البنيـة، فشبّه بهـا خيلـه، ومن الحيوانات الأخرى التي تحدّثوا عنها الأسود، التي اقترن ذكرها غالباً بحديثهم عن مفاخرهم، وانتصارات قبـائلهم، أو فـي ذكر منـاقبهم، فشبّهوا الفتيـان والفرسـان الشـجعان بالأسـود بيانـاً للقوة والهيبة، كما ذكروا الكلاب، ويعدّ موضوع الصيد من المواضيع التي أكثر شعراء بنـي تمـيم مـن ذكـر الكـلاب فيهـا؛ وكـانوا يـذكرونها فـي مجـالاتٍ متعـددة، وأغـراض مختلفـة، وذكروهـا فـي حـديثهم عـن رواحلهـم، وأبـرزوا خصائصـها مثـل حـدة السـمع والبصـر فـي شعرهم، وعمدوا إلـى تشبيهها بـالثيران الوحشية، أو البقر الوحشـي، كمـا كـانوا يصـوّرون المعركة بين كلاب الصيد والثور الوحشي، ويصفون حالها بعد رجوعها من معركـة الصـيد التي خاضتها في مهاجمة الثور الوحشي.

- ذكر شعراء بني تميم في العصر الجاهلي بعض أصـناف الحشرات، مثل؛ النحـل، والذبـاب، والجراد، وغيرها، وبعض أنواع الزواحف، مثل؛ الأفـاعي، التـي اقترنـت صـورتها بصـورة القوة، كما وظّفوا ألوانها في صورهم وتشبيهاتهم المتنوعـة، وتعرّضـوا كـذلك لـذكر الحربـاء في حديثهم عن شدّة الحر.

- لقد نالت الطيور نصيباً وافراً من شعر شعراء بنـي تميم فـي العصـر الجـاهلي، حيث استمدّ الشعراء من أوصافها وأشكالها، وألوانها، وطباعها ما وجدوه ملائماً للمواضيع المناسبة التي أرادوا الحديث عنها، فقد ألهمت بعض أصناف الطيور الجارحة _كالصقر_ بعض شعرائهم القوة والسيطرة، وأثارت بعض الطيور _ كالغراب والبوم_ الخوف والتشاؤم فـي نفوسـهم،

أما الحمام فقد اثار في نفوسهم العاطفة والحنين، كما وظفوا صور الطيور المتنوّعة في خدمة معانيهم المختلفة.

- لقد كثُرت الألفاظ الوعرة والغريبة في شعر شعراء بني تميم في العصر الجاهلي، ولعلّ هذا ما فرضته طبيعة موضوعات الدراسة ذاتها، ففي موضوعات الوصف عامة، ووصف الحيوان بصورة خاصة، تطالعنا وعورة الألفاظ وغرابتها بشكل لافت للنظر، لعلّ ذلك يعود إلى طبيعة العلاقة في الشعر بين اللغة والموضوع، فثمّة علاقة بين الألفاظ والموضوع؛ بحيث تختلف الألفاظ سهولة وصعوبةً باختلاف الموضوع الذي ينظم فيه.

- شاع في شعر شعراء بني تميم ظاهرة تكرار الحروف، فأدى التكرار دوراً مهماً في استنطاق بعض اللوحات، والتعبير عن مكنونات الخواطرمن خلال السمات الصوتية للأصوات ذاتها.

- استثمر شعراء بني تميم في العصر الجاهلي الطاقة الكامنة في التكرار، فلم يقتصر وروده في شعر الطبيعة عندهم على تكرار الأصوات فقط، وإنما تعدى الأمر عندهم إلى تكرار الكلمات ذاتها في البيت الشعري أو المقطعة الشعرية، ولم يقتصر التكرار عند شعراء الدراسة على تكرار الكلمة ذاتها، وإنما تكرار البنية الصوتية للكلمات؛ من خلال اشتقاقات الجذر المختلفة.

- لم يكتفِ شعراء بني تميم في العصر الجاهلي بتكرار الألفاظ لخدمة المعاني التي اشتملها شعر الطبيعة عندهم توضيحاً وتأكيداً، وإنّما لجأوا إلى تكرار بعض المعاني والأفكار في بعض قصائدهم، وتتأتى القيمة الجمالية لهذا النمط من التكرار في الكشف عن قدرة كلّ شاعر وبراعته في تكرار تجربته الشعرية، بأسلوب متجدّد من حيث البناء والتشكيل، فكل شاعر له أسلوبه الخاص في التعبير عن المعنى من خلال اختياره للألفاظ التي تناسب الحالة الشعورية التي تنتابه، ولعل هذا الأمر يعدُّ دليلا على حذاقة الشاعر وقدرته الفنية على تشكيل المعني على النحو الذي يريد.

- ظهر الحشد الكبير لمختلف أنماط الصور الفنية والحسيّة التي تشمل كل ما يُدرك بالحسّ، أو البصر، أو السمع، فظهرت الصور اللونيّة، والسمعيّة، والشميّة، والحركيّة وغيرها، بأسلوب

شعري متنامٍ، لذلك؛ جاءت صورة الطبيعة في أشعارهم خلفيّة لحركة الإنسان والحيوان وما تتضمن من صراع بين الحياة والموت، وما توحي به من قدرة، أو جمال، أو تناسق، أو عجز أو قبح، أو غير ذلك من المشاعر أو المعاني.

- **المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم.

- الآمدي، الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ)، **المؤتلف والمختلف**، (تحقيق عبد الستار أحمد فراج)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1961م.
- الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (ت 210هـ)، **بلاد العرب**، (تحقيق حمد الجاسر، وصالح العلي)، دار اليمامة، الرياض، 1968م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ)، **الأغاني**، (تحقيق إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس)، دار صادر، بيروت،2002م.
- الألوسي، محمود شكري (1923)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أوس بن حجر، أوس بن حجر بن مالك، **ديوان أوس بن حجر**، ط2 ،(تحقيق محمد يوسف نجم)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1960م.
- بدوي، عبده (1975)، **الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البطل، علي (1980)، **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: دراسة في أصولها وتطورها**، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.
- البغدادي، ابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت 245هـ)، **المنمق في أخبار قريش**، (صححه خورشيد أحمد فاروق)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت).
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، (تحقيق وشرح عبد السلام هارون)، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م،
- البكري، أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز (ت 487هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، (تحقيق مصطفى السقا)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1346هـ.
- ـــــــــ، **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، (تحقيق عبد العزيز الميمني)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936م.
- بلبع، عبد الحكيم (1975)، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، ط2، القاهرة: طبعة لجنة البيان العربي.

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (245هـ)، **المحبر**، (تحقيق ايلزة شنيتر)، مطبعة المعارف العثمانية، حيد أباد، الدكن، 1942م.
- الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)، **البيان والتبيين**، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، 1990م.
- ـــــــــ، **الحيوان**، ط2، (تحقيق عبد السلام هارون)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965.
- الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله (ت232هـ)، **طبقات فحول الشعراء**، (شرحه محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، دار الحضارة العربية، بيروت، 1974م.
- حاوي، إيليا (د.ت)، **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**، ط2، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، مكتبة المثنى، بيروت، 1919م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت456هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، 1364هـ.
- حسين، طه (1927)، **في الأدب الجاهلي**، القاهرة: دار المعارف.
- حسين، عبد القادر (2004)، **الطبيعة في شعر الحطيئة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، العراق.
- حسين، فوزي طه قطب (1981)، **النباتات الطبية: زراعتها ومكوناتها**، الرياض: دار المريخ للنشر.
- الحوفي، أحمد (1958)، **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، القاهرة: مكتبة نهضة مصر
- ـــــــــ (1956)، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- خليل، عماد الدين (1977)، **الطبيعة في الفن المغربي والإسلامي**، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت321هـ)، **الاشتقاق**، (تحقيق وشرح عبد السلام هارون)، مكتبة المثنى، بغداد، 1979م.

- الرباعي، عبد القادر (1995)، **الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق**، إربد: مكتبة الكتاني.
- ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني (ت463هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ط5، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، دار الجيل، بيروت، 1981م.
- الزبيدي، محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى (ت 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار ليبيا، بنغازي، 1966م.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق النهاوندي (ت337هـ)، **أمالي الزجاجي**، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، 1987م.
- الزيدي، كاصد ياسر (1980)، **الطبيعة في القرآن الكريم**، بغداد: دار الرشيد.
- السعدني، مصطفى (1987)، **البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث**، القاهرة: منشأة المعارف.
- ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، (تحقيق نصرت عبد الرحمن)، مكتبة الأقصى، عمان، (د.ت).
- سلامة بن جندل، سلامة بن جندل بن عبد عمرو (ت 23 ق.هـ)، **ديوان سلامة بن جندل**، (تحقيق فخر الدين قباوة)، المكتبة العربية، حلب، 1968م.
- أبو سويلم، أنور عليان (1983)، **الإبل في الشعر الجاهلي**، عمّان: دار العلم للنشر.
- ـــــــــــــــ (1987)، **المطر في الشعر الجاهلي**، عمّان: دار عمّار.
- السيد، عز الدين علي (1978)، **التكرير بين المثير والتأثير**، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ)، **الملل والنحل**، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1975م.
- الصالح، صبحي (1973)، **دراسات في فقه اللغة**، ط5، بيروت: دار العلم للملايين.
- الصالحي، عباس مصطفى (د.ت)، **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- الصائغ، عبد الإله (1987)، **الصورة الفنية معياراً نقدياً، "منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"**، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.
- الصفار، ابتسام مرهون (1968)، **مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي**، بغداد: مطبعة الإرشاد.

- صليبا، جميل (1982)، **المعجم الفلسفي**، بيروت: دار الكتاب اللبناني..
- ضيف، شوقي (1990)، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط10، القاهرة: دار المعارف.
- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلّوي (ت322هـ)، **عيار الشعر**، (تحقيق طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956م.
- عباس، إحسان (1976)، **دراسات في الأدب الأندلسي**، تونس: الدار العربية للكتاب.
- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328هـ)، **العقد الفريد**، (تحقيق أحمد أمين وآخرون)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- عبدة بن الطبيب، عبدة بن يزيد بن عمرو (ت 25هـ)، **شعر عبدة بن الطبيب**، (تحقيق يحيى الجبوري)، دار التربية، بغداد، 1971م.
- عبد النور، جبور(1979)، **المعجم الأدبي**، بيروت: دار العلم للملايين.
- عدي بن زيد، عدي بن زيد بن حماد العبادي (ت35 ق.هـ)، **ديوان عدي بن زيد العبادي**، (تحقيق محمد جبار المعيبد)، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965م.
- عروات، أحمد فلاق (1991)، **تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- العريفي، سعد عبد الرحمن (2007)، **سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي: دراسة في المضمون والنسيج الفني**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت بعد 395هـ)، **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، (تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء االكتب العربية، القاهرة، 1952م.
- علقمة الفحل، علقمة بن عبدة بن ناشرة (ت 20 ق.هـ)، **ديوان علقمة الفحل**، (تحقيق لطفي الصقال، ودرّية الخطيب)، دار الكتاب العربي، حلب، 1969م.
- علي، إبراهيم محمد (2001)، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام قراءة ميثولوجية**، بيروت: جروس برس للطباعة والنشر.
- عيسى، أحمد (1981)، **معجم أسماء النبات**، (ط2)، بيروت: دار الرائد العربي.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (395هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، (تحقيق مصطفى الشويمي)، مؤسسة أ. بدران، بيروت، 1963م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ)، **الأنواء في مواسم العرب**، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، 1956م.
- ـــــــــ، **الشعر والشعراء**، (تحقيق عمر الطباع)، دار الأرقم، بيروت، 1997م.
- القط، عبد القادر (1979)، **في الشعر الإسلامي والأموي**، بيروت: دار النهضة العربية.
- قناوي، عبد العظيم علي (1949)، **الوصف في الشعر العربي**، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- القيسي، نوري حمودي (1970)، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، بيروت: دار الإرشاد.
- الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ)، **الأصنام**، (تحقيق أحمد زكي باشا)، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.
- لبيد العامري، لبيد بن ربيعة بن مالك (ت 41هـ)، **ديوان لبيد بن ربيعة**، (قدم له ووضع فهارسه وهوامشه حنا نصر الحمي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م.
- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384هـ)، **معجم الشعراء**، (تحقيق عباس هاني الجراخ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
- مصطفى، إبراهيم أنيس، وآخرون (1981) **المعجم الوسيط**، ط2، القاهرة: دار المعارف.
- المعيني، عبد الحميد (1982)، **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**، القصيم: منشورات نادي القصيم الأدبي.
- مفتاح، محمد (1992)، **تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص**، ط3، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ)، **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت، 1954م.
- الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد (ت 518هـ)، **مجمع الأمثال**، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار الجيل، بيروت، 1987م.
- نبوي، عبد العزيز (2002)، **دراسات في الأدب الجاهلي**، القاهرة: مؤسسة المختار.
- النهشلي، الأسود بن يعفر الدارمي (ت 22 ق.هـ)، **ديوان الأسود بن يعفر**، (تحقيق نوري حمودي القيسي)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1968م.
- نوفل، سيد (1945)، **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، القاهرة: دار المعارف.

- ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت 213هـ)، **السيرة النبوية**، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 334هـ)، **صفة جزيرة العرب**، (تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي)، ط3، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1983م.
- وهبه، مجدي وكامل المهندس (1979)، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، بيروت: مكتبة لبنان.
- ويليك، رينيه (1985)، **نظرية الأدب**، (ترجمة محي الدين صبحي)، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م.

NATURRE IN BANI TAMIM'S PRE-ISLAMIC POETRY

By

Ayash Bin Qu'aimeel Al-Blewy

Supervisor

Dr. Hamdi Mansour,prof.

ABSTRACT

This study addressed the poetry nature when poets Bani Tamim’s in the pre-Islamic era, described the nature of authentic art has been associated with Arabic poetry since its inception, and was with the poets of Bani Tamim’s arena welcomed, and pasture, it showed through which poets Bani Tamim’s their creativity, was impressive in themselves, expressing their environment , embodied to their emotions, and emotions, Expressive for their style, and Fantasies.

This study was aimed to a statement in both its physical manifestations; silent, and in the poetry of poets Bani Tamim’s in the pre-Islamic era, and the statement of the most important technical characteristics of their poetry.

This study included a bootable singled to talk briefly about the nature of the pre-Islamic poetry in general, and included a definition of a summary of Bani Tamim’s, and their environment, and their relationships, and poets, and was followed by the boot three seasons, was held first chapter to the study of the silent nature, Two sections in the description of the land, and a description of heaven, etc. falls within these areas. The second chapter of study mobile nature, from Camels, and horses, and the ostrich, and the wolf, and birds, ..., and so on. The third chapter specialized in studying the artistic characteristics of the nature poetry when poets Bani Tamim’s in the pre-Islamic era, in terms of linguistic fabric, art and photos.